

فى الفن المصرى المعاصر بعدد الأديبيات بدت ظاهرة انعكاس لتجاه
عالى نحو وحدة الفنون التشكيلية ونمى الفنان الواحد فى فروع متعددة من
الفن .

ومن أبرز ممثل هذه الظاهرة فى فئنا المعاصر الفنان صلاح عبد الكريم
فقد اجتمعت له قدرات متعددة كنتاج وفنان زخرفى ومصور وخزاف .. برز
فى فن التمثيل المسرحى والتصميمات الزخرفية للمنشآت كما تميز كنتاج
تناول خامات النحت الجديدة من الحديد ورفاق النحاس واعانه استيعاب
الاساليب الحديثة والتوغل فى اسرارها الخفية على أن يخرج أعمالا تحمل
وتواءم بين حاسته الزخرفية وبين استغلال عناصر التعبير التشكيلية
الناسبة لموضوعه وللخامة التى يختارها لهذا الموضوع .

من بقايا الآلات والادوات التى تحمل طابع العصر صاغ أعمالا رائعة حصل
من أجلها على جوائز من بينسال سان باولو وعلى جائزة النحت الأولى
فى بينسال الاسكندرية عام ١٩٥٩ وتوجت أعماله بجائزة الدولة للتشجيعية
لسنة ١٩٦٦ فى النحت الزخرفى .

على أنه به صلاح عبد الكريم كمصور أكدت وجودها فى لوحاته العديدة التى
تنتمى الى المدرسة الحديثة وقد نال كمصور جائزة سان فينوروماو للتصوير
فى روما سنة ١٩٥٦ وجائزة جوجنهايم للتصوير سنة ١٩٦٠ وهو يجمع فى
أسلوبه بين التجريد والتشخيص وتواتبه ملكة اللون وقدرته الانشائية
على ابداع اعمال تتأق بامتيازها بين إنتاج جيل جديد من المعاصرين .

ولوحة الغلاف التى عبر بها عن مقاومة الاستعمار تجمع قدرة استغلال
التعبير التشكيل المؤكد للمعنى الذى تمثله من خلال التكوين والحركة الراجعة
التي اختارها الفنان وجعلها أحد محاور الارتكاز فى اللوحة فضلا عن
توقيفه فى اختيار لهجة لونية تتلاقى مع عناصر التكوين والانشاء فى تطبيق
بلاغة تعبيرية فى من خصائص موهبته

وعادى الفنان صلاح عبد الكريم معاه كاستاذ بكلية الفنون الجميلة
بالقاهرة منذ عودته من باريس فى سنة ١٩٥٥ بعد دراسته لفن التصوير
والتنسيق المسرحى فضلا عن مشاركته بمواهبه الفنية المتعددة فى الجالات
العامة

<http://Archivebeta.Sakrhit.com>

هو أيضا من جيل هؤلاء الفنانين الذين امتد ابداعهم لمجالات متعددة ..
ظهر اسمه فى حياتنا الفنية منذ ربع قرن كمثال لتلاقى فى بواكير أعماله
متزعم رومانسى يغالبه مضمون اجتماعى تأكد فى اختياره لموضوعاته واحساسه
بالجانب المأسوى فى الحياة الاجتماعية .

وكانت أعماله قبيل الثورة صرخة احتجاج ودعوة الى تعظيم القود وخلال
هذه المرحلة كان يسجل مشاعره الصاخرة فى النحت وفى النحاس
الطروق الذى يعتبر رائدا له كما مارس التصوير وفنون الخزف .

ذلك أن طاقة السجنى وشحنة مواهبه تأبى أن تقف به عند لون من ألوان
التعبير .

ولد جمال السجنى بالقاهرة سنة ١٩١٧ وتخرج فى قسم النحت بكلية الفنون الجميلة ثم اوفد فى بعثة الى
باريس لدراسة فن الميدالية ، وقد برز تفوقه فى هذا الفن الذى يجمع فى ابعاده الصغيرة عوالم ورموز ولكنه انطلق
من الابعاد المحدودة للميدالية الى خامة من الخامات التى حقق من خلالها الفنان الاسلامى والفنان الحرفى الشعبى
ابداعات رائعة .. خامة النحاس التى جمعت تراثهم الحس الزخرفى وتمثلت فيها احدى عبقريات القاهرة الفنية
استحالت على يديه الى ألواح مطروقة من النحت البارز والغائر يلتقى فيها الرمز القومى والشهد الشعبى والتكوينات
الجمالية .. ارتفع ازميل الفنان الى ذروة من التعبير من خلال تلك الألواح التى تعتبر سجيلا للأحداث المعاصرة .
ومن بين هذه الألواح ذلك اللوح الذى رمز فيه تعظيم قوى الرجعية والاستعمار بعد أن مثل فى لوح آخر
تعظيم القود وصرخات التمرد والاحتجاج

وفى هذا اللوح طاقة ضخمة من التعبير تفجرت فى تكويناته التى تمثل الفلاح رمز القوى الشعبية يهوى على
شجرة الرجعية والاستعمار فتسلسل تحت ضرباته .



مقاومة الاستعمار

لوحه الغلاف :

للنحاتن صلاح عبد الكريم

اللوحة الخلفية :

تعظيم الاستعمار

للنحاتن جمال السجنى



هذا العدد

توقف إطلاق النار ، ولكننا لا نزال في أتون المعركة الأخطار لم تنقشع ، بل لعلها تتزايد ، فينبغي ألا يخف ضغط المعركة علينا ، واستحوذها الوقت كله على عقولنا وقلوبنا ، وحثنا لنا على الجهاد ، والانتقال سريعا الى نمط جديد من الحياة ، والفكر والتخطيط ، والعلاقات يكون باديا للعيون ، ناطقا بالجد ، متصاعدا الى الذروة التي بلغتها احقاد اعدائنا ، ليكون كفا لها وعلاج ، انهم خرجوا للصيد لا لاقتناص الفريسة بل لقتلها .

واكثر المطالب إلحاحا في الوقت الحاضر ان نعرف كيف نشقق قنوات ، لا تلبث ان تتجمع في مصب واحد ، تسيل فيها عذائب قطاعات الشعب ، كل لما تهيأ له وقدر عليه ، فاني اقابل اينما كنت وحيثما اسير اناسا كثيرين ، من مختلف المستويات ، تتأجج حماسهم ورغبتهم في العمل والبذل والفداء ، ومع ذلك يهيمسون في حسرة وحيرة : لو قالوا لنا ماذا ينبغي لنا ان نفعله لنكون نافعين .

انهم يضيقون بشلل ارادتهم والفجوة الكبيرة بين العزم والعمل ، حقا ان قنوات كثيرة قد شقت ولكن لا تزال الحاجة قائمة لمزيد من التبصير بها ، والدفع اليها ، والتجميع فيها ، والتوسيع من شبكتها لتستوعب هذا الرصيد الضخم من الحماسة والعزم الكامن في نفوس الشعب ، انه الضوء اللامع وسط الغياض ، يملأ القلب ثقة بالضر المرتقب . واذا لم نستغل هذا الرصيد على خير وجه فقد يتبدد او ينحرف لا أنفاس للمجاعة الا من جو المعركة .

هذا العدد ايضا يتحمل ضغطها . انه وقف على محاولة لتحجس بعض جوانب القوى المعادية لنا : الصهيونية والامبريالية الامريكية التي تسعى لورثة الاستعمار القديم والتفوق عليه في السيطرة على الشعوب وفهرها ونهب خيراتها ، فالعصر عصر الذرة والتكنولوجيا . سبتين تعدد الميادين التي تنازلنا فيها هذه القوى المعادية ، لم تترك سلاحا الا استخدمته ضلنا بعضه سافر ، وبعضه خفي ، بل قد يكون مظهره بريثا .

ان شعوبا اخرى - وبخاصة في افريقيا - تواجه هذه الامبريالية في اطار محل ، والعراك ثنائي ، مشاكلها هي تعدد القبائل أو غموض الحدود أو قيام شركات احتكارية ، وكان من قدر الأمة العربية ان تنفرد في مواجهة هذه الامبريالية في اطار عالمي ممتد عمقا امتداد التاريخ ، بسبب ارتباطها بالصهيونية في قتالنا ، والصهيونية متغلغلة كالسرطان في الامم التي تميل بها كفة الميزان ، هي التي تفضل شعوبها وتزيغ بصرها عن الحق ، تقطع كل يد تريد ان تمتد لنا بخير ، فاذا امتدت بآرة نزعتها لتضع بدلها خنجرا ، نفوذها المالي تهديد تشهره في وجه كل من يحاول معارضتها . هي التي تؤجج الاحقاد التي ماتت أو نامت منذ الصليبيين ، هي التي تسعى الى ايجاد الفرقة بين الاديان بزعم التقريب بينها . هي التي قلبت حرب المصالح الى حرب حضارات ، تريد ان تقنع الأمة العربية من جلورها ، انه لا يكفينا ان نلاحق هذا العدو عبر الحدود ، بل في كل مكان في الارض . ياله من عب !

ما أجل الدور الذي ينبغي ان ينهض به المثقفون اليوم ، ان يسارعوا الى دراسة هذا العدو ، ماهو ومن هو . ليشمئ منهم متخصصون في كل سلاح من اسلحته ، فالاطار عالمي ، ممتد عمقا امتداد التاريخ ، هيئات ان يستوعبه جهد دارس واحد : لا أقصد ان نعام من ، بل ان نعلم عن . وان يشاركون في حياطة حماسة الشعب وحياطتها من ان تبسّد أو أن تنحرف فاذا تلجلج لسانهم أو اغتالتهم مناقشات : نزطة فليقولوا لهذا الشعب . لن يهديك الا الحب ، حبك لصر ، وطنك ، ان تحضنها بالليل ، ان تقبل يدها في الصباح ، ووجهها قبل النوم ، هذا الحب هو الذي سيهديك لما ينبغي لك عمله .

يحيى حقى

من بعيد ..

حسين ذوالفقار صبري

الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧

جفلت مستيقظا وتقلب على أن يعاودني نوم ولكن ذهني كان في حالة تيه غريب ، ومهدد يدي أتلمس زر الإضاءة وأخطأت التقدير ، فظلمة الليل لم تنقشع بعد ، ومضت لحظات قسبل أن تنبثني حواسي باتجاهي وموقعي من معالم تلك الغرفة التي لم أشغلها الا مساء الأمس حين حطت بي الطائرة في برازيليا .

أنها الخامسة صباحا ، واتجه فكري الى وطني البعيد حيث الشمس قد أشرقت ولا شك منذ ساعات ، تصلبه نارا حامية ، فهناك صيف أما هنا فشتاء ، ولكنه شتاء استوائي ، وإن كنت قد غادرت بالأمس ريودي جانيرو - أو « الريو » كما يقول المغتربون - بجوها الرطب الحائق الى هذه العاصمة الجديدة التي أرسيت اصطناعا في قلب القارة فوق حضابها المرتفعة .

وفتحت النافذة عن آخرها استنشقت نسيم الفجر بلسعته المنعشة ، وخيوط النهار تزحف حثيثا فتتجسد أمام عيني في وضوح متزايد معالم المدينة بمبانيها المتناثرة ، أحدثها عصرية التصميم كأنها صناديق ضخمة من زجاج وفولاذ ، أم هو زجاج واسمنت ، صلبت على أجنابها فتشمخ

باطواها الى أعلى ، والأخرى تلك التي سبق قشاهدتها منذ سنوات سبع ، وليدة سنين الفورة حين أرادها الرئيس السابق كوبيتشك عاصمة تجاوز العصور والدهور ، هنا وهناك بأهيكالها الغريبة وكأنها قد أسقطت من كواكب قطبية الكهيلة تبدو كأنها ليس لها جذران ، بل أعمدة غليظة تتجمع فتتلاحم ثم تنطلق زوايدها وكأنها أنامل ممتدة الى أعلى ، أهي ضراعة صامدة أم تلمس اتصال ؟

واني لأذكر جيدا ذلك القلق المبهم الذي انتابني حين رأيته أول مرة ، أهكذا حال البشرية في أجيالها المقبلة ؟ ابتهاج أخرس كذلك الصخور الصماء أم الروح وقد تجرحت وإن أوهمتنا الصورة أنها الى انطلاق ؟

ويعاودني اليوم نفس الشعور بالحاج ، خاصة وأن الكنيسة قد طوقتها المباني الضخمة فكمشتها الى قزمية تافهة ، ومن بعيد قبتنا البرلمان بمجلسيه ، غطاءان قد أحكما على وعائين ، فلا منفذ ولا متنفس ، الا أن تتلاحم الآراء بعد طول مناقشة فتخرج بالقرارات ناضجة هريئة .

ولكن مائي ولكل هذا ؟ فامامي نقاط تستوجب التحضير ! ويستوقفني رغم ذلك منظر الطرق

تفاعلات إيجابية ، بلغت منتهى الارهاق الفكرى واللغوى والنفسانى على حد سواء ، فاذا بالترابط الدقيق المحسوب بين الكلمات والمواقف والايحاءات ينفس عن مختلف النوازع والروادع التى تعانيتها النفس البشرية ، فى تشابكات نابضة بحياسة أو تلاحمات اختلجت بياس مكتوم .

فلما قبلت أخاطب ذلك العقل الجبار ، المطل من خلال عينين فاحصتين نافذتين ، وجدت نفسى أسهب فى تحليل الموقف من خلال ما علينا فالتكن من رد الاسباب الى مالنا ، ولكنى فوجئت على غير تصورى بأن محدثى انما يحركه عزم ملح على الوقوف على أساسيات الازمة الحالية ، عزم يصاحبه ضيق بل ضجر بتلك الحيلوط التى أحاول مدحا الى تلافيف من تفاصيل .

وغير هذا وذاك قابلت معلقين مشهود لهم بحصافة رأى فى شئون السياسة العالمية أو بخبرة فى تقييم موازين الاستراتيجية ، جغرافيا أو عسكريا .

هؤلاء جميعا أمضيت معهم ساعات طوال ، أناقش وأجاد ، وأبين وأحل ، وأدفع الحجة بأخرى ، انها مواضع جادة ، مصيرية بالنسبة للأمة العربية . ولكن غالبيتهم الكبرى لا سبيل الى اعتقاد الاتصال الانسانى معهم كقاعدة لازمة لاي تفاهم فكرى الا عن طريق الممازحة ، والنقطة المفاجئة الى نوادر ينسبط لها القلب فتكسر الحدة اذا ما بدت لها لمعة خطر حين تتصاعد المناقشة فتندثر باحتدام ثم أعود متمسكا مداخل جديدة أو هوالج مواتية ، أو اكنفى أحيانا بالوقوف مع البعض على المشارف ، فالنظرة من بعيد ، وان أهملت التعرض لتفاصيل أهميتها البالغة ، الا انها تعين على تبيان التداخل الضيق لابعاد المشكلة ككل ، فتعبط بتلك العناصر التى تنفخ فيها بالتهويل والولولة الى مقاييس صادقة من نسبية موضوعية مترابطة .

ولكن موضوع العقبة والمروء من مضايق تيران هو الذى كان «بغطس ويقب» كما يقولون وقد استنفدت معهم مناقشة جوانبه جميعا ، هذا يعنيه الوضع القانونى البحث ، وذاك يعجب اذ يكتشف أنه أثر من آثار حرب السويس ، أسبغ عليه فوستر دلاس ، بتفرده الصلف ، صفة الدولية ،

صاعدة غاطسة وكانها شرائط من فولاذ لامع ، تربط بين أطراف المدينة المترامية على صفحة الهضبة بتربتها الصهباء ، تمتد وتدور الى كل اتجاه ولكن دون أن تتلاقى أو تتقاطع ، فهذه تقوص تحت تلك أو تحوم من حولها فى انصاف دوائر رسمت بأحكام كأنها تظالغنا بها لوحة مهندس فنان .

وانتزعت نفسى انتزاعا ، وحاولت أن أسترجع فى ذاكرتى شريط أحداث الايام الثلاثة التى أمضيتها فى الربو ، العاصمة السابقة ، والتى ما تزال قلب البرازيل النابض ، أيام ثلاثة قضيتها فى مقابلات ومناقشات متصلة مع وزير الخارجية وكبار المسئولين فيها ، ومع الممثلين الدبلوماسيين لعدد من بلاد ، ومع صفوف من رجال الفكر جمعهم فتيح بو عياد ، مستشار السفارة الجزائرية ، خلال ساعات بفضل علاقات توثقت عبر السنين ، هذا كاتب سبق أن عرفنى به فتيح نفسه عام ١٩٦٠ ، عرفته برفقاليا فارا من حكم سالازار ، وأقبله هذه المرة متجسسا برازيليا ، ولكنه ما زال كما كان ، عدوا لكل طغيان ، فقد تعرض لصنوف من القنطاريات ونشريد ما كان يوسعه أن يصمد لها لولا صلابته ارادة واصرار استمدهما من مصمم كيانه فصلا شخصيته باعتاد لا يلى ، وإيمان بالنفس يتأيد أحيانا الى الى عناد ومكابرة ، فلا سبيل اليه الا أن تعرض عليه الوقائع فى تسلسل متسق ، فيصدر عليها حكمه بنفسه ، وحذار من أن يتنسم محاولات دفع أو استدراج ، فاذا ما استجاب واعتنق الراى تمسك به فلا يجيد ، وقد اتحفنا بالفعل غداة مقابلتى له بمقال انقلب فيه مدافعا عن حقوق العرب جميعا ، سوى فقرة أخيرة يعلن فيها ان كلامه لا يعنى بحال انكاره على اسرائيل ، كدولة معترف بها دوليا ، حقها فى الوجود ، فهذه عقدة العقد ترسبت لها جذور لا سبيل الى اقتلاعها بين عشية وضحاها .

وذاك دبلوماسى قديم ، استقال تحت ضغط الامريكاني ، ولكن مكانته الى ارتقاء ، فقد اقتحم ميدان اللغة والادب ، دوى اسمه حين تقل « يوليسوس » الى البرتغالية ، ذلك الصرح الذى شيده جيمس جويس ، متلاعبا باشتقاقايات الكلمات ، متعرجا بمعانيها على سلم معقد من

فالعبدان كالجريمة لا يفيد أو هكذا يجب أن يكون ، وغيرهما يتحسم لحق الدول المشروع في رفض عنت استبدت به دولة كبرى أصابتهما غطرسة من قوة غاشمة ، دولة كبرى عانوا منها كثيرا في الماضي ، وما زالوا في جبايلها ، وقد استحسنت مرائرها ، يتخبطون .

ولكني لم أكابد ما كابدته خلال الساعتين اللتين استغرقتهما مقابلتى مع مجاليس بنتسو وزير الخارجية ، ليس من ناحيته هو بالذات ، فهو من مواليد الولايات الداخلية - ميناس جيرايس ، فيما اعتقد - عمل فيها طيلة حياته ، فهو يقف على أرض صلبة من مصالح وطنية ، لم تعلق بها تلك الشوائب التي طغت على أوجه الحياة في المدن الساحلية ، وقد أصابتها عدوى الاستثمارات الأجنبية الدخيلة ، المكبة في عجل ونهم على استنزاف الارباح بأى وسيلة وكيفما يكون ، ثم أنه يقدر تماما - كما تبين لى - المسؤولية الضخمة الملقاة على كاهل بلاده بوصفها عضوا في مجلس الأمن ، كان يمكن للحديث أن يجرى بيننا فى أخذ ورد هينئ ، استجلاد لما يخفى عليهم من أصول المشاكل - بوقوفها لما تقيد به مواقفهم ، لولا أحد كبار مساعديه ، عادلتهم من زيارة الى اسرائيل ، منتشيا الفخامة أما عيظ به من حفاوة ، منتفخ الوداج لكثرة ما صب في أذنيه من مهادنة ونفاق .

قاطعتنى مرة بعد أخرى ، ولم يتورع عن مقاطعة رئيسه الوزير نفسه ، ويبدو أنهم كانوا قد أحسنوا تلقينه ، فهناك كلمات معينة اذا دقت أذنه طن لها لسانه بهدير متصل من حجج تلك التي تساق الى العامة فى صفح الاثارة الرخيصة ، وكان سفيرنا قد نبهنى الى ميوله ، ثم أوجست خيفة ، والحق يقال ، حين طالعتى بقامته الصنفه ، وأطل على بهامة تتحرك بحساب وفى استعلاء ، مهابة مظهر أوحى الى برجاجة مخبر ، ثم انه كان يرنو من حين لآخر الى مقعد الوزير بنظرة طموح لا يخفى مغزاها ، فقد قيل أن الأمريكان قد أضجرتهم مواقف الوزير منذ أشهر قليلة فى مؤتمر « بوتنادل است » بالاوروجواى ، ثم أن هذا الاخير قد جاوز السبعين وصاحبنا ما يزال فى عنفوان الشباب .

كنت قد توجهت بحواسى جميعا الى الوزير ، محاولة منى فى أن افرض على الاجتماع روحا من ثنائية حوار ، فيتشأى أى من الحاضرين - اذا كان يتمتع برقم من انضباط - أن يقحم نفسه علينا ، الا أن تمن له ملاحظة فيهمس بها الى اذن الوزير ، ولكن صاحبنا كبس علينا يشطح مرة وينطح أخرى ، فأرده فى آنا وصبر الى أن كشف لي كلامه عن سطحية تفكيره ، فاستدردت أواجبه ، ولكنى واجهته بخبث فوقع فى الفخ وطاح ينطح فى فراغ ، لم أحاول أن أرده كما كنت أفعل من قبل ، بل أحيك له اجاباتي فى صورة تساؤلات ، ألوح له بها فى الحاح فاستدرجه الى الشف عن جهله التام بقضية فلسطين ووقائعها وملابساتها ، وأين تقع المناطق منزوعة السلاح وما آلت اليه وكيف وبفعل من ومتى ، وأربط بين الاحداث واحكام اتفاقيات الهدنة ، فاتساءل عن البنود وتفسيراتها المختلفة ، وحاول جهده أن يطمص وقد أصابه عي قاتل لا يتفق مع الصورة التي أراد أن يكونها لنفسه ، فاندفع يهاجم موقفنا من موضوع العقبة فجفرتنى الى مناقشة القواعد التي يستند اليها القانون الدولى من حيث حق المرور فى المضائق أيا كانت ، وبسالته فجأة عن تلك التي تضمنتها حينئذ حكم اخلدتره محكمة العدل الدولية ، فاذا به يجعل انها فعلت حين عرضت عليها مشكلة مضائق كورفو ، فقفر الى بر اعتقد انه أمان ، وألح الى قرارات لمؤتمر جنيف عام ١٩٥٨ فحاصرته من خلالها حتى حصرته فقد عجز عن أن يفصل بالتحديد القواعد التي برزت وتحدثت خلال مناقشات المؤتمر ، ناهيك عن مختلف التفسيرات القانونية التي يمكن أحاطتها بها .

وقد كان لصاحبنا بقية من ذكاء أوحى اليه آخر الأمر بأن السلامة فى السكوت فزم على شفتيه ، ولكن لم يفته أن يصغر خده إبقاء على مظهر مصلوب هو رأس ماله الوحيد بعد كل .

واتبيح لى أخيرا أن أقبل على وزير الخارجية فاشرح له وضعية اسرائيل من حيث انها دولة توسعية ، لا قائمة لها الا بغرض ارادتها على الواقع المقيم عن طريق واقع جديد تجابه به العالم مرة تلو أخرى ، وأن أساس الازمة التي

يردف ذلك بقوله « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » .

ولما انتهت المقابلة فصافحت الوزير مودعا ، كدت أن اصطدم بمساعده ذلك الذى اختنته مناقشتنا الحامية ، فامسكت بمساعده فجأة وسألته الا تزور القاهرة ؟ فانفجرت أساريره ، ولأول مرة عن ابتسامة عريضة ، ودارت فى رأسه خيالات عن استقبالات حافلة ، ومقابلات وأحاديث واعتمادات بشخصه ، سوف يبرق بتفاصيلها الى صحافة بلاده ، فترفع من مكانته وتدعم أسسه ، وأقبل يشد على يدي بحرارة دافئة ، « انها دعوة اذن ، انى اعتبرها كذلك ، فأجبت « طبعاً وسوف نسعد بقلانك » ، واستمر يهز يدي هزا حتى خشيت أن تنخلع .

وفى المساء ، رأيناه يدخل علينا فى السفارة الجزائرية ، حيث اشترك السفراء العرب فى اقامه حفل استقبال يتيح لى فرص الاتصال بالسفراء الاجانب على أوسع نطاق ، وكان قدومه المفاجيء منار دعشة وتعليقات ، فهو يترفع عن مثل هذه الحفلات العامة ، ولكن كلمتى العابرة التى اعتبرها دعوة ، فتشبت بها ، كانت قد حركت فى نفسه هواجس مبهمه من طموح أعمى .

فما هو موقفه الآن يا ترى ؟ أى نفع هذا يمكن أن تسبغه عليه زيارة للناهرة ، اذ ترقد الآن مسجاة بعد هزيمة مذهلة خاطفة ؟ بل انها فورة الحقد المكبوت نارا لكبر مزقت استناره ، فمرغ به ، هنا فى عقر دار أطماعه ، حين انطلق لسان من القاهرة دعى ، يصليه شموطا من سخرية لاذعة ، استنادا الى مواقع من قوة كاذبة موهومة .

مرت بذاكرتي ومضات من تلك اللقاءات والاحاديث التى زحمت أيامى فى الريو ، ولكن كفانى استرسالا فبعد ساعات سوف ألقى الجنرال « كوستا اسلفا » رئيس الجمهورية ، ولن يتسع وقتى بل لن لن تتسع اهتماماته لافاضة أو تطويل ، وهو الذى يقود دفة تلك البلاد شاسعة الارحاء قارية الأبعاد ، أول رئيس دستورى بعد تلك الهزات

نعيشها انما هو تصاعد تهديداتها تجاه سوريا ، وان سحب الحرب لن تتبدد الا اذا ما ارغمت اسرائيل على احترام نصوص اتفاقيات الهدنة ، فعلا بعد قول ، وخاصة فيما يتعلق بالمناطق منزوعة السلاح .

وأكدت له بوضوح أننا لن نكون البادئين بالعدوان ، ولكن الذى كان يقضى عليه راحه باله هو تصريحات العرب المتكررة عن ضرورة ابادة اسرائيل ومحوها من خريطة الشرق الاوسط فوضحت له ان مشكلتنا الاساسية هى الوجود الصهيونى الذى ادى الى اغتصاب ارض فلسطين بعد ان اعملوا فى سكانها قتلًا وتشريدا ، ذلك الوجود الصهيونى اثر من آثار يهوديه أوربا الشرقية فى القرن التاسع عشر ، التى اوضعت الى تعصب اعمى لروح من عنصرية ضيقة الأفق ، أما يهود الشرق فقد عاشوا بين طهرائيتنا لأجيال طويلة ، كانوا خلالها منا وعلينا ، عربا مثلنا ثقافة وتقاليد ، وان اختلفت بيننا العقائد الدينية أما قيادات اسرائيل فهم اغراب واندون ، وان حاولوا ايهام العالم بأصول عبرية موهومة ، فبن جوريون قد ولد فى بولندا واسمه الحقيقى جرون (١) ، وجولدا ماير (سبيل) مايفتزن (سبيل) من مواليد كييف ، وبن زئى هو صهيونى فقيه رومى الأصل ، واشكول ما زال له اولاد عمومة فى روسيا يحملون اسم شكولنيك ، وإبا ايبان جنوب افريقى عرف باسم الميجور أودرى حين انخرط فى صفوف الجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية .

فقاطعنى يقول : « ولكنكم اعلنتوها حربا مقدسة .. » وابتسم ابتسامة ذات مغزى ، فهو يقصد الى مفهومها الغربى ، ولم يكن المجال ليتسع فأجابه ، وأبين له انه كان تفكيره قد نزع به الى أنها حرب ابادة ، فانها أولا وقبل كل شيء حرب دفاع عن المقدسات فى المفهوم العربى الاسلامى .

قلت له : « سيدى الوزير ، اننا قوم مؤمنون فاذا قال القرآن الكريم « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » فان سبحانه وتعالى

(١) مثل كلمة « أخضر » بالالمانية .

توقف واستدار اذ تنبه أنه جاوزنى دون أن يشعر حين فتحت له الباب .

« اليهود هجموا » ، وتدفقت الكلمات من فم أزيدة الغضب ، « ضربوا مطاراتنا صباح اليوم .. الحرب قامت .. هجموا على خان يونس » ..

« ماذا تقول ؟ » فكأنما يتحدث عن أحداث وقعت فى المريح ، فقد رفضت أن أصدق أول الأمر ، « بالله عليك تجلس ، ومهلا ! من أتاك بتلك الأنباء ؟ وما الذى حدث بالضبط ؟ »

وكان يحمل فى يده وريقات بها نقاط خطها بيده ، وعلمت ان صديقا يوغوسلافيا يعمل بـمكتب بالفسدق لاجدى شركات الطيران قد استمع الى اذاعات الصباح ، وان مصر قد هاجمت اسرائيل ، فأغارت طائراتها على القاهرة وعلى منطقة القنال ، وان اشتباكات دامية تدور فى مداخل خان يونس .

ونظرت الى ساعتى ، انها التاسعة صباحا أى الثالثة بعد الظهر بتوقيت القاهرة ، ولا شك ان الأحداث قد تفجرت هناك قرب الفجر ، أو حوالى الساعة السادسة على أكثر تقدير ، أى بعد منتصف الليل بتوقيت البرازيل ، منذ ساعات تسع اذن أو يزيد ، وهما نحن فى فراغ مطلق ! فى قلب القارة ، فى هذه العاصمة التى ألقى بها بعيدا عن كل اتصال ، على أميال قليلة من أحراش الامازون أو روافده الدنيا على الأقل - على مشارف المجهل الاستوائية لأمريكا الجنوبية - مدينة هى المقر الرسمى لرئاسة الجمهورية والبرلمان وغالبية الوزارات ، ومع ذلك فلا تدب فيها حياة الا مع الثلاثاء من كل أسبوع لتعود فتخمد مساء الجمعة ، أسبوعها أربعة أيام، يتكيفون عليها من كل صوب وكانما هى أيام الحشر ، ثم ينفرون عنها بأسرع مما أتوا ، فاذا بها خاوية على بروجها ، وكانما قد حم بها قضاء من الله .

انى فى حاجة الى كسل نتفة معلومات ، ولكن أئنى لى بها فى تلك البقعة الموات ؟ وطلبت من أبى شادى أن يربط فى مكتب صديقه ، يتابعان ما تنفث به الاذاعات فى رطانتها

المتتالية - استقالة كوادروس ، الانقلاب على خلفه « جولارت » ، الحكم العسكرى لكاستيلو برانكو - وأمامه برامج تنمية ضخمة طموح أشاعت تضخما ماليا طاغيا جموحا .

كان على أن أركز المناقشة فى نقاط محددة، ثم أن أخبر المساء أبرزت بالحط العريض تصريحات لموشى ديان توحى بأن نسمة من تعقل قد هبت على مجالس الوزارة الاسرائيلية تخفف من حمى الحرب التى انتابتهم فأخذت بمجامع قلوبهم .

ولكن أمعقول هذا ؟ بعد أن أقحم عليهم ديان ، بل ومناحم بيجين ؟ ولكنه تقدير يصعب اقتناع المستولين البرازيليين به ، بل ربما اشتموا من ورائه اصرارا من جانبها على التصعيد الى ذروة تسعى اليها ، فيصحب الاصطدام المسلح أمرا لا مفر منه .

تلك التصريحات الحادة سوف تكون اذن محل اعتبار فى حديثى مع رئيس الجمهورية ، ولسوف يدفع بها الى المناقشة ، وراودنى التمنى بأن قد لا تكون خادة بعد كل ، فقد حشدنا قواتنا المسلحة بأعداد ضخمة على الحدود ، وكفى بذلك رادعا لمن لا يرتدع .

وجلست أراجع النقاط التى يجب أن يكون عليها تركيز ، منها أن البرازيل قوة كبرى فى المحيط اللاتينى ، ثم هى عضو فى مجلس الأمن ، فاتدرج من ذلك الى أننا ننظر اليها على أنها ولا شك من الدول العظمى فى عالم الغد ، سوف تضطلع بدور يحتم عليها أن تعد له نفسها من اليوم ، فتترفع عن الانحياز لجانب دون آخر، بل أن تعمل من أجل سلام مبنى على العدل ، وأن ترفع صوتها عاليا فتحذر الدول الكبرى من التدخل فى النزاع والا تعرض العالم لأخطار لا يعلم مداها الا الله .

ومضى الوقت والشمس ترتفع فتذكرو بأشعتها وتعجز مع ذلك عن أن تسلب نسيم الهضاب لمسته الرقيقة المنعشة ، واذا بدقات عنيفة على الباب تنتهك جو الهدوء الذى أحاول دائما استحضاره قبيلا أى مقابلة هامة ، ومرق فريد أبو شادى سفيرنا بالبرازيل بخطوات واسعة عجلي ، يجيل البصر يمينا وشمالا ، ثم

البرتغالية ، فأحصل على ترجمة دقيقة لكل ما يقال .

دارت مقابلتي لرئيس الجمهورية في جو مشحون ، عو ضخمة الجثة له سمعة من نزاعة ومروءة لا تتوافران فيمن خسرته المناورات الحزبية من محترفي السياسة ، أتى من صفوف الجيش الى مركز الرئاسة ، ولكنني أرى جسده البدين يهتز بانفعال مكبوت ، وتضطرب في يده ورقتان ، واضح انهما برقيتان ، ويبتدري بخبر مقتل جندي برازيلي من قوات الطوارئ في قطاع غزة ، فهو الحطب الجلل لذلك القائد السابق الذي يعلم أن جنود البرازيل انما ذهبوا الى هناك حفاظا على السلام .

قطع على حديثي اذ قلت اني آتيت أصلا في مهمة سلام ، ولكن اسرائيل اختارت الحرب ، فهي الحرب الشاملة اذن ٠٠٠ »

« ولكن الأقوال متضاربة ، ولم يبن لنا بعد كيف بدأ القتال » واختلجت قسمات وجهه بألم دفين وتهددت نبرات صوته بأسى عميق . وحانت مني التفاتة سريعة الى وزير خارجيته ، وقد تهدل على مقعد مجاور في عياء ظاهري . فتذكرت تحذيرا كان قد أوردته ، من أن احتشاد القوات وجها لوجه ربما تولدت عنه شرارة احتكاك ، فلما أكدت له أننا لن نكون البادئين أبدا ، أشاح ببسده تعبيرا عن تشككه في قدرة البشر على كبح احتمالات النزوة الطارئة اذا ما اضطرمت نفوسهم بصنوف من شحن وتعبئة .

وضغطت على كلماتي فاخترق بها أستار الشك ، اذ تتكاثف فتندثر بإيغار الصدور ، فهناك تلك الصورة عن مواطن برازيلي قد اغتيل غدرا تترافق أمام أعينهم ولا تستكين ، وتشدهم الى جرح حول مصير يتهدد العشرات من زملائه حبسوا في القطاع ، فتتهم الدولة بأنه قد غرر بها فساقط نفرا من أبنائها الى مجزرة كان في وسعها أن تتجنبها لو أنها نفذت الى شراسة النيات التي انطوت عليها الضمائر في ذلك الشرق البعيد .

كان على أن اخترق أستار الشك فلا تتساعد المشاعر المتوترة الى وغرة من اتهام حاقد ،

وضغطت على كلماتي : « أنى أعرف رئيسي جال عبد الناصر ، بل ان سجله ليشهد بأنه اذا قال أوفى ، ولقد أكد أننا لن نكون البادئين بالعوان ، وأعلن أن قوات الطوارئ المنسحبة هي في حمايتنا ، فالاعتداء اذن من خارج ، لم تعرض له القوات البرازيلية وحدها وانما قواتنا ايضا ، ان اسرائيل هي التي هاجمت خان يونس ٠٠ »

وقاطعني وقد لاحظت أن موجة الاتهام المستتر قد انكسرت حداثها بعض الشيء ، ولكنها اذ فعلت كشفت عن خلفية من قلق وحرص بالغين ، فهو يتسكلم عن ضرورة حصر النزاع حفاظا على السلام العالمي في نفقة من قلوب محفوظة بينما يزحف بيديه الى مساند المقعد فتتقبض كأنما يستجمع نفسه فينهض ، فتكون الإشارة الرسمية بانهاء المقابلة .

ولكن لم أكن قد قلت ما أريد أن أقول ، فانطلقت الكلمات متدافعة ، انها لن تنجح في منعه من القيام اذا ما كان قد صمم ، ولكن همي كله في أن أدفع بها الى الخارج ، فإذا عجزت عن النفاذ الى مسامعه ، فلعلها أن تترك في القاعة صدام يكون لها تأثيرها اذا ما انطوى على نفسه فيما بعد فقلب جواب الموضوع .

البرازيلي الرئيس ، الموضوع خطير ، وربما امتد لهيب الحرب خارج حدود المنطقة اذا اقحمت بعض دول كبرى نفسها على النزاع ، هذه لحظة تاريخية بالنسبة للبرازيل ، فيلجأ الى نفوذه الكبير ويحذر الدول الكبرى من عواقب التدخل .

« طبعاً ، طبعاً » قالها ، وشدد هذه المرة على مساند المقعد ينصب قامته فيضعني أمام الأمر الواقع .

وعذرتة فيما بيني وبين نفسي ، فلما تمض ساعات على اندلاع الحرب فكيف نفسر اذن للرأي العام ظروف تلك المواجهة ودواعيها ، رئيس الجمهورية يسارع فيستقبل « مبعوث ناصر » ، ذلك الرجل الذي دأبت أجهزة الاعلام على تصويره محركا للمتعاسب ونافخا في جذوة المشاعر فيؤججها ، واذا كانت البرازيل قد رحبت بمقدمي أول الأمر فذلك لأن لعبد الناصر مكانته في قلوب الشعوب جميعا ، أما الآن وفي هذه اللحظة ٠٠

فقد دارت المواجهة في جو مشحون ، أشعرت خلالها ، بل منذ لحظة الأولى ، أنى قد منحت دقائق من وقت رئيس الجمهورية أداء مظهرها لوضع « مرسى » ، فقد تحدث لها ميعاد ولا مخرج لهم الا أن تم وتكفى ، ويبدو ميعاد أنهم قرروا ، اذ عجزوا عن التحلل منها ، أن يستغلوا فرصة فيقروا اسماعى بخبر ذلك الجندي البرازيلي الذى قضى نحبه ، فينخل قلبى لتلك الحسيبة التى ادى اليها اندلاع الحرب فى الشرق الأوسط .

أما الركن الهام فى مثل هذه المقابلات - أن يجد المرء أذنا صاغية - فقد كان معدوما ، أذان ستة فى مواجهتى ، ولكن أربعة منها قد صمت ، والباقيتين يملكهما المترجم ، وظيقتهما التقاط عجمة الكلام ثم إعادة تنسيقه فيعيد اللسان مفهوما ، عملية التهمة الدقائق المتاحة التهاما ، فهى على أهميتها عائق مفرغ أضيف الى جميع ما قابلت من حواجز ، وقفت حالا بينى وبين خلق الاتصال الانسانى الذى كنت أسعى اليه ، والذي اعتقد أنه ضرورة لازمة فى مثل هذه الاتصالات .

ومع ذلك فقد أطلقت بعض قذائف ، وكان أن صدر في المساء بيان رسمى من وزارة الخارجية البرازيلية يهيب بالدول الكبرى الا تنزلق الى الاشتراك فى النزاع ، ولكن هل يعود ذلك الى مجهود بذلته أم أنه رجع صوت كلييل لذلك البيان الآن المخاتل الذى أصدرته واشنطن تدعى فيه التزام الحياد ؟ ولكن صدر بيان آخر ، لم يسوزع الا فى أضيق نطاق ، فيه تحذير من الحكومة البرازيلية بتوقيع عقوبة السجن على كل من يتطوع فى صفوف الجيوش المتقاتلة فى الشرق الأوسط ، وكان واضحا انه قصد به الى التلباب اليهودى بالذات ، الذى تحرص الصهيونية العالمية كل الحرص على تدريبه عسكريا خلال زيارات دورية تنظنها لهم « القيوتسيم » على أرض اسرائيل ، فهم قوام جيوش ضخمة من متطوعين .

ولكنه بيان سمعت بصدوره فصدقته وربما لأنى كنت أريد أن أصدق ، وأن حديشى قد أحدث أثرا ، ولكنى أنظر الآن الى مواقف البرازيل ، فأتساءل هل صدر حقا ؟

وأبقيت عندئذ أن رئيس الجمهورية ود لو تملىص من مقابلتى حين لعلت الاذاعات بأنباء الحرب ، وكنت قد أبلغت فعلا بتأجيل المواجهة مرة أخرى ، ولكنهم لم يجدوا لأنفسهم مخرجا آخر الأمر ، فهى مقابلة سبق أن اتفق عليها منذ يومين ، ولما حان الميعاد المأجل لم تأت السيارة التى كانوا قد وعدوا بأن تقلنى الى مبنى الرئاسة ، لولا « عواد » ذلك الشاب الفلسطينى المهاجر ، الذى سارع إلينا من ضاحية بعيدة بمجرد أن انطلقت من الاذاعات أخبار الحرب ، فدخل علينا وجسمه ينتفض جزعا وحماسا ، لولا سيارته الخاصة لما تمكنا من أن نصل الى رئاسة الجمهورية فى الوقت المحدد ..

ولمحت بادرة من رئيس الجمهورية اذ يمد يده فيصافحنى ايدانا بانتهاء المواجهة ، بادرة لم يكن يسعنى أن أتجاهلها ، ولكن هذا الاصرار من جانبه دفعنى فجأة الى التصميم على أن أفرغ ما فى جعبتى ، ضاربا عرض الحائط بالاعتبارات الخاصة التى تقيد مواقف البرازيل فى الولايات المتحدة ، فقد تمجلت تنفيذ برامج التنمية عن طريق الاستثمارات الأجنبية فوقعت تحت سيطرة الاحتكارات العالمية ، ثم انهار واقعة تحت رحمة الأسواق الامريكية أساسا فيما يتعلق بمحصلوها الرئيسى ومصدر إيراداتها الرأسمال والاعتماد حقا ؟ - الذى هو البن .

هيمت الى الامام وكأننى قد استجيت ، ولكنها لم تكن الا نصف خطوة ، ثم تدفقت الكلمات وكأنها قد طرأت على خاطرى فجأة : « ثم شيء آخر ، سيدى الرئيس ، أصل الأزمة كلها هو اصرار المخابرات الامريكية على قلب نظام الحكم فى دمشق ،حكام اسرائيل وقادتها العسكريون لم ينقطعوا عن تهديد سوريا فى الآونة الأخيرة ، وهذه هى الحلقة الأخيرة من سلسلة متصلة من مؤامرات استهدفت سوريا ، المخابرات الامريكية وراء كل هذا ، انها تهدد كل حكم وطنى ، انقلابات مؤامرات ، اغتيالات ، لم تسلم منها بقعة على وجه الأرض .. »

غادرت مبنى رئاسة الجمهورية البرازيلية منقبضا متوتر الأعصاب ، وهو أمر لم أتعرض له من قبل الا فى النادر القليل .

معه جهاز استقبال فنلتقط اذاعة القاهرة ، فلما كان منتصف الثالثة سمعنا فعلا للحن المميز لنشرة اخبار الثامنة والنصف بتوقيت القاهرة ، وحسبت انفسى استمع الى البلاغات الحربية التى تتابع صدورها منذ الصباح ، ثم اصابنى وجوم صدى عن الاستماع الى بقية النشرة ، فغادرت غرفة أبى شادى حيث كنا ، وذهبت الى غرفتى ألقى بنفسى على أول مقعد يصادفنى ، ثم أقوم وأدور وأعود فأجلس ، أدخن سيجارة تلو أخرى - لم أسمع الا كلاما يتقصه التحديد ، ثم لاشىء عن اغارات طائراتنا على أرض اسرائيل ، بل لاشىء عن قصف جوى لتجمعات العدو ! لماذا .. لماذا .. ثم لماذا ؟

ورفضت رفضا باتا أن تتجه بادرة من تفكيرى الى أحداث ١٩٥٦ ، فأعقد مقارنة ولو من بعيد ، فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟

ومضيت أذرع الغرفة المحموم ، أودم (يتسديد الواد) مع حيرتى فلا أستقر طالما عجزت هى الأخرى عن أن تجد لنفسها محطاً .

وصلت بنا الطائرة الى الريو مع غروب الشمس ، فاذا بالمطار يعج بالوف المستقبليين ، وقد بحثت عن اخواتهم يهتف كالصراخ ، واندفعت الجموع نحوى ، ولكنى شعرت فجأة بشخص يطبق على ذراعى فيأبسطها فى اصرار ، وهمس فى أذنى بأنه من الشرطة السرية مكلف بحمايتى ، ثم طالعتنى وجوه السفراء العرب وهم يحتضنوننى واحدا بعد آخر ، اساريهم تنطق بيشر طاغ ، وكأنما قلوبهم تكاد تقفز من بين ضلوعهم .

بعد دقائق كنا نجلس جميعا فى مكتب أبى شادى بسفارتنا وتنطلق الكلمات وكأنها صواريخ الاعياد والافراح ، فيهتز لها جسد حسن السقا القائم بأعمال سوريا : « ضربنا حيفا وحططنا منشآت الميناء .. أسقطنا ٣٧ طائرة .. قواتنا تزحف مع العراقية نحو الناصرة » . وأنظر من حولى وأنا لا أكاد اصدق ، فيلوى فريد حبيب سفير لبنان رأسه فى هدوء وتفرج تجاعيد وجهه عن ابتسامة هائلة : « اما نحن فقد أسقطنا ثلاثا » ويرفع من اصابعه ما يؤكد به الرقم المذكور .

وقادنا عواد الى مبنى البرلمان ، فان له فيه اصدقاء ، وكنت أشك فى جدوى مانفعل ولكن كان على ألا أهدر فرصة ، وقطعنا الأروقة الطوال وانعطفنا الى مداخل ، ولسكنها خاوية جميعا ، « فأسبوع برازيليا » لم يكن قد بدأ بعد ، وخيل الى اننا نجوس الأزقة المسقوفة لمدينة مهجورة ، وانطلقنا مع ذلك لنج الدروب ونودر مع الشعاب ، ثم نرتد على أعقابنا اذا ما انسدت أمامنا فجأة المنافذ ، واخيرا عثرنا فى غرفة منسقة الموقع بأحد أعضاء لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب ، لا أدري والله ماذا كان يفعل ، فهو من طينة أخرى ولا شك ، كان يجلس الى ملفات من أوراق يقرأ فيها ، وهل لمقدمنا فهو يعرف عوادا أم أنها كانت فرصة للترويج بعد ساعات من دراسة أوشكت أن تصيبه بكلل أو ملل ، وجلسنا اليه ومضت ساعة وبضع ساعة حاولت خلالها جهدى أن أعطيه صورة واضحة لمعالم الأزمة فى الشرق الأوسط ، كما أجبت على عدد من أسئلة طرحها علينا .

ولم يكن يوسعى عندئذ أن أقيم تلك المقابلة من حيث احتمالات ايجابية نتائجها ، ولكنها على الأقل أعادت الى نفسى بعض هدوء ، فقد وجدت فيها ذلك الذى افتقدته طيلة يومى - أكفا أصاغت الى ما أقول وأبدي صاحبها بعض اهتمام - كان ذلك ارضاء لصديقنا عواد ، أم عن كياسة مطبوعة ؟ ولكنها مقابلة اعتقدت انى لن أنساها مدى العمر ، فقد انعقد خلالها اتصال ، واتصال انساني قبل كل شىء .

ككذا خيل الى ولكنى اذ أجلس الآن الى الورق فأحاول الرجوع بذكرتى الى أحداث ذلك اليوم المشنوم ، الذى تتالت من بعده ضربات القدر ، قاسية ضارية فتال من صميم كرامة وطنى ، وأمضى فى طريق الأيام الآسية ، ذاعلا عن كل ما حوى ، فان الذى يمثل أمام ذاكرتى بوضوح لهو التفاصيل المفضة لتلك المقابلة الأخرى التى جرت فى القصر الجمهورى ببرازيليا ، فهى التى لن أنساها طيلة عمرى ، أما تلك المقابلة الأخرى فقد تاهت معالمها وتبددت الى ذكرى مبهمه عابرة - واحة نعمت فيها بلحظات قصار من راحة فكر بعد وعاء من تمر وتخبط . وانطلقنا الى الفندق ، وكان عواد قد أحضر

وتعلمت فان من طبيعتي الحرص في مثل هذه المواقف ، حتى فيما بيني وبين نفسي ، فأرفض الانزلاق الى تساؤل ولو اجمعت البشائر بان ما يرجوه قلبي قريب التحقيق ، بل افضل أن أمسك بجماع مشاعري كأنما بالجملة مشدودة ، حتى تبين النتائج فتصيح واقعا لا مرد له ، ولكن حسن السقا القائم بالأعمال السوري لا ينني عن التعقيب على أخبار انتصاراتنا المزعومة : « وهل تتخلى أمريكا عن إسرائيل هكذا ؟ » هل تتركها تتحطم وتنهار ؟ »

جملة أثارت شكوكي أول الأمر حول جدية البيان الأمريكي بالتزامهم الحياد ، ولكنها شكوك سرعان ما تبددت تحت طرقات الكلمات وهي تتردد مرة بعد أخرى ، فيستمد رنينها قوة من رجوع صدها ، وتنداعى الشكوك اذ تتراقص امام مخيلتي مظاهر تفتت الوجود الصهيوني الذي طالما تمنينا انحساره عن أرض فلسطين .

وحدث ما لم يحدث من قبل فطوحت بالحرص بعيدا ، وقد سرت الى العدوى ..

وخطوت الى القاعة التي اجتمع فيها الصحفيون ، اتضع تواضعا لا أشعر به وأنا آحييهم فاتخذت نفسي مقعدا ، وكنت قد تحسرت على تلك الجملة التي ألقيتها في الصباح على رئيس الجمهورية ، فصدد نفسه عن أن يسمعها ، فحرام أن تضعي ، انها المدخل السليم الى تصريحات الليلة ، والتي سوف تقرأها ريو جميعا صباح الغد ، ريو مدينة اللهو الصاخب ، والساميا والروميا ، فليرقصوا حتى الصباح ، وليفترش شبابها رمال الكوباكيانا طيلة الليل فتنتطب على صفحاتها آثار المناغشات الخفيفة هنا والدعس المتصل هناك ، فلتفعل ريو دي جانيرو ما تريد ، هذا المساء وكل مساء ، انما موعدي معكم جميعا على صفحات الجرائد في الصباح !

« سادتي رجال الصحافة ، تعلمون اني اتيت الى البرازيل في مهمة سلام ، ولكن إسرائيل اختارت الحرب ، فهي الحرب الشاملة اذن ! »

وتحسرت الاقلام تلتقط كلامي أو تسجل نقاطا ، وعجبت لرئيس الجمهورية كيف فاته أن يتذوق حسن سبك العبارة ، ولكن لا محل للأسف ، فهذا شأنه ، « ذنبه على جنبه » ، فان

وسمعت أيضا عن احتلال القوات الاردنية لجبل الكبير ، وانها اقتحمت القدس الجديدة ، حيث يدور القتال عنيفا في شوارع المدينة ، وان المدفعية الاردنية تدك تل ابيب ...

وحانت مني التفافة الى حفيظ كerman سفير الجزائر ، جالسا في استرخاء بينما تلمع عيناه ببريق النصر ، فاشعر بطمأنينة غريبة ، فهذا رجل لا يتأثر الا بالوقائع ، نضاله داخل فرنسا نفسها معروف مشهود ، حتى أنه حظر عليه ولدة طويلة بعد الاستقلال دخول الاراضي الفرنسية ، اما صديقنا فتيح فهو لا بهذا يمكن ، يخرج ويدخل ثم يعود فيخرج وقد تفشخت اساريره عن سعادة غامرة .

واجلبه الى فاهمس في اذنه « وماذا عن الجبهة المصرية ؟ » فقد تبدد قلقي امام تلك المظاهرة المتصلة المتجددة من مشاعر اطلق لها العنان ، ولكن والحق يقال ما يزال ينخر في قلبي شعور مبهم ترسب عن تلك الحيرة التي تملكنتني حين استمتعت منذ ساعات في برازيليا الى اذاعة القاهرة ، وعلقت به الراح شاذية من بعض خجل - جميع تلك الانتصارات بطول الجبهات العربية دون مصر ! لا شك أن إسرائيل قد حشدت قواتها جميعا على جبهتها ، فالانتصار كفييل بتحقيق المكسب لها آخر الأمر .

وكان أبو الخير مستشار سفارتنا قد أقبل على هو أيضا ، وظهر الجسد على وجه فتيح « لقد تحطمت القوى الجوية الاسرائيلية في هجماتها على مصر ... انتهت ... لم يصبح لها وجود ... الرئيس جمال عبد الناصر اصدر أوامره الى الجيش بالزحف الى تل ابيب »

وهز أبو الخير راسه مؤكدا : « انتهى الأمر ، اقتحمت مدرعاتنا خط الحدود وتوغلت عشرات الاميال ، هناك تصریح من ليفي اشكول نفسه بأن القتال يدور حاليا داخل إسرائيل في ثلاث مناطق على الاقل »

وحاول فتيح أن يكتم ضحكة فرقت في حلقة : « ألا تقابل بعض الصحفيين ؟ جمعت لك نخبة منهم ، ثلاثة أو أربعة ... »

من عجائب الديمقراطية الأمريكية

بقلم: الدكتور محمد عوض محمد

الحزبين الكبيرين • ولكل ولاية حاكم عام ومجلس شيوخ ونواب • ويهيمن على الشؤون العليا للدولة الحكومة الفدرالية التي مركزها واشنطن، ورئيسها هو رئيس الولايات المتحدة كلها • ومنصبه أكبر مناصب الدولة بل إن الغرور يدفع الأمريكيين إلى القول أنه أعظم منصب في العالم !

وينتخب الرئيس مرة في كل أربع سنوات ولكن هناك انتخابات أخرى « ثانوية » تجري كل سنتين ، الملء الأماكن الشاغرة في المجلسين • • غير أن عام انتخاب الرئيس ونائبه ، هو الذي يطلقون عليه عادة اسم « سنة الانتخاب » في تلك السنة تكون الانتخابات هي الشغل الشاغل لجميع السكان ، ولوسائل الاعلام • ولكن الظاهرة الهامة في الولايات المتحدة أن

الانتخابات للمناصب الرئيسية ، مثل رئيس الدولة ونائبه ، وأعضاء الشيوخ والنواب ، وحكام الولايات ، ليست هي كل شيء • بل هناك آلاف ، بل عشرات الآلاف ، من المناصب تجري عليها الانتخابات ، فيسقط الموظف بانتهاء حكم الحزب المهزوم ، ويتقلد المنصب آخر بتأييد الحزب الظافر • • فتصبح الانتخابات مسألة في غاية الخطر بالنسبة للآلاف من المواطنين • ومن الغريب أن هذه المناصب التي تتغير بتغير الحزب تتناول كثيرا من المناصب ذات الصفة القضائية ، أو تتعلق بشئون الامن العام ، وقد عجزت الديمقراطية الأمريكية أن تخلق ذلك النظام السائد في جميع العالم المتمدن ، وهو حياد الموظف وثباته في وظيفته ، مهما تغيرت الأحزاب والحكومات • •

لهذا كانت معركة الانتخابات في أمريكا

من أكبر مظاهر الغرور عند الأمريكيين توهمهم أنهم يعيشون في نظام ديمقراطي مثالي ، يفوق أي نظام ديمقراطي في العالم • ومع ذلك فإن هذه الديمقراطية الأمريكية تشتمل على عناصر تجعلها أعجوبة بين النظم الديمقراطية • • إن الأركان الأساسية لكل نظام ديمقراطي ، تتمثل في أمور معروفة ، أهمها التمثيل النيابي ، المبني على الاختيار الحر ، مع تكافؤ الفرص لجميع الأفراد والهيئات والأحزاب ، وفيها يتمتع الأفراد جميعا بالمساواة في الحقوق والواجبات ، دون أي تفرقة أو تمييز : ومنها أن تكون الحرية لجميع المواطنين هي أساس الحياة في المجتمع • وفي جميع المرافق وأوجه النشاط • وهذه الحرية لا تخضع إلا لحكم القانون العام الذي سنه الشعب لنفسه ، ويسرى على جميع أفرادها • ولكل دولة ديمقراطية نصيب يزيد أو ينقص قليلا من هذه المبادئ الأساسية للنظام الديمقراطي • ونود هنا أن ننظر إلى نصيب دولة الولايات المتحدة الأمريكية •

أساس الكيان السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية انقسام السكان إلى حزبين اثنين : الديمقراطيين والجمهوريين • وقد فشلت الجهود التي بذلت أحيانا من أجل إنشاء حزب ثالث ، لأن كلا من الحزبين له من القوة ما يمكنه من أن يسحق أي حزب جديد • مع أن مثل هذا الإجراء ليس من الديمقراطية فإن السكان ألفوه ، ورضوا بأن ينضوي كل منهم تحت واحدة من الرايتين ، وتتألف الولايات المتحدة من خمسين ولاية ، يتمتع كل منها بشيء كثير من الاستقلال ، في الشؤون الداخلية ، وفي هذه الولايات أيضا ينتهي الناحبون إلى نفس

لصهيونيين أن يجدوا الوسيلة الى تعيين أحد أنصارهم في منصب قريب من الرئيس . .
 هكذا كان شأن دافيد نيلز David Niles
 في عهد ترومان . وقد دعاه بحق ليليتال :
 أول سفير يهودي في البيت الأبيض . . وفي
 الوقت الحاضر يتولى نفس المنصب شخص آخر
 يدعى والت روستو ، وهو من نفس الطراز .
 حدث في سنة ١٩٤٨ ، عندما صدر القرار
 بتقسيم فلسطين ، وبذل الأمريكيون جهودا
 جبارة في هذا السبيل . ثم تبين للرئيس
 ترومان أن الأمن ليس سهلا خصوصا إذا أريد
 حقن الدماء ، وأن يتم التقسيم برضاء الأطراف
 المتنازعة ، وكان وزير الخارجية في ذلك الوقت
 هو الجنرال مارشال . وكان من رأيه قبل
 التقسيم أن تكون هنالك وصاية للأمم المتحدة
 على فلسطين الى أن تتفق السكان على حل .
 وأخذ رجال الخارجية يشرحون هذا الأمر
 للرئيس حتى كاد أن يقتنع ، بل لعله اقتنع
 فعلا . . . فقدم وفد الولايات المتحدة مشروعا
 بالوصاية لمجلس الأمن بنسأ على موافقة
 الرئيس . .

ولم تمض أيام حتى حضر الى البيت الأبيض
 أحد مستشاريه السياسيين ، وقال للرئيس
 (إن تحول الفكرة الوصاية سيفقده منصب
 الرئاسة في الانتخابات المقبلة وأن لابد من
 المحافظة على أصوات اليهود وأحسن الرئيس
 شيئا من الحرج . . وفي صباح يوم ١٤ مايو
 سنة ١٩٤٨ خلا الى مستشاريه وخلصائه .
 ودار بينهم حديث خاص .

وعلى أثر هذا الحديث ، أرسل الرئيس
 ترومان في طلب المدعو الياهو ابشتتن (الذي
 صار فيما بعد الياهو ايلات أول سفير
 اسرائيل الى الولايات المتحدة) . وكان في ذلك
 الوقت ممثلا للوكالة اليهودية . فلما حضر الى
 البيت الأبيض قال له نرومان : انه يود أن
 يعترف بحكومة اسرائيل فور تكوينها . ولكن
 هذا يجب أن يسبقه طلب منها باعتراف
 الولايات المتحدة . . فقال ابشتتن : ان الوصاية
 ستنتهي رسميا الساعة ١٢ في منتصف الليل ،
 أي الساعة السادسة مساء بتوقيت واشنطن .
 وستولد الدولة الجديدة الساعة السادسة
 ودقيقة . وليس من السهل عليها أن تبق

معركة مسعورة ، كل حزب يحاول أن يجمع
 الانصار والأموال ، ويبدل الوعد المعقولة وغير
 ويضحى بكل القيم ، وتخرب كل الذمم . وفي
 أثناء عام الانتخاب هذا لا يكاد أو لو الأمر أن
 يفوما بأي عمل ، الا واعينهم على ما قد يكون
 لهذا العمل من تأثير في الانتخابات .

أعلى مناصب الدولة ، يتمتع به أحيانا رجل
 كف عظيم ، ويتولا مع الأسف أحيانا وغد
 لثيم . . ووزراء الدولة مسئولون أمامه ، لأمام
 البرلمان ، بل انه قد يرفض اقتراحا للبرلمان ،
 فلا يجوز للبرلمان أن ينفذ اقتراحه أمام معارضة
 الرئيس الا بأغلبية ثلثي الأعضاء . وهو وحده
 الذي يبت في السياسة الخارجية ، اذ ليس
 هذا من اختصاص البرلمان . وان كان لمجلس
 الشيوخ الحق في أن يعترض على تعيين شخص
 ما في منصب السفير . وقلما يحدث هذا
 الأمر .

ومع ذلك فانه قد يخضع في الشئون
 الخارجية لرأي عصابة لا علاقة لها بالبرلمان ولا
 بحزب من الأحزاب . . فقد أراد رئيس الولايات
 المتحدة مرة أن يعين السناتور فلبرايت وزيرا
 للخارجية ، فاعتزمت العصبة الصهيونية . .
 فاضطر الى العدول عن تعيينه .

وبالرغم من أن هناك وزارة للخارجية
 تدعى وزارة الدولة State Department وتعد
 أهم الوزارات ، ووزيرها يحتل المنصب الثالث
 في الدولة بعد الرئيس ونائب الرئيس ، ومع
 أن جميع مناصب هذه الوزارة ومناصب السلك
 الدبلوماسي فيها يجري تعيينها بقرار من رئيس
 الولايات المتحدة ، فان هذه الوزارة لا تدير
 دفة الشئون الخارجية ، بل يديرها دائما البيت
 الأبيض .

ومن المعروف أن وزارة الخارجية الأمريكية
 كانت في السنوات العشر ما بين ١٩٤٦ و١٩٥٦
 تضيق ذرعا بسياسة الحكومة الأمريكية في
 شأن فلسطين وكان هذا واضحا حتى أحس به
 الصهيونيون ، ولم يستطيعوا أن يؤثروا في
 وزارة الخارجية ، فانصرفوا عنها تماما ،
 واتجهوا بنشاطهم كله الى البيت الأبيض ،
 حيث يمكنهم أن يؤثروا بأصوات اليهود في
 انتخابات الرئاسة ، وبأموال اليهود في تمويل
 الحزب الذي ينفذ ارادتهم . وقد أمكن

يطلب الاعتراف قبل مضى بضع ساعات :
ولكنه سعيد جدا بما سمعه وسيلعب الامر فورا
الى تل أبيب .

ومن الطريف الذي يرويه ليلنتال أن الذين
شهدوا الاجتماع اتفقوا على ألا يبلغوا الخبر الى
الجنرال مارشال وزير الخارجية ، الا في آخر
لحظة ..

وأكثر من هذا أن الرئيس ترومان لم ينتظر
حتى يأتيه الطلب من الحكومة الجديدة ، بل
بادر باعلان اعتراف الحكومة الامريكية بإسرائيل
قبل أن يأتيه الطلب بنحو عشرين ساعة .
ومن الغريب أن قرار الاعتراف يقول « بناء
على الطلب الوارد من حكومة اسرائيل » .
ولم يعبا الرئيس وهو يبعث ببرقيته اعترافا
بدولة « اسرائيل الجديدة » انه في تلك اللحظة
كان عضو الوفد الامريكي يدلي ببيان أمام مجلس
الامن بضرورة وضع فلسطين تحت وصاية الامم
المتحدة !

وأكثر الناس يرون أن تطرف « البيت
الابيض » في تأييد الصهيونيين هو من أجل
الحصول على أصوات اليهود في الانتخابات ،
وعلى تبرعاتهم لمالية الحزب الديمقراطي . ومن
الجانز أن يتساءل البعض « اليس هناك شيء
من الفائدة المادية يصل الى الرئيس نفسه ،
أو الى بعض المقربين اليه ؟ من المؤكد أن هناك
رؤساء مثل ايزنهاور وكيندي ، لن يقبلوا أن
يتقرب اليهم بنفع مادي ، ولكن هذا الامر ليس
ببعيد الاحتمال عن أمثال ترومان وجونسون
.. فقد ذكر ليلنتال ، وهو ثقة في هذا
الامر ، أن ترومان قد تناول مساعدة عظيمة في
أعماله المالية من شريكه المدعو جاكوبسون ومن
المعروف الذي تحدثت به الصحف الامريكية أن
زوجة جونسون المسماة ليدي بريد تمتلك محطة
للتلفزيون في تكساس . وقد انهمرت
الاعلانات السخية على هذه المحطة ، حتى
تزايدت أرباحها الى أبعد الحدود !
وأشارت الصحف أخيرا نقلا عن مصادر
امريكية الى تلك اللجنة الخاصة من رجال المال
التي تتولى تنمية ثروة الرئيس جونسون .

التمثيل النيابي

نتنقل بعد ذلك الى التمثيل النيابي الذي
يأثقل من مجلس شيوخ ومجلس نواب . وعلى

الرغم من أن الشئون الخارجية من اختصاص
رئيس الدولة كما قدمنا ، فإن للبرلمان بعض
النفوذ في المسائل الداخلية ، وله حق تأليف
اللجان ، ومنها لجنة للشئون الخارجية ، وإن
كانت لا نفوذ لها .

ومع ذلك فإن البرلمان الأمريكي إذا اتخذ
قرارا ، فإن رئيس الدولة له الحق ، كما ذكر
آنفا في أن ينقض ذلك القرار . ولا يملك
البرلمان أن يقرر أمرا رفضه الرئيس الا بأغلبية
ثلثي الأعضاء ! وهذا من أعاجيب الدستور
الأمريكي الذي يجعل كلمة الرئيس الأمريكي
معادلة لثلثي الأعضاء .

ولعل أغرب أمر في النظام - أو في عدم
النظام - النيابي الأمريكي هو أن أعضاء البرلمان
لا يصدرن في آرائهم عن وحي من ضميرهم
أو اقتناعهم ، بل عن وحي أصحاب المصالح ،
فإن كل هيئة ذات مصلحة خاصة - في
الداخل أو في الخارج - لها مكتب خاص في
واشنطن ، وظيفته الاتصال بأعضاء الكونجرس
والتأثير فيهم . وهذه الهيئات هي التي يطلق
عليها اسم لوبي Lobby أو الأروقة
والكواليس ، أي أن أصحابها يقضون مصالحهم
ويستغلون الأعضاء لا في قاعة البرلمان ، بل
في المصالحات معهم في الكواليس والأروقة ،
والأماكن الواقعة خارج البرلمان .

وإذا كانت هيئة من الهيئات لا تريد أن
يكون لها مكتب دائم في واشنطن ، فإنها
تستطيع أن تكلف هيئة أمريكية ، متخصصة
في الدعاية وصناعة الأروقة ومركزها في
واشنطن وفي غيرها من المدن الهامة ، أن
تؤدي هذا العمل بالنيابة عنها - نظير أجر
معلوم ، ولا شك أن هذه الهيئات لها صلات
« ودية » مع عدد من الأعضاء في الكونجرس
الذين لهم مقدرة على التأثير في قرارات المجالس
واللجان ، كما أن هذه الهيئات تتوسط في
النشر بمختلف وسائل الاعلام حتى تخلق الجو
الذي يساعد أعضاء الكونجرس على تكوين
آرائهم .

هذه الهيئات تدعى أو تسمى نفسها «هيئة
للعلاقات العامة ، ولكن الاسم الشائع عنها
هو أنها هيئة كواليسية Lobbyist

التفرقة العنصرية

ومما يدعو للأسف أن الزواج في أمريكا ليست لهم دعاءة من عمال الكواليس هؤلاء مع أن زنجيا خائنا مثل تشومبي استطاع بأموال كاتنجا أن يكون له في واشنطن كواليس شديد النفوذ

وحالة الزواج في أمريكا هي أكبر عار يدمغ الديمقراطية الأمريكية ففي الولايات المتحدة اليوم نحو العشرين مليوناً من الزواج أو عشرة في المائة من السكان . وهم جميعاً من نسل أفريقيين، جاء بهم عبر المحيط، ليعبأوا رقيقاً لأصحاب المزارع . في الوقت السدي لم يكن هناك أيد عاملة ، وجامدوا حتى نالوا على مضى الزمن ، حريتهم ، وأبطلت حيازة الرقيق وتجارتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . . . ولكن هذه الحرية النظرية ، لم تنلهم ما يرجونه من حياة كريمة . وهناك ولايات في النصف الجنوبي من الولايات المتحدة ، لا يزال الزواج فيها يعيشون في حالة كلها خشن وذلل .

هذه الولايات الجنوبية مثل ألاباما وجورجيا ولويزيانا مسيسيبي ، لا تقبل في اضطهادها للزواج عن المساواة التي نسمع بها عن أرقياً الجنوبية . فجميع الزواج هنا يعيشون حياة اليأس والفنك ، ويحتفرون أحقر الحرف والويل للزنجي إذا ظن أنه ينظر لامرأة بيضاء أنه جدير أن يضرب ويهان ، وإذا قتل ، لن يكون هناك محكمة تدنن قاتله .

وفي الجنوب تلك الجمعيات التي يرتدى أفرادها الملابس البيضاء ، وتسمى نفسها كوكلكس كلان والتي لا تتردد في التفك بالزواج لأوى الأسباب . ولا بد للزنجي في الجنوب أن يطعموا في مطاعم الزواج ، وأن يرتادوا القهوات الزنجية ، ومسكنهم الزرية في أحقر الأحياء . ومهما كان نصيب الزنجي من الثقافة والتعليم ، فانه لن يستطيع في الولايات الجنوبية أن يحصل على منصب كتابي في شركة أو بائع في متجر بل عليه أن يلتزم الأعمال البتذلة، التي ينفر من ممارستها البيض وعليه أن يجلس في المقاعد الخلفية في مركبات السرام والاتوبيس . وغير ذلك من مظاهر الامتهان التي لا ترضى .

والهزلة الكبرى في الجنوب هي مسألة

ولئن كان اهتمامها في الماضي أكثره بالشئون الداخلية ، فانها لم تلبث بعد الحرب العالمية أن برزت نشاطها في الترويج لشئون الدول الأجنبية وقد نشرت مجلة نيوزويك في عدد ٣٠ يوليو سنة ١٩٦٢ مقالا عن القائمين بنشاط الكواليس في الشئون الأجنبية ، وأكثرهم من الأمريكيين : وتقول المجلة في عنوان المقالة :
The Hidden Pressures to Sway U.S. Policy

(الضغط الخفي من أجل توجيه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية)
وذكرت المجلة أن عدد « العملاء » قد زاد من ١٧٤ في عام ١٩٤٤ ، حتى صاروا ٤١١ في عام ١٩٦١ . ويختلف عدد العملاء لكل دولة حسب تعدد مصالحها . فان لليابان مثلاً ٢٢ عميلاً . وهي دولة كبيرة تعدادها يزيد على ٨٠ مليون نسمة وإسرائيل لها ١٦ عميلاً ، وتعدادها نحو ٢ ١/٢ مليون نسمة . وألمانيا الغربية لم يكن عدد عملائها ضخماً ولكنهم من أخطر العملاء مثل الجنرال كلين الذي كان يبدى النضال مباشرة للرئيس أديناور . وقد بلغ ثمن هذه النضال في عام واحد ١٢٨٨٠٠٠ دولار . وألمانيا عميل آخر لا يقل عن هذا خطراً يدعى دوى برنارد ، الذي يتقاضى سنوياً من ألمانيا الغربية ١٢٨٣ دولار ومن حكومة مدينة برلين الغربية ١٣٨١٢٢ دولار . وكان تشومبي في أيام عزه يدفع ١٠٠٠٠٠ دولار لدعائه في واشنطن .

وقد اضطرت حكومة الولايات المتحدة في عهد كندی أن تطلب من هؤلاء الدعاءة أن يسجلوا أسماءهم بوصفهم عملاء لدول أجنبية، وأن يبينوا في تقاريرهم ما يتناولونه من أجر، ومع ذلك فان الجميع يعلمون أن نفقات مكتب الدعاية ليست كل شيء ، وأن هناك أموالاً تبذل خفية ، وتجذب سبيلها بطريقة أو بأخرى إلى جيوب ذوي النفوذ .

ومن الطريف أن كثيراً من الدول ذات العملاء في واشنطن ، تتمكن بفضل جهودهم، من أن يكون لها نصيب عظيم في الاعانات التي تمنحها حكومة الولايات المتحدة . وهكذا تقوم هذه الدول الديمقراطية العظيمة بدفع نفقات هؤلاء العملاء نظير خدماتهم في إفساد نظامها الديمقراطي .

مركز انتخابى فى الولاية ، الى ان عين نائباً عاماً - فابدى من الهمة والذكاء فى اثبات التهم على المرشحين والافاقين ، ما اضطر الجمهور الشمالى الى الاعجاب الشديد به . فانتخب فى سبتمبر الماضى عضواً بجمهورية مجلس الشيوخ وانتصر على خصمه الديمقراطى « الابيض » باغلبية ساحقة .

هذا هو المال الوحيد لرجل زنجى ، وصل الى مركز نيابى ممتاز ، وقد أصبح الحزب الجمهورى يعترف بأنه دخر له وثروة عظيمة . . . وكم من ثروات اخرى ضيعتها ولا تزال تضعها حماسة التعصب فى ذلك البلد الكبير ، الذى يدعى أنه أعظم الديمقراطيات !

ومن العجائب المؤلمة فى الديمقراطية الامريكية تلك الهيئات التى تمول بأموال لا تذكر . فى الميزانية صراحة ، بل توضع فى بنود اخرى منها ، امانات فى خديعة أعضاء الكونجرس ، والغرض من انشاء هذه الهيئات ، التجسس فى جميع أنحاء العالم ، والقيام بأعمال سرية خطيرة ، تؤدى الى القتل او الى الحرب والقارء بلا شك قد سمع بالهيئة السرية بوكالة المخابرات المركزية C.I.A. ، التى تضخمتم أعمالها وميزانياتها حتى بلغ الموظفون بها فى عام ١٩٦٤ نحو ٢٠٠.٠٠٠ . وتتفق على عملاتها ومشروعاتها ما يقرب من ١٠ مليارات من الدولارات .

وفى أمريكا نحو عشر هيئات تقوم بأعمال التجسس والمخابرات السرية . تحصل من دافعى الضرائب على البلايين من الدولارات سنوياً وهم لا يعملون عن نشاطها شيئاً .

ولا يملك البرلمان أو أية هيئة دستورية أن تفعل شيئاً نحو هذه الهيئات والوكالات ، التى تؤلف حكومات داخل الحكومة الشرعية ، والتى يعرف الجميع أنها ترتكب الموبقات ، وتأتى المخزيات .

هذه نذرة من اعاجيب الديمقراطية الامريكية ، التى لاتنف عن التيجع بأنها من ارقى الديمقراطيات : ولو اتسع مجال القول لضربنا للقارئ امثلة اخرى . وهناك امريكيون يعرفون الحقيقة ، وبعضهم قد يجهر بالحق ولكن لاتزال كفة الباطل مع الاسف هى الراجحة .

ممارسة الحقوق السياسية ، فلا بد للزنجى أن يؤدى ماتحاناً يدعونه هناك اختبار التعليم ، وهو امتحان عسير لا يكاد أن يمر منه أى نسبة معقولة من الطلاب . . . ونتيجة لهذا لا يتمتع بحق الانتخاب سوى عدد ضئيل من الزنج وهذا العدد القليل قد لا تطاوعه نفسه أن يمنح صوته لنائب لا يكتفى له احتراماً ولا تقديرًا .

ويعجب المرء لماذا لا يحاول رجل مثل الرئيس جونسون أن يعالج قضايا الولايات الجنوبية ، بدلا من أن يرسل مئات الآلاف من الشباب الأمريكى عشرات الآلاف من الاميال الى جنوب شرقى آسيا ، الى فيتنام لكى يضحي بهم فى مذابح الجشع الاستعماري . وتتفق فى هذا السبيل آلاف الملايين من الدولارات ولو افق عشر معشارها فى اصلاح المجتمعات الزنجية بعامه ، وفى الولايات الجنوبية بخاصة لسعدت مئات الآلاف من النفوس البريئة وزال عنها بعض ما تعانيه من الويل والشقاء .

ولقد خصصنا هنا الولايات الجنوبية بالذكر ولكن الحالة فى الشمال لاندخل فى الاضطهاد فى شيكاغو مثلا اذا نزلت أسرة زنجية فى حى من الاحياء ، فان البيض لابلون ان يهجروه وينزحوا عنه . فيضطروا اصحاب العمارات ان يرفضوا نزول السكان الزنج عندهم - وبسبب ذلك تألفت احياء زنجية ضخمة مثل حى هارلم فى نيويورك .

وقد انشئت معاهد بل وجامعة من الجامعات بأموال زنجية . . . ولكنها بالطبع لاتستطيع أن ترقى الى مستوى الجامعات التى يمولها اصحاب الملايين من البيض . . ومع ذلك نبغ كثير من الزنج فى الميادين العلمية والفنية . وبعضهم لم تجد الجمالهم مفرا من الاعتراف بفضلهم ونبوهم .

وقد دخل منهم اخيرا عضو فى مجلس الشيوخ . . . وهو من ولاية ماساتشوستس وهو بلا شك تحفة ديمقراطية فى وسط المهزلة السائدة . وقد انتخب فى ولاية لايتجاوز سكانها من الزنج ٣٪ . . . وهو باجماع الآراء من انبغ النوانغ . واسمه ادورد بروك وقد حارب فى ايطاليا وهناك خطب فتاة ايطالية ، ثم تم زواجهما بعد الحرب فى مدينة بوسطن . وكان هذا الزواج بامراة «بيضاء» سببا فى قتلها فى احراز أى

أبعاد الفكر الفلسفي في أمريكا

د. مراد وهبه

والنتيجة بعد هذا ماذا تكون ؟

أن الاعتقاد نسبي بحكم قابليته للتغير . وهذه النسبية رد فعل ضد النزعة التزمتية أو القطعية dogmatism التي كانت تسيطر على أوروبا ، وكان من عوامل هجرة الأوربيين الى العالم الجديد .

وأن الاعتقاد ليس مطلقا بحكم أنه غير مجاوز للتجربة .

وهكذا يكون منطق المذهب ، عند بيرس ، أقوى من مقصده .

ولهذا أنس وليم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠) أن يسير مع المنطق دون المقصد فيربط بوضوح بين الحقيقة من جهة والذاتية والنفعية والفردية من جهة أخرى ، خاصة وأن جيمس عاش في الفترة التي استكملت فيها أمريكا نظامها الرأسمالي . وهو نظام يقوم ، في بدايته ، على تمجيد الذاتية بفضل مبدأ المنافسة الحرة .

فالبرجماتية ، عند جيمس ، تتخذ من « العمل » مقياسا للحقيقة . فالفكرة صادقة عندما تكون مفيدة . ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها .

والعمل ، منظورا اليه من زاوية النفع والضرر لا يمكن أن يصلح مقياسا موضوعيا ، إذن هو مقياس ذاتي .

والذاتية تعني أن الحبرات متباينة . والتباين ، لا يمكن أن يرقى الى مستوى الوحدة ، لأن ادراك الوحدة يستلزم أن يكون المقياس موضوعيا .

إذن يظل التباين عند مستوى « الكثرة » . ولهذا يبدو العالم ، عند البرجماتي ، وكأنه « كثرى » pluralistic

قول شائع أن البرجماتية تعبير صادق عن الفلسفة الأمريكية ونسأل : ما البرجماتية ؟

في الأصل اللغوي البرجماتية تفيد « ما هو عملي » واللفظ من وضع الفيلسوف الأمريكي شارلس ساندرس بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤) .

وما هو عملي هو تجريبي بالضرورة

ولكن أية تجريبية تلك التي يقصدها بيرس ؟

إن التجريبية ، عنده ، لا تقف عند حد الحس ذلك أن الاحساس ظاهرة نسبية وذاتية ، بمعنى أنه يخص الذات المفردة . ومن ثم تكون الحقيقة أمرا محالا .

غير أن الحقيقة ممكنة في رأي بيرس وإمكان الحقيقة يلزم أن تكون الحقيقة موضوعية ومطلقة . وعنوان كتابه « تثبيت الاعتقاد » (١٨٧٧) دليل على هذا الإمكان .

ونسأل : ما « الاعتقاد » ؟

يجيب بيرس بأنه فكرة أو حكم يكون أساسا للقيام بعمل . ولهذا فإن الاعتقاد مرتبط بالضرورة « بنتائج عملية » .

ولكن ماذا يحدث عندما يأتي الاعتقاد بنتائج مخالفة لما نتوقه ؟

بزوغ « الشك ليس الا

وماذا يترتب على الشك .

« بحث » عن بديل لهذا الاعتقاد . ويظل هذا البحث قائما حتى نعثر على بديل .

ومن أجل ذلك فإن البحث وسيلة الى الكشف عن الاعتقاد . والبحث عند بيرس ، هو المنهج العلمي .

ويلزم من الكثيرة انكار المطلق .

« الروح المطلق » ولكن في صياغة جديدة هي « الكليات الموحدة » unified wholes والعلمية العقلية ليست الا وسيلة للوصول الى هذه الكليات الموحدة .

والعملية العقلية ليست الا ممارسة للأسلوب العلمى الذى يبدأ من الجزئيات وينتهى الى الكليات . والكليات ، بدورها ، تتحد وتكون مطلقا واحدا هو « الايمان المشترك » لبنى الانسان .

يقول ديوى فى كتابه « ايمان مشترك » : نحن الذين نعيش الآن أجزاء من انسانية تمتد جذورها الى الماضى السحيق ، وهي انسانية قد تفاعلت مع الطبيعة ان الأمور العريضة علينا فى الحضارة ليست من صنع أيدينا ، ولكنها موجودة ثمرة العرق والدموع للجماعة الانسانية المتصلة ، والتي تكون حلقة من حلقاتها . ومهمتنا هي مسئولية حفظ تراث القيم الذى تلقيناه ، ونقله وتعديله ونشره ، حتى يتسنى لحلفائنا ان يتسلمه أصلب عودة وأكثر أمنا وأيسر تسيلا وأعظم انتشارا مما تلقيناه . وفى هذا تقوم جميع العناصر لايمان دينى لن يقتصر على فرقة أو طبقة أو جنس . وقد كان مثل هذا الايمان فى صميم القلوب الايمان المشترك لبنى الانسان . ويبقى اليوم ان ينتقل هذا الايمان المشترك من السر الى العلن ، ويتخذ سبيله الى التحقيق .

وبالفعل بدأت أمريكا فى النصف الثانى من القرن العشرين تدعو الى تحقيق هذا الايمان المشترك . والدعوة الى هذا الايمان دعوة جذابة وساحرة . ولكن ما يحدد قيمة أية دعوة ليس هو الشكل وانما المضمون .

ولهذا لابد من أن نتساءل : ما مضمون هذا الايمان المشترك ؟

وليس فى امكاننا الجواب عن هذا التساؤل الا من خلال منظمات تتبنى الترويج لهذه الدعوة .

والمنظمات قائمة . لهذا فان الجواب ممكن . ثمة منظمتان دينيتان ، من صنع الولايات

ذات يوم كان جيمس راي يتحدث مع اصدقائه عن المذاهب التصورية (١) idéalisme من مميزاتا تقرير المطلق ، فاذا بجيمس يصيح فى وجه هذا الصديق قائلا : ملعون هذا المطلق !

البرجماتية اذن تقبيل الكون وهو فى حالة تشتت وتمزق وتفسخ ؟ وحدات جزئية من المحال ادماجها فى اطار كلى . ويترتب على ذلك أن من حق الانسان أن يتعامل مع هذه الوحدات بالطريقة التى تستهويه .

والبرجماتية ، بهذا المعنى ، ليست الا ترجمة أمينة للنظام الرأسمالى فى بكارته الاولى .

غير أن الرأسمالية المرتكزة على المشروعات الفردية الخاصة لا يمكن أن يكتب لها الاستقرار . فالمنافسة الحرة غير المقيدة ضارة ، فى نهاية الأمر ، بالمشروعات الخاصة . الأمر الذى يؤدى الى ضرورة تكتيلها واتحادها على هيئة شركات كبرى وبنوك وغرف تجارية فتبلغ الرأسمالية الى الاحتكارية .

ويلزم من هذا التطور الاقتصادى للرأسمالية تغيير فى الفكر الفلسفى البرجماتى . فبدلا من وحدات منفصلة تقوم . وحدات متصلة ، وبدلا من مطلقات متكررة يقوم « مطلق واحد » .

وسميلة جون ديوى (١٨٥٩ - ١٩٥٢) instrumentalism تعبير فلسفى رائع عن هذا التغيير . يأخذ ديوى من بيرس فكرة « البحث » وينقل عن البرجماتية فكرة « العمل » بعد أن يستبعد منها النفعية والذاتية فيدفع بها الى مستوى « الحقيقة » . ويستعير من هيجل فكرة

(١) قبل « مثالية » فى ترجمة الاصطلاح الافرنجي idéalisme . وينبغي أن نقصر لفظ « مثالية » على النسبة الى نظرية افلاطون فى المثل والنسبة الى المثل الاعلى . وأن نقول « تصورية » للدلالة على المذهب الذى ابتدعه ديكرت وتابعه الفلاسفة المحدثون . والاfrنجي اذ يستعملون لفظا واحدا هو « ايديالزم » يضطرون الى تعينه بقولهم id. objectif . ودلالة على النظرية الافلاطونية و id. subjectif . دلالة على المعنى الآخر (المعجم الفلسفى ، ٤٣)

الضياع والانهيـار لسبب ما يحدث فيها من تغير
صناعي وتقدم اقتصادي • وعنه عى الجاهلية •

والنتيجة المحتومة بعد ذلك ماذا تكون ؟

« ايمان مشترك » ولكن بضمون رجعى •

غير أن هذا الايمان المشترك لا يقتصر على
المنظمات المسيحية والاسلامية وانما هو فى طريقه
الى المنظمات الصهيونية •

فقد أصدر مجلس الكنائس العالمى كتابا لواحد
من قادة الفكر فيه هو أجبرت دفرىز بعنوان
« الانسان فى مناطق التغير الاجتماعى السريع » •
قدم هذا المفكر فى كتابه حلا للنزاع العربى
الصهيونى أساسه أن موقف العرب من دولة
اسرائيل ليس أكثر من تجمع بدائى عنصرى لا
يختلف عن التجمع القبلى أو النازى •

وجاء فى هذا الكتاب ، الذى أصدره المجلس ،
أنه لى يرتفع العرب عن هذا المستوى المتدهور
لابد أن تكون اسرائيل طرفا فى تضامن يكون
مجتمعا يوجه اليه العرب ولاهم •

ونسأل : ليس هذا مطلباً أمريكياً فى المقام
الأول ؟
نعم ، هو كذلك •

ثم نضيف ، فى ألم مرير ، أنه مطلب يستند
الى فكر فلسفى محوره « ايمان مشترك » خادع •

المتحدة الأمريكية ، هما «مجلس الكنائس العالمى»
و « الحلف الإسلامى » ولا أدل على ذلك من أن
جون فوستر دالاس ، وهو من بين الشخصيات
القيادية فى تاريخ مجلس الكنائس العالمى ، كان
أحد العناصر القيادية الحركة لانشاء الحلف
الإسلامى وجعل ملك السعودية فى مقام بابا
الإسلام يجلس فى مكة ويدير معركة ضارية ضد
حركات التحرر الوطنى والدعوة الاشتراكية •

ومن المعروف أن الدعوة للحلف الإسلامى قد
تبنت ايديولوجية الاخوان المسلمين وأساسها
مبدأن رجعيان هما الحاكمية والجاهلية (١) •
والدارس لقرارات مجلس الكنائس العالمى يجد
تطابقا فى الفكر والتعبير مع هذا الفكر الدينى
الرجعى •

فلقد قرر مؤتمر نيودلهى عام ١٩٦١ ، وهو
أحد مؤتمرات المجلس ، أنه على الكنيسة أن
تواجه الوطن والدولة على أنهما تحت سلطان
الله • وهذه هى الحاكمية •

وبصور مفكرو المجلس الحياة فى الدول النامية
على أنها تهدد كرامة الانسان حتى أن الانسان
المتدين لا يستطيع أن يطمئن الى الحياة فيها •
ولقد ارتأى أحد مؤتمرات المجلس عام ١٩٥١ فى
ألمانيا أن الحياة فى الدول النامية «أكثر خطورة»
وأمرىكا اللاتينية تهدد كرامة الانسان وتلقية الى

(*) المقصود بالجاهلية هنا هو العصر الحديث •

« ان الاستعمار الفكرى الذى تمكن من وطننا مدة طويلة ، اذا لم
نتخلص منه فلن نصل الى غايتنا فى نهضة امتنا » •

جمال عبد الناصر - ١٨ سبتمبر سنة ١٩٥٣

« ان عظام الامور تتطلب اما الصمت والسكوت ، أو التحدث
بعظمة عنها : أى باجتره وبرأوة وصراحة تامة » •

(نيتشه)

إسرائيل وأمريكا..

وسلاح الدين

د. وليم سليمان

مد صهيوني استطاع أن يحصل من الهيئات المسيحية على قرارات ومواقف عديدة كانت في النهاية رصيدا ضعيفا لحساب الصهيونية ، وعدوانها في فلسطين .

والسالة واضحة

نعم - لقد تعرض اليهود للاضطهاد منذ قرون عديدة ، وفي القرن العشرين ، ولكن أين تم هذا كله .. ان التاريخ والكتابات المتأخرون للصهيونية أنفسهم ، يشهدون بأنه على امتداد الدولة العربية منذ نشأتها وفي أبعد أقاليمها بالأندلس - كان لليهود مكانهم المخلوط بين المواطنين .

مسرح « الجيتو » والتعذيب والذبح كان في أوروبا - وهنا تبرز حقيقة جديدة : ان « الجيتو » والاضطهاد والمطاردة مفي زمانها - وأصبح هتلر خيرا يروى عيرة وفصاها - وانقلب اليهود فاذا هم السادة الذين يحركون السياسة والاقتصاد في أكبر دول العالم . وبدا وضع جديد مغاير تماما لما سبقه - اذ تعرض شعب لم تصدر عنه اساءة لليهود الاعتداءات رهيبة على ارضهم وحياتهم .

فهل يتصور في هذه الظروف الجديدة أن يكون الحديث عن اضطهادات اليهود ، فتصدر القرارات التي تشجب معاداة السامية وتضج على العناية باليهود .. دون أي اسساءة للأرض المحتلة والشعب المعتدى عليه ..

فاذا صدر مثل هذا القرار وسقط هذه الظروف الجديدة فعاذا تكون آثاره .

انه أولا - يعطي تبريرا لما يترسفه اليهود - فما يحصلون عليه اليوم هو أقل لتوضي عما حاق بهم طوال القرون الماضية - وأين ما يصنعونه اليوم مما حدث لهم على أيدي القياصرة والملوك والتازين .

(١)

يتفنن أنصار الصهيونية في وصف علاقات المشق التي تربط أمريكا باليهود . فلهذه أن ليس ثمة مصلحة مادية تجنيها أمريكا من وراء مساندتها لإسرائيل . أن موقف الولايات المتحدة لا تحركه هنا إلا الاعتبارات المعنوية البحتة . فلي دايمهم أن هناك « روابط قديمة » تصل بين الاثنين . فالولايات المتحدة لها تاريخ طويل في المصطف على الشعوب التي تجهد للحصول على سيادتها الوطنية - وعلى الخصوص تلك الشعوب المضطهدة . وهذا التقليد الإنساني كان لا بد أن يحشد مواقف تساند آمال القومية اليهودية . فاذا كان حقا أن القومية اليهودية كانت في صراع مع القومية العربية - فان الرأي العام الأمريكي ، بصرف النظر عن قوة الدعاية اليهودية وتأثيرها ، أعطى الأفضلية لمطالب اليهود في إنشاء وطن لهم بفلسطين - لصلة هذا كله بالكتاب المقدس (١)

وعكذا تبرز مرة أخرى المهارة الصهيونية في استخدام الدين لخدمة أغراضها ، فعل الرغم من أن الصهيونية حركة علمانية سياسية ، فانها استعملت لمساندتها مخططاتها كل حجة - وفي المقدمة تأتي تلك الفكرة التي يلتفتها القاري السطحي لاسرار « العهد القديم » بخصوص عودة اليهود الى فلسطين .

ولكن - اذا كان معقولا أن ينجح الصهيونيون في إقناع باقي اليهود بمساهمات من كتبهم ، فكيف يستطيعون أن يكسبوا تعاطف الأمريكيين من غير اليهود - الذين ترفض معتقداتهم الدينية استمرار اليهودية ويشت كيانها ..

هنا يبرز دور الدولار - يحرك المنظمات الدينية العالمية، ويتحكم فيها ، ولقد شهدت الستينات من هذا القرن أكبر-

N. Safran, The United States and
Israel, 1963, p. 270. (١)

فطري • أساسه الميلاد في القبيلة ، والصلة البيولوجية لا الرابطة العنصرية • أما المجتمع فأفراده ينضمون إلى بعضهم البعض في اختيار واع بهدف الحياة المشتركة لتحقيق الصالح العام • مثل الدولة التي تقسم أكثر من قبيلة ، أو أكثر من دين ..

ويتبنى الكاتب هذه النظرية على النزاع العربي الإسرائيلي • فاتصافا من العرب من حول إسرائيل ليس في صميمه إلا تجمعاً بدائياً أساسه الدين والتاريخ • وهو يجعل علامات الولاء التي يفكر الإنسان للانصياع إلى « جماعة » وكما كان الحال بالكنيسة لهتلر ، فإن اليهود يمثلون بالنسبة الفارق بين النوعين هو أن الرباط بين أفراد الجماعة بدائي للعرب عاملاً يحرك الخوف والكراهية والحقد والتجمع (٣) ولقد خصص مجلس الكنائس العالمي الفصل الدراسي

الثالث عشر (١٩٦٤) في العهد المسكوني التابع له بقصر بوس في سواحي جنيف • لموضوع « الكنيسة وإسرائيل » ولقد ألقى محاضرات هذا الموسم ليف من الأساتذة المسيحيين واليهود • وفي المحاضرة الانتاحية تحدث عبيد الكلية اللاهوتية بجامعة جنيف عنه فقال أنه « حين تتور مشكلة اليهود ، فإن الكنيسة لا تستطيع أن تتجاهل ثقل مسئوليتها العظيمة عن آلامهم ، وفيما هم طوال تاريخهم • ولذلك فإن أول ما يصدر عنها نحوهم هو طلب المغفرة ... » ثم عرض لما سيتناوله الفصل الدراسي ، فقال أن المحاضرين سيدرسون موضوع معاداة السامية التي بمجرد أن تدان رسمياً، تعود فتضل براسها ن جديد • وكذلك جوهي *raison d'être* وجود الشعب اليهودي في العالم المعاصر والتوقف الذي يجب أن تتخذه الكنيسة من تحوّلهم • وأيضاً • معنى دولة إسرائيل - التي يتخفى وراء وجودها البعض من اليهود أنفسهم - في حين يعتز بها الآخرون باعتبارها تحقيقاً للنبيات القديمة (٤) .

ومن المعروف أن لهذا المجلس لجنة خاصة للشئون الدولية ، وهي تضع تقريراً بشأن الأحداث العالمية وتقدمه للأمم المتحدة • ولكن المجلس لم يصدر قراراً بشأن المشكلة اليهودية في تأثيرها على حقوق عرب فلسطين • فهؤلاء بالنسبة للمجلس ليسوا أكثر من لاجئين مساكين ، تقتصر مساعدته لهم على صفات متنوعة تبثها إليهم أجهزة التخصّص في هذه الناحية •

أما المؤتمر اليهودي العالمي الذي تقف رئاسته في نيويورك فقد تلقى • بعزيز الرضا • القرار الذي اتخذته مؤتمر مجلس الكنائس العالمي في نيودلهي • وأرسل ناحوم جولدمان إلى الدكتور فيسرت هوفت سكوتير عام المجلس يقول : « أود باسم المؤتمر اليهودي العالمي أن أعبر لكم وللمجلس الكنائس العالمي عن تقديرنا لإصدار هذا القرار الذي آنا واثق من أهميته العظمى نحو هدفنا المشترك في محاربة التفرقة العنصرية

(٣)

Egbert De Vries, Man in Rapid Social Change, 1961, pp. 221, 223.

(٤)

Martin-Achard, The Elect People of God in the Service of the World, dant Study Encounter, Vol. X, No. 2, p. 29.

وهو ثانياً - يصور دفاع العسرب عن أرضهم على أنه داخل في نطاق معاداة السامية واضطهاد اليهود •

وهو ثالثاً - يحفز كل صاحب سلطة أن يتخذ موقفاً محدداً : لتأييد السفاحيا اليهود في مواجهة أعدائهم • وفوق هذا كله ، يفتاح القارئ للقرارات المؤيدة لليهود بلهجة غريبة من لهجة الجرم الذي يقر دون تحفظ بلذنه . ويعترف بأنه طوال فرون عديدة كان يأثم في وحشية ضد أنقى عناصر البشرية واكثرها براءة ورحمة •

ونحن لا نريد أن نحلل الظروف التي بسببها ظهرت معاداة السامية • وما مدى مسئولية اليهود والأوروبيين في هذا الصدد • ولكن الذي نسال عنه هو لماذا تصدر مثل هذه القرارات اليوم بالذات •

- ٢ -

في ديسمبر ١٩٦١ عقد مجلس الكنائس العالمي مؤتمره الثالث في نيودلهي • ومن هذا المؤتمر صدر قرار حديد موقفه من اليهود بقوله أن أي شكل من أشكال معاداة السامية باعتبارها أمة خطيئة لا يرضى بها الله والناس • ولا بد من نهضة التعليم الديني المسيحي وتربيته لأذهان المسيحيين على وجه يبري اليهود المعاصرين من تبعات الأحداث التاريخية التي أدت إلى صلب المسيح ، إذ أن هذه التبعات تقس على عاتق الإنسانية كلها • وقد صرح الراعي البروتستانتي الأمريكي ل . ج بنيت الاستاذ بمعهد اللاهوت بنيويورك قائلاً أن الكنائس مسئولة بوجه خاص عن هذا • فليد • فليد ظلت تعاليم المسيحية موجهة قروناً طويلة من الزمن ضد اليهود ومعاداة السامية ليست مسألة عصرية وإنما هي من مخلفات الاتحاد الدينية القديمة ضد اليهود •

إلى هذا الحد يصل الأقوال بالذنب !

ومن قبل ذلك عقد المجلس مؤتمراً في بيروت في شهر مايو عام ١٩٥١ وزار أعضاء المؤتمر مفتحيات اللاجئين • ثم قرر • أنه ليس لمة حل دائم لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين إلى أن تحسم المشكلة السياسية الرئيسية الخاصة بالخلاف بين الدول العربية وإسرائيل • وقال المؤتمر أن هذا الحل يشمل خطة عامة لتعويض اللاجئين سواء عادوا أم لم يعودوا • ...

ولم ينس المؤتمر أن يتحدث عن « الصداقات » التي ستفتح لأصحاب الأرض والمطرودين (٥) •

وتابع مفكر هذا المجلس النتائج المنطقية لهذه القرارات - فلي مؤلف لمدير معهد الدراسات الاجتماعية بإلهاي أجبرت دافريز ، إهو أحد كبار منظري مجلس الكنائس العالمي يقول الكاتب أن لمة نوعين من التجمعات الإنسانية • « الجماعة » و « المجتمع » Society الفارق بين النوعين هو أن الرباط بين أفراد الجماعة بدائي

(٦)

G.K.A. Bell, The Kingship of Christ, Penguin, 1954, p. 116.

عامة ومعاداة السامية خاصة - ان مجلس الكنائس العالمي قد اتخذ خطوة كي تتحدتها جماعات اخرى كثيرة .

- ٣ -

وسرعان ما افتدت بعمل المجلس ، هيئة مسيحية عالية اخرى . تعني بها اللاتيكان . ففي اثناء اجتماعات مجمع اللاتيكان الاخير تداول في الجلسات مشروع قرار لتبرئة اليهود من دم المسيح . ونازت حوله قضية كبيرة في العالم العربي . ثم اقره الجمع في صيفته النهائية يوم ١٩ فبراير ١٩٦٥ . والساعة هنا ليست مناقشة دينية لاهوتية حول صلب السيد المسيح ومن المسئول عنه . ولكن المجمع اضاف الى كلامه في هذا الصدد فقرة خاصة قال فيها :

« وعلاوة على ذلك فالكنيسة التي تستنكر كل صنف الاضطهاد التي تقع على الناس ايا كانوا ، متذكرة التراث المشترك بينها وبين اليهود ، تستنكر ايضا ما باليهود وهي مدفوعة بالمحبة الانجيلية لا باى باعث سياسى . كما تستنكر كل كراهية او اضطهاد او تظاھر ضد السامية في اى زمان و ايا كان الفاعل . »

والسؤال ما زال قائما

هل كانت هناك معاداة عامة وهامة للسامية أثناء مناقشة هذا القرار واصداؤه . ان المقاومة الرئيسية لليهود كانت في ارض فلسطين .

اما كان يسوع ان يئنه المجمع ان الى قواع العرب عن ارضهم لا يدخل ضمن معاداة السامية التي يستنكرها . ومن ناحية اخرى ، وما دام قد خص اليهود بهذه المعاتاة الخاصة - اما كانت العدالة تقتضى ان يستنكر ايضا معاداة الجنس العربى - التي تصدر عن اليهود في فلسطين .

عل ان خطوة اخرى صدرت عن اللاتيكان في هذه الاثناء . لا يمكن - مهما قيل فيها - الا ان تزيد الرصيد المعنوى للوجود الصهيونى في ارض العرب السليبة .

ففي مستهل عام ١٩٦٤ قام البابا بولس السادس بأول زيارة يقوم بها عاهل اللاتيكان لفلسطين . واعتقد دوائر اللاتيكان ان هدف الزيارة دينى بحت . ومهما تكن وجاعة هذه الاسباب ، فانه مما لا شك فيه ان للزيارة آثارا بالغة المدى . فالبابا يزور دولة لم تعترف بها اللاتيكان وسوف يستقبله رئيسها ووزرائها للترحيب به .

وكان من الطبيعى ان تستغل كل أجهزة الصهيونية هذه الزيارة الى اقصى حدود الاستغلال .

هذا - وتبادل الهيثان العالميتان المواقع - فبعد صدور قرار اللاتيكان اذاعت التشرة الرسمية لآباء مجلس الكنائس العالمى في ٢١ أكتوبر ١٩٦٥ .

ان السكرتارية العامة لمجلس الكنائس العالمى وحيث باعلان مجمع اللاتيكان الخاص بنبيرة اليهود من المسئولية الجماعية ازاء صلب المسيح . ولقد وصف سكرتير عام المجلس

هذا الاعلان بأنه تعبير واضح عن حقيقة كانت قد طُست في جميع الكنائس واصاف :

« ونحن مقتطون اليوم اننا نستطيع القول ان جميع الكنائس تحاول جاهدة ان تختط طريقا جديدا في موقفها تجاه الشعب اليهودى وبالتالي تحاول ان تكفر عن الاخطاء العديدة التي حدثت في الماضي . »

- ٤ -

ولمة تساؤل يفرس نفسه - لماذا تقف هذه المنظمات الدينية هذا الموقف الغريب . . .
الاجابة هي سلطان الدولار .

ولكن - ما مكان الدولار في جماعات تغدمن من قال « معانا اخذتم ، معانا اعطوا . . . »

الامر الواقع حاليا - لئلسف الشديد - هو ان للدولار فيها مكانا كبيرا .

فمن الامور المعروفة المشهورة ان اللاتيكان قوة اقتصادية في العالم ، وطبقا لاحصاءات هيئة الامم المتحدة يملك ثروة تبلغ مائة الف مليون دولار . ويأتى في الرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وروسيا . والرقم الذي تشير اليه احصاءات الامم المتحدة فيما يتصل بثروة اللاتيكان مجرد معلومات بنيت على ما هو ظاهر من املاكه وتشركاته . واستثمارات هذه الثروة منتشرة في جميع انحاء العالم .

ففي ايطاليا مثلا اذاعت اموال اللاتيكان شركة العقارات المشتملة ، وشركة السكك الحديدية لجنوب ايطاليا ، وشركة اديرياليتي للابلاجة في البندقية وبيوت مالية اخرى تمشل اقوى واصخم ربوس الاموال في ايطاليا . ولللاتيكان املاك كبيرة في سويسرا وهولندا وفرنسا وفي شركات اخرى تمسوبة وانجليزونة والمالية .

وفي امريكا اللاتينية يسيطر بالتعاون مع راس المال الوافد من الولايات المتحدة الى هناك والذي تحمى استثماراته سياسة الدولة الامريكية بكل قواها الحربية والسياسية - يسيطر على اغلب المصانع والبوكا والشركات الكبرى . الى جانب اراض واسعة معطاة من الفرنسيين الى أغلب دول امريكا اللاتينية (٥)

اما مجلس الكنائس العالمى فهو مكون من مجموعة من الكنائس البروتستانتية (٦) اغلبيتها العظمى من كنائس امريكا وانجلترا والمانيا الغربية . بالإضافة الى الكنائس الصغيرة التي استسنتها اسرائيل هذه الدول طوال القرون التاسع عشر والقرن العشرين . الامر الذى يجعل المجلس في تسيطرته وقراراته تحت السيطرة الغربية .

(٥) د - الطاهر أحمد مكي ، اللاتيكان قوة اقتصادية في العالم - الاهرام الاقتصادي - اول مارس ١٩٦٥ . ص ١٧ .

(٦) والى جانب هذه الكنائس مجموعة قليلة من الكنائس الارثوذكسية تكون اقلية فيه .

وعلاوة على ذلك ، فإن وثائق المجلس تثبت أن الجزء الأعظم من تمويله منذ أن بدأ نشاطه ، أنها يأتي من الكنائس الأمريكية (٧)

واذن - فإذا كان من الثابت أن النفوذ المالي الأمريكي يتحكم في الرأسمالية العالمية - وإذا كان من الثابت أن الرأسمالية والصهيونية العالميتين تجمعهما رابطة عضوية لا تنقسم ..

أصبح من غير العسير أن ندرك أن النشاط الذي للفايكان ، وأن التمويل الذي يسير نشاط مجلس الكنائس العالمي - هذا كله واقع بالضرورة تحت سيطرة الرأسمالية العالمية والحركة الصهيونية .

ومن هنا نستطيع أن نفهم سر هذه الرعاية التي تسفيها هذه المنظمات العالمية على اليهود وإسرائيل الدولة - زعي تها ليزيد من العدوان على العرب .

ولكن الحق لم يعدم أصحابه الذين يزعمون لواء ويدافعون عنه ..

فمنذ أن بدأت الأنباء ، تصل إلى بلادنا عن اعتزام الفايكان إصدار وثيقة تبرئة اليهود - قام القواتون المسيحيون في مصر والكنيسة التي تجمعهم بإبداء الرأي المسيحي والصحيا صريحا .

وما أن بدأ العدوان الثلاثي الجديد على ديارنا حتى اتضح لكنيسة بلادنا الوطنية الدور الذي قامت وتقوم به كنائس الغرب في تغدير صفائر الشعوب هناك بأوامر دينية كاذبة . وكان للكنيسة القبطية وباقي الكنائس الأرثوذكسية موقف واضح ومعقد إزاء هذا العدوان .

وقد عبر بابا الكنيسة الوطنية في مصر باسم المواطنين المسيحيين عن هذا الموقف في برقيات متتالية إلى مجلس الكنائس العالمي - مستنكرا العدوان على الأراضي المقدسة كما حذر من نتائج هذا العدوان الثلاثي الجديد ومن أية محاولة لتمويل مدينة القدس المحتلة .

بل إن البابا كيرلس السادس أرسل باسم كنيسة بلادنا الشعبية إلى ذلك المجلس مطالبا بدعوة الكنائس المتضمة إليه باتخاذ قرار صريح بإدانة التدخل الأنجلو أمريكي لصالح إسرائيل . وأند البابا بأن الكنيسة القبطية ستستجيب من المجلس في حالة عدم اتخاذ هذا القرار .

وحاول المجلس أن ينقل المسألة إلى موضوع متعلق بإعانة شعابنا العدوان . ولكن بابا الكنيسة القبطية رد على ذلك مطالبا بإدانة العدوان الصهيوني والدول المتواطئة معه .

وقد عبر المفكرون الدينيون في الكنيسة القبطية عن الموقف المسيحي الاصيل في كتاباتهم التي نشرت أخيرا ..

(٧)

G.K.A. Bell, The Kingship of Christ, Penguin, 1954, p. 74.

يقول الاب متى المسكين في كتاب صدر له أخيرا انه من الممكن الآن أن نفهم سر الوثيقة التي صدرت من الهيئات الدينية الغربية في صالح اليهود . ان الكنيسة المسيحية طوال ألفي سنة تدين اليهود وتستند حكمها في ذلك من كافة التبروات ومن الأنجيل ومن الحوادث التي عانتها من اليهود في القرون الثلاثة الأولى . أما الكنائس الغربية فانها - تحت الصلاح الضغط الإسرائيلي - أرادت أن تتحدى كافة الأجيال الكنسية السابقة وتدفعها بالزور عن الحق وأصول الإيمان .

وخلص هذا الفكر المسيحي من ذلك إلى أن الكنيسة الغربية ممثلة في الفايكان وفي مجلس الكنائس العالمي تكون قد أعطت حكومات الغرب الاستعمارية المناصرة لإسرائيل كل التفويض الديني للقيام بما يكفل تعويض اليهود الذين تمسكهم إسرائيل - تعويضهم عن تجني الكنيسة السابق . وقال الاب متى أن وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح كانت في حقيقتها السياسية بمثابة التهديد الرسمي والتطقي لظهور الاسطول السادس لحماية إسرائيل (٨) .

وقد طالب رؤساء الكنائس في سوريا ولبنان بسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها بعد عدوانها القادر العزى ببقى الاستعمار الأمريكي البريطاني ، وذلك قبل البحث في النزاع . وأهاب رؤساء الكنائس بالجلوس أن يؤكد موقفه الصريح ضد العدوان . واكدوا أن حلوى الشعب الفلسطيني لا يمكن أن تلتقي بسبب هذا العدوان ، وأنه لا يمكن بحث القضية الفلسطينية طالما أن هناك احتلالا إسرائيليا لإجزاء من الوطن العربي .

وفي ٦ يوليو ١٩٦٧ أرسل زعماء الكنائس الشرقية ونبأته إلى المجلس الكنائس العالمي احتجاجا على تأييد الكنائس الغربية لإسرائيل . وقالت الرسالة أن استمرار وجود إسرائيل يجب أن يكون هاتئة لفسهم الغرب المسيحي . وسجلت الرسالة التي وجهت إلى الدكتور يوجين كلارك سكرتير عام المجلس أن المسيحيين في الغرب قد أعربوا عن تأييدهم المطلق للعدوان الإسرائيلي وعن ابتهاج غير انساني بموقف المعتدى .

ولقد أرسل بطريرك الكني بطريرك موسكو وسائر أنحاء الاتحاد السوفيتي إلى بابا الكنيسة القبطية يدعو إلى عقد مؤتمر بالإسكندرية لرؤساء الكنائس المسيحية في العالم لاتخاذ موقف موحّد حيال الاعتداء الصهيوني على مدينة القدس والاستيلاء عليها بالقوة المسلحة . وجاء في الرسالة استنكار بطريرك الروسي للعدوان الوحشي الصهيوني . وقال أن هذا العدوان الذي ستكرهه العالم الحر وغير المتحاز يمثل قمة الخيانة الاستعمارية . وذكر أن الوقت قد حان لكي تسحب جميع الدول اعترافها بهذه الدولة العدوانية التوسعية التي تعمل كراسيسر للاستعمار بأشكاله القديمة والجديدة.

(٨) كتب الاب متى المسكين رأيه في كتاب صدر حديثا

بعض العدوان الجديد بعنوان « ما وراء خط النار » .

التحرر في الوطن العربي • وتحاول المنظمات المسيحية العالمية أن تمد نشاطها لتشرك فيه الأديان الأخرى • ولقد تضمنت قرارات مجمع الفاتيكان الأخيرة دعوة إلى التقارب مع الأديان الأخرى وفي مقدمتها الإسلام • وفي إبريل ١٩٦٥ حضر إلى بلادنا وفد من علماء اللاهوت من ألمانيا الغربية اجتمعوا بعلما الأزهر • ودارت المناقشة حول مهمة الجامعة الأزهرية في العصر الحاضر ورأى الإسلام في المشكلات الاجتماعية ومعالجتها على ضوء القرآن الكريم • كما ألقى كاردينال النمسا فرانسيكوس كينيج محاضرة في مؤتمر عقد بالأزهر تحدث فيها عن العلاقة بين الأديان وعندها الواحد وطلب أن تلتقى المسيحية والإسلام وتبادل وجهات النظر من أجل الوقوف أمام التكتلات المنحرفة والملحدة • وختم الكاردينال محاضراته بقوله إن المسيحية والإسلام يمكنهما أن يتعاونتا بأسلوب جديد • بحيث تؤلف جبهة صلبة يمكنها في عهده الساعة العرجة من تاريخ البشرية أن تواجه كل التيارات المعادية لله •

وليس من شك في أن التقارب بين رجال الأديان أمر يرحب به بل كل إنسان يهتم بمصير الإنسانية • ولكن على أي أرض يتم هذا التقارب •• هل يتم في إطار النشاط الديني العالمي الذي رأينا مدى تأثره بالقوى الرأسمالية العالمية المرتبطة بالحركة الصهيونية •

هنا تبرز بلادنا المصرية ووطننا العربي باعتبارهما المجال الطبيعي لحدوث هذا التقارب • إن الوحدة الوطنية التي تجمع شعب بلادنا والتي أثبتت في مختلف الظروف • تكون خير سياج لهذا التقارب • وأحسن ضمان لنجاحه •

وعندما أصبح من المحتم أن يتلاقى الشيخ والكاهن • عالم الإسلام ورجل الأفق • يتسألون على أرض المحبة والتفهم التي صاغها شعبنا ويتم تبادل وجهات النظر لصالح الشعب العامل المناضل • وفي مواجهة الرجعية العالمية والاستغلال والصهيونية وسيطرة الدولار وتحكمه في شعائر البشر ومن أجل رفعة الإنسان في مشاق الأرض ومغارها •

لقد جاء ميعاد هذا اللقاء • وأنا لرؤيا آثاره الغصية لنتظرون •

بهذه المواقف الصريحة • يدافع المسيحيون عن كرامة دينهم • وينكشف الغداع الذي يكن فيما يرددته الكتاب الصهيونيون بخصوص صلة الكتاب المقدس التي تربط الصهيونية بأمريكا • فهذا الكتاب الكريم يرى من كل استغلال يراد به العدوان والاستغلال وسفك الدماء •

ولكن الله الصهيوني الاستعماري • واستغلال العالمية للدين لم يعد يكفي في مواجهته إيهام الآراء واتاعتها • بل لا بد أن تتخذ هذه المواقف المضادة للرجعية أشكالاً تنظيمية فعالة •

(أ) فلا بد من أن يدخل الاقتراح الخاص بعقد مؤتمر مسيحي للثلاثة الكنائس من أجل استنكار العدوان - مرحلة التنكيل • ومن اللازم أن يعقد هذا المؤتمر متحررا من كل رابطة بأي منظمة غالية تحت النفوذ الغربي • وتصدر عنه القرارات العاسمة في أداة العدوان وشجبه • وتكون هذه القرارات بمثابة التحدي المسيحي للأصيل للتواطؤ العيب الذي درجت على اتخاذه الكنائس الغربية ومنظماتها المختلفة •

(ب) ويتعين أن تكون على أساس هذا المؤتمر منظمة دائمة تتعقد دوريا • وتمارس نشاطها بصورة منظمة • وتجهد لكسب المزيد من الأعضاء • وتعمل لإبراز الرأي المسيحي المتحرر وتنشره داخل الشعوب والكنائس في مختلف بلاد العالم •

(ج) وثمة أمر هام يتعين على الكنائس في الوطن العربي أن تهتم به • وهو العزس على عدم الولوع تحت نفوذ المخطط الرجعي العالمي • فإذا كان مجلس الكنائس العالمي يستخدم سلاح الموعات الاقتصادية التي يقدمها لبعض أعضائه كوسيلة لاتخاذ بعض مواقف المؤازرة فيها • فإن ضراوة المعركة تتطلب أن تتحرر كنائس بلادنا عن هذه الرابطة حرصا على الاستقلال الكامل والأسالة الخاصة •

(د) ولا بد أن نشعر في النهاية أن المخطط الرجعي العالمي لاستغلال الدين ليس قاصرا على المسيحية • فلقد أصبح من الأمور المشهورة أن جون فوستر دالاس كان يجهد لجعل ملك السعودية في مركز بابا الإسلام لمواجهة حركات

« لتجدد أشد الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود
والذين أشركوا ، ولتجدد أقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا
وأنهم لا يستكبرون » .



حسين مرسة يكتب من بيروت

لكننا « النكسة » كانت حافزا لهذا الشعب أن يزداد اصرارا على البناء ، وأن يزداد امعانا في الكد والكبح والتحدى .. غير أن التحدى هذه المرة كان أعظم مشقة منه قبل العدوان ، لأن « النكسة » اضافت الى أعدائه عدوا جديدا في داخله ، هو الألم : الألم المفسم بالدم ، الملمح بالفجعية ، المدمج باليأس والانهمام يشهرها على النفوس الكبيرة والصغيرة معا دون هوادة .. وليس يصبر على شعب أن يتحدى العدو الا اذا كان على قدر كبير من الصلابة والرسوخ في مواجهة العواصف الجائحة ..

هذا النوع من الألم قد يكون العدو الأكبر للشعب في أوقات المحن .. فهو اذا تمكن من شعب يملح على أمره ، كله ، فاستكان لليأس وأسلم طاقاته كلها الى هاجس الانهمام ، وخسر معركته برمتها حتى مع أضعف خصومه .. ولكن شعب مصر - كما رأيته في القاهرة - تحدى هذا الألم بقوة ، وأمسكت بجيشانه الهادر في جراحه ، ورد عن نفسه سلاح اليأس والانهمام بروعة العنفوان ، وأقبل على « النكسة » يبحث فيها عن أسبابها ، ويضع يده منها على مواقع الخطأ ومواقع الصواب ، يقارن ويوازن .. ثم أقبل على حياته يستعيد نهرها الى مجراه العادي لكننا « النكسة » لم تكن قط ، وهي كائنة - فعلا - في ضميره تهدى ولا تضلل ، وهي كائنة - فعلا - في وعيه تستخلص له الدروس وتدفع به الى العمل .. ثم أقبل على ثورته يحوطها بقلبه وعقله ومساعدته ، يصونها من أعدائها في الداخل ، ويتحفظ ليصونها من أعدائها في الخارج ..

هكذا رأيت شعب مصر في القاهرة .. وكانت الرؤية واضحة عندي في كل شيء وفي كل حركة

« لم يكن المؤتمر الطارىء لمنظمة تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية في القاهرة الا تعبيرا حيا وصادقا عن الوحدة العضوية بين نووتنا العربية بكاملها وسائر الثورات الزاحفة نحو النصر في العالم الاشتراكي وفي العالم التحرري معا » .

- ١ -

أكتب هذه الكلمات وقد عدت ، توا ، من القاهرة .. في ذهني وفي نفسي الآن صورتان رجعت بهما من زورني القسامة بعد الإبداعات العبدانية الاستعمارية الاسرائيلية في ٥ يونيو ، وبعد الثورة الشعبية التي أقامت ، مساء ٩ يونيو ١٩٦٧ ، سورا من الفولاذ البشرى حول ثورة ٢٣ يوليو حمى قلعتها وأرسخ شجرتها النامية في أرض العروبة كلها لا في أرض وادي النيل وحدها ..

الصورة الأولى :

هي الصورة التي رأيت فيها شعب مصر ، من خلال القاهرة ، شعبا لم تزلزل « النكسة » الأرض تحت قدميه ، ولم تضعضع بنيان أماله ومطامحه الذي يبنينه ، منذ خمس عشرة سنة ، بلحم أكثافه ونبيض سواعده ، وبالغرق الحار يتصيب من جباهه كدا وكدحا وتحديا للمصاعب والمكاراة والمكائد والمؤامرات والضغط السياسي والاقتصادي والعسكرية والإعلامية من أعداء ثورته وأعداء حريته وسيادته وكرامته ..

لم يكن المؤتمر الطارىء لمنظمة تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية في القاهرة (١ - ٣ يوليو ١٩٦٧) ، التعبير ا حيا وصادقا عن هذه الوحدة العضوية بين ثورتنا العربية بكاملها وسائر الثورات الزاحفة نحو النصر في العالم الاشتراكي وفي العالم التحريري معا ، بالاضافة الى حركة نضال الشعوب داخل البلدان الرأسمالية والدول الاستعمارية ..

كذلك ، لم يكن الاجتماع غير العادي ، في الوقت نفسه وفي القاهرة نفسها ، الذي عقده المكتب الدائم لمؤتمر الكتاب الافريقيين الآسيويين الا تعبرا آخر عن هذه الوحدة ، ولكن في اطار ثقافي .. وقد جاء هذا التعبير في هذا الاطار يحمل مضمونين عظيمين :

اولهما : وحدة الادب والثقافة لشعوب القارتين الثائرتين من حيث المحتوى النضالي لهذا الادب وعنده الثقافة ، ومن حيث انصهارهما الفكري الوجداني في لبب ينطلق من منطلقات مشتركة تجعلهما قضية الحرية والتقدم لشعوبنا جميعا . وثانيهما ، اندماج الادب والثقافة في القارتين ذاتيهما مع كفاح شعوبهما في معركة الحرية والتقدم ، وانهاض الحواجز التي اصطنعتها ايدولوجية الاستعمار والرجعية في عدة اجيال بين قضايا الادب والثقافة وبين قضايا المجتمع والحياة .

لم يكن خافيا على أحد من الوفود ، في كلا الاجتماعين بالقاهرة ، أن العدوان الاستعماري الاسرائيلي الاخير كان موجها ، بقصدته الأولى والأهم ، الى الأنظمة الثورية العربية من حيث هي جزء عضوي من حركة التحرر الافريقية الآسيوية ومن حيث هي جزء عضوي كذلك من الثورة العالمية في مواجهة الامبريالية العالمية ، ولا سيما الاميركية .. أي مواجهة مختلف أشكال التسلط القديم والحديث لنهب ثروات الشعوب واستغلال طاقاتها البشرية .

والمعنى العملي المستخلص من كل ذلك أن الكفاح القومي في مواجهة كل عدوان في العالم ، كهذا العدوان الاخير على العرب ، هو كفاح واحد يؤلف معركة واحدة ذات أهداف ومضائر واحدة .. ومن هنا توجه مؤتمر التضامن الافريقي الآسيوي واجتماع المكتب الدائم لمؤتمر الكتاب

وفي كل حديث وفي كل عمل .. وما كان أوضح الرؤية هذه عندي حين وجدت روح الترقب والحذر والقلق يلتقي روح الهدوء والنشاط والنظام سائدا حياة الناس .. وما كان ابلغ التأثير الايجابي في نفسي حين وجدت حماسة التساهل للمعركة في جانب ، وحماسة العمل السلس في جانب ، وكانهما معا في وجهة واحدة .. فهناك - مثلا - صفوف الزاحفين الى ميادين التدريب على المقاومة الشعبية ، وهناك - في الوقت نفسه - صفوف المجاهدين في غرس الاشجار والازهار على جوانب الطرق والشوارع من قلب القاهرة وضواحيها البعيدة حتى التلال الصخرية من جبل القطم ذاته .

الصورة الثانية

لا تكتمل الصورة الاولى في ذهني وفي نفسي دون الثانية .. فقد اندمجت القاهرة ، أثناء الايام الستة التي قضيتها هناك ، بعالمين اثنين : عالما هي بذاتها ، وعالم الشعوب الاخرى التي تتطلع اليها من كل جانب في الارض تشاركها الالام ، وتشاركها الكفاح ، وتشاركها الغضب والعقبة على المعتدين الغادرين والمتآمرين الحاقدين جميعا . عالمان هما ، في الواقع ، عالم واحد .. امتزجت صورتها المتوحدة المتكاملة في القاهرة نفسها ايام انعقاد المؤتمر الطارىء لمنظمة تضامن شعوب افريقية وآسيا ، وانعقاد المكتب الدائم لمؤتمر الكتاب الافريقيين الآسيويين .. في الصورة هذه برزت الخطوط الكبرى للوحدة العالمية التي تجمع في اطار واحد قوى الحرية والتقدم في العالم كله .. فهذه قوى العالم الاشتراكي ، وهذه قوى حركات التحرر الوطني والاجتماعي مؤتلفة هنا انتلافها الطبيعي التاريخي في رفقة كاملة على الطريق الواحدة الى الهدف الواحد ، وفي الحركة المشتركة لقارعة العدو المشترك من أجل تحقيق المصير المشترك ..

كما أن الثورة المصرية (ثورة ٢٣ يوليو) كانت في مسيرتها حتى اليوم شريانا دافقا بدم الحياة في جسم الثورة العالمية بوجه الاستعمار العالمي بمختلف صوره وأشكاله ، كانت الاحداث التي واجهتها الثورة المصرية هذه وواجهتها الثورة العربية التحررية والتقدمية بأسرها شريانا دافقا بدم السخط والاصرار والعناد في جسم الثورة العالمية نفسها ..

يكونوا على استعداد لاحتماله دون أن تنزلزل بهم الأرض ، فاصابهم الدوار العاطفي ، ولم يجدوا من ثقافتهم ما يجمع الأنفاس ويلم شتات التفكير ، ليروا الى الأحداث رؤية تدلهم على مسار المعركة وتكشف لهم ابعادها القريبة والبعيدة ، فتزلزلت بذلك ثقافتهم باصول الثقافة العربية ذاتها ، ولم يستطيعوا أن يميزوا أثر الثقافة العارضة المدخولة علينا من أثر الثقافة العربية الأصيلة . ذات الجذور في تاريخنا .

علينا ، في هذا المجال ، أن نؤكد القول بأننا لم نفقد - بعد - أسباب القوة والتماسك أمام العاصفة الجانحة ، فلا تزال لنا أذرع قادرة أن تصارع عباب المأساة غير مستسلمة للفرق ، ولا تزال لنا رؤوس تأبى أن تنحدر الى قرار « النكسة » حتى الهزيمة ، ولم تبتثر الواقعة الهائلة كل الصلة بيننا وبين الأرض التي تمسك بجذورها القوة المتأصلة الراوية بالحياة .. علينا أن نبحت اليوم عن مكان هذه الجذور من نفوسنا وعقولنا ومجمل طاقاتها بعد الواقعة .. علينا أن ندخل من فتحات الجراح ذاتها ، جراح المعركة الأخيرة ، الى ما تحت الجراح من الأعماق من قوى مخدرة في وجداننا الوطني ، والقومي ، والانساني جميعا .

ثقافتنا العربية هي احدى جذورنا في أرض الحياة ، وهي احدى أذرعتنا التي نخوض بها عباب المأساة .. ثقافتنا هذه ليست من الطحلب الواهي نبتت على سطح بركة راكدة من كياننا الانساني ، وانما هي شجرة أرسى التاريخ ، تاريخنا ذاته ، عروقها في تراب الحياة التي أنشأتنا أمة وشعبا ووطنا ولغة وأدبا وحضارة . السننا قد وجدنا أنفسنا ، فجأة ، ونحن فيه ، دوار الأحداث الأخيرة ، نبحت عن مكان الثقافة والمثقفين من معركتنا الجديدة ؟

هذا وحده يعني أننا ، حقا ، لم نفقد - بعد - أسباب القوة والتماسك أمام العاصفة ، وأن رؤوسنا لم تستطع العاصفة هذه أن تلصقها بالجرح النازف فلا ترى غير نرف الدم ونرف الحزن والألم ؟ .. هذه وحدة يعني أننا جعلنا لا يدينا أن تمسك بالنزف من جراحتنا ، وجعلنا لرؤوسنا في الوقت نفسه أن تفكر وتدور بها الأعين الكاشفة باحثة عن مركز القوة ومركز

الأفريقيين الاسيويين بندهاتها الحارة الى مكافحي الشعوب في الفسارات كلها ، والى أحرار الفكر والأدب في العالم أجمع ، داعية اياهم لمساندة الشعب العربي في معركته العادلة ، وللمسبل الجدى الفسال ، في مختلف الميادين ، لردع المعتدين الاسرائيليين عن الاستفادة من أى مكسب عسكري عدواني في تثبيت أقدامهم بالأرض العربية المحتلة ، ولردع الاستعماريين عن مواصلة التآمر على حركة التحرر الأفروآسيوية بعامه وعلى مسيرة الثورة العربية بخاصة .

ان المحنة التي عاناها الشعب العربي في الاسابيع الأخيرة قد انصهرت في وحدة الكفاح العالي حتى تحولت الى عزم جديد على احراز النصر تلو النصر الى أن يقضى الى الأبد على قوى العدوان والتسلط والاستعمار وقواعده العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية في كل مكان .

- ٢ -

ما ان استطاع الكتاب والمثقفون الوطنيون في لبنان أن يصححوا من سكرة الذهول اiban المعركة الأخيرة ، بعد ٥ يونيو الماضي ، حتى رجعوا الى أنفسهم يسألون : أين مكان المثقفين في هذه المعركة ، وما دورهم فيها ؟

هذا السؤال وضع قضية الثقافة العربية برمتها موضع البحث من الأساس هنا ، بل لقد وصل الأمر ببعضهم الى التشكيك بجدوى هذه الثقافة وقيمتها واصالتها بصورة مطلقة .

لقد كان لهذه الموجة الطاغية فجأة ما يزيكها بعض التزكية .. ذلك بأنها انطلقت من المفاجأة الذاتية ، ثم من الاحساس بالفراغ الرهيب يحتل مكان المثقفين - ولا سيما الكتاب - في المعركة .. فقد التفت كل واحد منا الى نفسه يتحسس وجوده ، ويسأل : أنا في مجتمع تقترض عليه ظروف تاريخية قاسرة أن يعايش قضية مصرية ملتزمة ، فما جدوى وجودي في هذا المجتمع ما دمت لا أحس حتى الآن لهب قضيتي ؟ .. ما معنى هذا الوجود ما دمت لا أشارك انسان بلادي حتى قلقه الجماعي متلهيا بقلتي الفردي الذاتي الباطني ؟

والحق أن هؤلاء الكتاب والمثقفين شعروا ، على حين غرة ، أن الأحداث قد فاجأتهم بما لم

بصحيح اطلاق الحكم على ثقافتنا ومثقفينا بحو
من التعميم دون تحديد ولا تخصيص ولا استثناء
.. فان هناك فارقا بين ثقافة وثقافة ، ثم بين
مثقفين ومثقفين .. هناك ثقافتنا التراث ، وهناك
ثقافتنا المدخولة المجلوبة الى بيئة غير بيتنتها
الانسانية .

هل استقام للجيل العربي المعاصر أن وصل
بين ثقافتنا القومية وثقافته المجلوبة صلة حياة
حقيقية ينبض فيها الماضي بنبض الحاضر الذي هو
جنين المستقبل ؟

هذه هي المسألة .. وعلينا ، منذ اليوم ، أن
نتعرف مواقع الانقسام بين ثقافتنا التراث
وثقافتنا الملقاة آليا في نهر وجودنا الحاضر
وأن نتعرف عوامل هذه الانقسام .

ان الذين يبحثون عن مكان الثقافة والمثقفين في
معركتنا الحاضرة فلا يجدونه ، يغيب عن أذهانهم
أن فراغ هذا المكان أو تزلزله واعتزازه ، إنما
هو عرض طارئ، لعل طارئة ، وليس هو أصيلا
فائدا في جذور ثقافتنا العربية وقيمها الحقيقية

ان تراثنا الثقافي ، بجوهره الانساني ،
يرجع منبعه الى قوى الخير والابداع الكامنة في
قوى شعبنا نفسه .. أما اللة وأعراضها فترجع
الى التشويه الذي أصاب ثقافتنا قديما وحديثا
وربما كان التشويه الحديث أكثر فعلا وأعمق
أثرا في تزلزل مكان الثقافة والمثقفين من معركتنا
الآن ، وفي اعتزاز هذا المكان والتباس معالمة ..
وان أسوأ التشويه لثقافتنا ومثقفينا الآن هو
ما أدخله أعداء شعبنا وأعداء معركتنا هذه في
رؤع أهل الفكر والأدب والفن عندنا من نزعات
فردية باطنية تحوّلها المبررات المصطنعة للحركة
في مصانع أهل المطامع في ثرواتها وخيرات بلادنا
وأعداء حريتنا وسيادتنا القومية .

ان البحث عن مكان الثقافة والمثقفين في
معركتنا المحتدمة الآن ، ينبغي أن ينطلق من هذا
الواقع لكي يصل الى قلب المسألة ، ولكي نفيده
من التجربة الحادة التي نعانينا في هذه الأيام
الحصيبة بدماء الشهداء وبنزف الألم من نفوس
الأحياء .. ان هذا أول الطريق الى تصحيح أمر
الثقافة والمثقفين في حركة المعركة وفي مسيرتها
التي تنتظر أوقافها الزاوية المستمدة وعيها من
ثقافة قومية ذات نظرة علمية شمولية وذات
مسئولية اجتماعية وطنية وأخلاقية .

الضعف في كياننا كأمة وشعب لهما وطن وتاريخ
ولوطنهما وتاريخهما مقومات حياة وبقاء ونماء ،
ولهذه المقومات كبرياء التحدى تجاه الخطوب
والأرزاء ؟

أما اللغة والثقافة والأدب ، وأما العناصر
الحضارية التي تحتويها اللغة والثقافة والأدب ،
فهي الجوهر الى تلك المقومات .. فان لغة
الأمة والشعب ، بما تستوعبه من تراث ثقافي
حضاري ، ليست شيئا خارجيا من حياتها ، وإنما
هي من نسيج كيانها التاريخي بالذات ، نسيج
القوة والضعف معا ، نسيج الطاقات الانسانية
والروحية والمادية ، في الأمة والشعب .. هي
خلاصة معنى الوطن وتاريخه ، وهي عصارة
الكيونة الانسانية المتميزة بلامع خاصة تنميها
تربة الوطن ، وينضجها تاريخه القادر على
الامتداد في أصلاب الاجيال يصل الماضي بالحاضر
والمستقبل .

اننا ، حين نرجع الى ثقافتنا التراثية في
ساعات المحن ، انما نرجع الى هذه « الأشياء »
الناضبة في وجودنا نستمد منها العون على اكتشاف
أسباب القوة والتماسك فيها أمام المحن .. فإين
تراها تكمن هذه الاسباب ؟ .. أين في ثقافتنا
عناصر الضياء تبدي عن صدورنا أثقال الظلام
الطاري ؟ .. أين في ثقافتنا العربية الأصيلة
خوافز النهوض تزيح عن نفوسنا هذه الكتل
الكثيفة من آلام « النكسة » الأخيرة ؟ .. أين
في ثقافتنا هذه الروافع التي تنشلنا من وهاد
اليأس الى قمم الرجاء ؟ .. أين فيها هذه الكوابح
التي تدفع عن عقولنا ضباب الانفعالات العاطفية
الانهزامية ؟ .. هل صحيح أننا نفتقدها جميعا
في هذه الأيام فلا نجد لها ؟

ان كوننا نبحث عنها ، في هذه الأيام نفسها
هو بذاته دليل وجودها .. ان تساؤلنا هكذا
يعنى - أولا - اننا لم نستسلم للنهيج العاطفي
الحض ، ويعنى - ثانيا - ان في أصول ثقافتنا
ذاتها ما نحس الحاجة اليه في أوان الشدة ،
لتمنحنا الرؤية الكاشفة لمصادر المأساة من جهة ،
ولمصادر التحدى للمأساة من جهة ثانية .

صحيح أن مكان الثقافة والمثقفين من معركتنا
الأخيرة مكان متزلزل مهتز ليس له أرض واضحة
يثبت عليها وينطلق منها في تحديد موقفه أدنى
تحويل هذا الموقف - ان وجد - من موقع الفكر
المجرد الى موقع الفعل المؤثر .. ولكن ليس

الخزائن الاقتصادية

وسياسة السيطرة على العالم

دكتور: اسماعيل صبرى عبدالله

معا . ولاشك ان عددا كبيرا من هؤلاء الاقتصاديين امين مع نفسه ، بمعنى انه يؤمن بما يقول . وهنا يكمن المنزلق . فالافكار الرأسمالية الاساسية بالنسبة لهم «عقيدة» لا تخضع لمناقشة عقلانية ، وكل الجهد العلمى ينصب على مادون الاساسيات من قضايا . ونحن حين نقرأ لهم او ندرس عليهم ونعجب بدقة ابحاثهم غير ملتفتين الى اننا نناقش «المنطق القادى» نناقش بكل حسن نية الى جانب هذا الجانب او على الاقل التسليم به . وثمرة ذلك واضحة فى تدريس الاقتصاد فى جامعاتنا . فحتى أولئك الاساتذة الذين تقبلوا الاشتراكية اجتماعيا وسياسيا ، يعانون نوعا من التمزق بين ما تلقوا من علم اقتصادى أسس رسمائى وما انتهوا اليه بعقولهم أو قلوبهم من حتمية الحل الاشتراكي . وهكذا يتعين على الطالب أن يمزج بين عالمين من الفكر الاقتصادى عالم النظرية الذى تسوده الرأسمالية ، وعالم التطبيق العربى الذى يتمسك بالاشتراكية . ويزداد الأمر خطورة اذا لاحظنا أن الكتب المترجمة فى الاقتصاد ليست بالدقة تلك المؤلفات العلمية العويصة التى لا يقرؤها الا أهل التخصص ، بل انها مؤلفات تخاطب جمهرة المثقفين وأحيانا جمهور القراء . ومن ثم فهي تأخذ طابع التبسيط والاعتماد بالافكار الاساسية وحدها ، أى بالافكار الرأسمالية

طالعت منذ بضعة أسابيع النشرة التى أصدرتها «دار الكتب» بتصنيف المؤلفات التى نشرت فى مصر فى الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٥ . وقد وقفت بالطبع طويلا عند الكتب التى ظهرت فى الاقتصاد والعلوم الاقتصادية . وخارجت من استقراي لها بان مالا يقل عن ٩٠٪ من الكتب المترجمة فى هذا الباب من أصل أمريكى . ولم يكن ذلك من فعل المؤسسات الثقافية الامريكية وحدها . بل لقد شاركت احيانا دور النشر المصرية ، ومنها ماهو ملك للدولة ، فى الترويج للكتب الاقتصادية الامريكية . وبعيد عنى تماما التفكير فى رفض الثقافة الامريكية برمتها . وهل يملك مثقف أن يرفض بنجامين فرانكلين أو والت ويتمان أو وليم سارويان أو دوس باسوس ؟ وفى مجال الاقتصاد ذاته الا يمكن كل اقتصادى اشتراكى أعظم التقدير لبول باران ولسوبزى ولهورمان ؟ ولكن المشكلة التى نواجهها فى الاقتصاد هى انه بصفة عامة من أقل العلوم حيدة ازاء الصراع الاجتماعى والسياسى . والقوى المسيطرة على كل مجتمع تبدل غاية الجهد فى أن تؤسس علم الاقتصاد فيها على قواعد تحدد نظامها الاقتصادى . ولاعنى بهذا اتهام اساتذة الاقتصاد فى امريكا بأنهم جميعا ماججورون يخدمون عن وعى مصالح الرأسمالية الامريكية . فمثل هذا القول يتسم بالسذاجة والفجاجة

احتكارية ضخمة . لننظر قليلا في حقيقة الأمور بحثا عن الأسباب المؤثرة والنتائج الواقعية . لا شك أن الولايات المتحدة أكثر الدول تقدما من الناحية الاقتصادية . وهذا التقدم يقاس بنصيب الفرد من انتاج سلع الانتاج الرئيسية: الكهرباء ، الصلب ، الفحم . الخ ، ثم بنصيب الفرد من سلع الاستهلاك الجاري . أما متوسط الدخل التقدي للفرد فهو أقل دلالة ، إذ يمكن أن يكون مصدره وحيدا كالبتترول في الكويت وهو سلعة الانتاج الوحيدة هناك حيث يزيد متوسط دخل الفرد عنه في الولايات المتحدة . ولكن هل كان هذا التقدم ثمرة النظام الرأسمالي ؟ ان بريطانيا قد سبقت الولايات المتحدة في الاخذ بالرأسمالية فلماذا تفوقت أمريكا ؟ لا بد إذن من البحث عن أسباب أخرى . وتلك الأسباب ليست خفية ولنذكر منها :

- احتلال المهاجرين الاوروبيين لنصف قارة بكلمة وإبادة سكانه الاصليين مع ما يمتاز به الأقليم من التنوع في المناخ والتربة والثراء الشديد في الموارد الطبيعية .

- اجتذاب الهجرة من أوروبا حتى أواخر القرن الماضي العناصر البشرية الديناميكية التي هاجرت بحثا عن عقيدة دينية أو سياسية أو سعي وراء سبيل رزق أرحب ، مما زود الولايات المتحدة سكانيا بعناصر شابة قادرة على العمل وطموحة .

- الاستغلال الشيع للزئوج كعبيد حتى سنة ١٨٦٥ ثم كعمل رخيص حتى الآن .

- اتوسع الاقليمي على حساب المكسيك أولا ثم يضم ألاسكا ثم يورتوريكو .

- السيطرة الاقتصادية الكاملة منذ مبدأ مونرو سنة ١٨٢٣ على أمريكا اللاتينية ومواردها الضخمة من الطاط والبتترول والقصدير والحديد والحاصلات الزراعية .

- التوسع الاستعماري في نهاية القرن الماضي والاستيلاء على كوبا والفلبين .

- الاستنزاف المنظم للعلماء والخبراء الفنيين من مختلف بلاد العالم . وقد بدأ بشكل تلقائي حين

التي لم تكن موضع التحليل العلمي أصلا . ولهذا فهي كتب ترويح وتحبيذ ، مهما تحمل من أسماء . ألم تنشر دار نشر كبيرة في « مكتبتها الاشتراكية » ترجمة لكتاب جوزيف شوبنير : « الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية » وكله دفاع عن الرأسمالية باسم الديمقراطية ؟

وتتضح الأبعاد الحقيقية لخطر مثل هذه الكتب إذا أدركنا أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم منذ ربع قرن بأشمل محاولة للسيطرة العالمية شهدها تاريخ البشرية . فالرومان حين توهموا أنهم سيطروا على العالم لم يكن سلطانهم قد تجاوز حوض البحر الأبيض المتوسط . وهتلر لم تجاوز محاولته من حيث المكان قارة أوروبا ولم تستغرق من حيث الزمن الا سنوات أربع . أما طموح أمريكا فيشمل الكرة الأرضية كلها ، بل ويعد لغزو الكواكب الأخرى . وكل محاولة للسيطرة تصطبغ « بايديولوجية » تبررها وتزورها وتخدع الناس عن حقيقتها . والأيديولوجية مجموعة من الأفكار يناقض الكثير منها الحقيقة مناقضة تجعل منه مجرد خرافة . وخير مثال على ذلك خرافة « تفوق العنصر الآري » التي كانت أمضى سلاح في ترسانة النازية الأيديولوجية . أما ترسانة واشنطن فانها تقسم عددا كبيرا من الحرافات يعينها منها في هذا المقام بعض الحرافات الاقتصادية .

وتدور الحرافات الاقتصادية التي تروج لها أجهزة الدعاية الأمريكية بكل ما تملك من وسائل مالية وتكنولوجية حول فكرتين أساسيتين :

✽ أن ثراء الولايات المتحدة وقوتها وتقدمها العلمي ترجع جميعا الى فضائل النظام الرأسمالي

✽ أنه لا طريق للتقدم أمام دول العالم الثالث الا في ظل التبعية للولايات المتحدة .

أما الفكرة الأولى فهي من المسلمات في كتب الاقتصاد العلمية ، وهي اللحن الاساسي في كل تنويعات كتب التحبيذ والترويح ، وهي الموضوع المحبب للفلم والقصة والصحافة والإذاعة والتليفزيون التي لا تفك تلح على الناس في مختلف البلاد بصورة « العصامي » الذي بدأ حياته بائعا للصحف ثم تربح على عرش امبراطورية

الأجنبي لتعويض النقص في تكوين رأس المال القومي . ثم لابد من تشجيع زيادة الفوارق بين الطبقات لأن الطبقات الغنية هي وحدها القادرة على الادخار . وأخيرا لا بد من العمل على تكوين طبقة من الرأسماليين المحليين لأنه بدون رأسمالية ورأسماليين لا تقدم ولا رخاء . وقد جربت بلاد أمريكا اللاتينية نصائح الخبراء الأمريكيين فلم تزد إلا تأخرا وتعثرا في طريق النمو . والواقع أن الصورة تختلف جذريا عن ذلك . « فالتخلف » ليس مجرد تأخر زمني وإنما هو نمو مشوه للاقتصاد القومي تحت تأثير الاستغلال الاستعماري الذي أخضع اقتصاديات المستعمرات لمصالح الدول الاستعمارية وأهدر كل اعتبارات النمو المستقل فيها . كما أن الطبقات الغنية في العالم الثالث تكون بصفة عامة طبقات قطاعية تنفق دخلها الطائفة في البذخ « والمظاهر » ولا تمارس ادخارا يذكر . والتمنيخ القومية لا يمكن أن تعتمد بشكل أساسي على المعونات الخارجية ، بل لا بد أن تقوم في الأساس على التراكم القومي . كما أن رأس المال المتاح للاستثمار يجب توجيهه وفق خطة مركزية لضمان أفضل استخدام له . والدول التي استطاعت أن تحقق تنمية حقيقية هي التي تحررت اقتصاديا من ربكة الاستعمار وصفت مواقع الانقطاع وأصبحت المراكز الأساسية في الاقتصاد القومي وأخذت بسياسة التخطيط . أما نصيحة الأمريكيين فلا تؤدي إلا إلى مزيد من التبعية في صورة الاستعمار الجديد . ويكفي أن نذكر على سبيل المثال أن أرباح رأس المال الأجنبي تجب كل استثمارات أجنبية جديدة . ففي الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٥ بلغ إجمالي رأس المال الأمريكي الذي وفد إلى أمريكا اللاتينية ٣٨٠٠ مليون دولار وبلغت أرباح رؤوس الأموال الأمريكية التي خرجت من أمريكا اللاتينية في نفس الفترة ١١٣٠٠ مليون دولار . من الذي أخذ ومن الذي أعطى إذن ؟ تلك حقيقة الاستعمار الجديد .

إن البقطة على الجبهة الفكرية ضرورة قصوى في معركتنا اليوم . وليفكر كل منا في دوره الماضي والحاضر والمقبل على خط القتال الفكري وفي مجال الفكر الاقتصادي بالذات .

عاجز إلى أمريكا علماء المان وإيطاليون هاربين من الفاشية ، ثم أصبح عملية منظمة لا تقتصر على كبار العلماء وحدهم بل تشمل حتى شباب الباحثين . ومن المعروف أن الأمريكيين ينفرون الطلبة الأجانب الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية بالبقاء بها إذا بدا عليهم التفوق حارمين بلادهم منهم حتى تستجدي من أمريكا الخبرة الفنية . تلك هي العوامل الحقيقية التي أدت إلى تقدم أمريكا اقتصاديا وليست الحرية الاقتصادية والحافز الفردي كما يزعمون فتلك أمور قد ولي عهدها من عشرات السنين . والاقتصاد الأمريكي تحكمه اليوم حفنة من الاحتكارات الكبرى مثل « جنرال موتورز » « جنرال إلكتريك » و « ستاندراد أويل » . . . الخ ولم يعد فيه مجال جدلي لمنافسة اللهم إلا في مستوى المقهى ومحل تصليح الأحذية . والدولة تتدخل في الحياة الاقتصادية بشتى الأشكال بالتعاون مع كبار الاحتكاريين . ولصالحهم أما الرخاء الأمريكي الأسطوري فيجب لتحديده واقعه أن نذكر أن استثمارات أمريكا في الخارج تدر عليها ربحا مباشرا لا يقل عن ستة آلاف مليون دولار سنويا . فضلا عن أن ٢٥ / ١ من صادرات أمريكا تستتريه فروع الشركات الأمريكية في الخارج وينقل معظمه على بواخر أمريكية . ونؤمن عليه شركات أمريكية . . . الخ فجزء أساسي من الرخاء مصدره استغلال الشعوب الأخرى . وهذا الرخاء لا يعم أفراد الشعب الأمريكي كله . فحال الزوج معروفة لا تحتاج إلى مزيد من التعليق . أما ما يجله الكثيرون فهو أن خمسين مليون أمريكي يعيشون بدخل سنوي يقل عن ألف دولار ، وهو بالنظر لارتفاع الأسعار هناك يعتبر أقل من الحد الأدنى اللازم للعيشة

أما الفكرة الثانية فهي تبدأ بتحليل خاطيء لظاهرة التخلف الاقتصادي باعتباره مجرد تأخر زمني . ثم تقدم تفسيراً لهذا التأخر أن انخفاض الدخل القومي وضعف عائدات الادخار والاستثمار تحول دون تكوين رؤوس الأموال اللازمة للتنمية . ويتربط على هذا التفسير أن وسائل تصفية التخلف تبدأ بالضرورة بالاعتماد على رأس المال

من اتجاهات الفكر الأمريكي

في الدراسات الإفريقية ١

عرض وتقديم: د. عبد العزيز كامل

وهو أول رئيس لجمعية الدراسات الإفريقية هناك وهو مدير برنامج الدراسات الإفريقية في جامعة نورثوستن منذ عام ١٩٤٧ . وقام بتدريس الأنثروبولوجيا والإشراف على بحوثها في جامعات كولومبيا وهورد . وكان عضواً في المجلس الدائم للمؤتمر الأنثروبولوجي العالمي والمجلس التنفسي للمعهد الإفريقي الدولي ورئيس تحرير مجلة « امريكان انثروبولوجست » فيما بين أعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٢ .

الكتاب :

وتبدو مكانة المؤلف العلمية في كتابه الأخير الذي ختم به اتجاهه العلمي .. فالطبعة الأولى للكتاب الذي بين أيدينا صدرت عام ١٩٦٢ . وصدرت الثانية عام ١٩٦٣ . وهو العام الذي توفي فيه المؤلف .

والكتاب دراسة عميقة لأفريقية جنوب الصحراء ويعرض حصيلة ضخمة من المعرفة الأنثروبولوجية تعني - أساساً - بدراسة الجوانب التالية :

- ١ - المفاهيم الإفريقية والتقليدية وتفاعلها مع المفاهيم الحديثة .
 - ٢ - التفاعلات التي حدثت في إفريقيا مع غزوب الاستعمار وشرق التحرير .
 - ٣ - عرض للمواقف المتطورة وجهات النظر التي صاحبت - في سنوات قليلة - قيام هذا العدد الكبير من الأمم الإفريقية المتحررة .
- للكتاب يركز أساساً على عوامل التطور والمقاومة وأثرها على الطابع العام للحياة . ويعود بنا العمق الزماني للكتاب إلى أقدم عصور الحياة في إفريقيا وطبيعة سكانها وتطورهم فيما قبل التاريخ ، والطرائق التي سارت فيها حضاراتهم ، وكيف وجهت ردود أفعالهم تجاه القوى الأوربية، ثم هو يتابع تطور السلالات البشرية ، في إفريقيا جنوب الصحراء، والشعوب التي اتصلت بها من شمال الصحراء، ومن آسيا ومن أوروبا . وكيف أثر هذا على مشكلات حيازة الأرض وبخاصة في حياة المدن حيث عمل كثير من الإفريقيين .
- وتنتقل الدراسة إلى مراحل الاستعمار وما بعده

في العام الماضي أمضيت وقتاً غير قليل في مراجعة معونة لكتاب : العامل البشري في تطوير إفريقيا ، للاستاذ مللن هرسكتش (١٨٩٥ - ١٩٦٣) ، أول استاذ أمريكي في الدراسات الإفريقية . وأود في صدر هذا الحديث أن نتعرف معاً على الكاتب والكتاب (١) ثم نقوم معاً برحلة علمية فيه لنرى نموذجاً من نماذج معالجة المشكلات الإفريقية في الولايات المتحدة ، وكيف يوضع العلم في خدمة الاستعمار الفكري بعد البأسه ثوباً من الموضوعية العلمية الرصينة .

ولن اقتصر في هذا المقال على حصر القضايا الفكرية التي حاول بها المؤلف أن يعطي صورة مشوقة لتاريخها وحضاراتها الإفريقية ، بعد اقبال الكتاب بهوامش منتقاة بعناية لتجسيم وجهة نظره ، وإنما سأختار بعض القضايا الرئيسية التي بها الكاتب ثم تناولها بالمناقشة والتعليق مستفيداً في هذا إلى مراجع أغفلها المؤلف ولا يمكن أن تكون غائبة عنه .

الكاتب :

وقد صدر الكتاب الأول للمؤلف عام ١٩٢٨ عن « الزنجي في أمريكا » ، بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة كولومبيا بخمسة سنوات . وما بين كتابه الأول وكتابه الأخير وهو موضوع هذه الدراسة - رحلة طويلة في الإنتاج الأنثروبولوجي الذي اعتمد على دراسات ميدانية في قضايا الزواج في أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية وفي إفريقيا جنوب الصحراء، كما اعتمد على حصيلة الوفرة من المعلومات وذهن مستوعب تبوؤ قدرته في عمق وتنوع إنتاجه العلمي .. هذا الإنتاج الذي يضم مؤلفات أصولية توفر للطالب والباحث مدخلاً علمياً مثل كتابه « الأنثروبولوجيا الحضارية : ١٩٥٥ » وهو اختصار لكتابه الضخم « الإنسان وأعماله : ١٩٤٨ » ، ومؤلفات قائمة على بحوث ميدانية مثل « قرية من ترينيداد : ١٩٤٧ » و « معالم العقيدة الدينية في داخومي : ١٩٣٣ » . ثم هو يعنى بالدراسات الموضوعية التي تغطي أكثر من إقليم : فيكتب عن « الحياة الاقتصادية للشعوب البدائية : ١٩٤١ » وعن التفاعل الحضاري : ١٩٣٨ .

وله نشاط في المجالس والجامع العلمية : فهو أول من شغل كرسيها للدراسات الإفريقية في الولايات المتحدة .

الاستعمار ، ودور الحركات القومية في تحقيق الاستقلال ، وكيف أصبح القادة السياسيون رؤساء دول يعملون على الصعيد العالمي .

ويدرس بعد هذا الاستجابات البشرية للتغيرات الصناعية والتكنولوجية والاقتصادية . ويتنقل بعد هذا إلى جوانب الحياة الأفريقية وأبرزها عودة الأفريقيين إلى كشف قارتهم بأنفسهم وما فيها من حضارة ، وصناعاتهم الجديدة لأنهم الديني وموسيقاهم وأدابهم . كل أولئك لدمج القديم بالجديد في نظام موحد من القيم .

أولا : الروابط الحضارية عبر الصحراء

في العصور القديمة

وأول ما يسترعى النظر في الكتاب « مجال البحث »

فمنطقة الدراسة « افريقية جنوب الصحراء » يقتصر عليها الكاتب . كما يقتصر على غرب القارة بعونه الميدانية . من أجل ذلك كان توازن الكتاب من وجهة النظر الأفريقية . مختلا ومعتاجا إلى تدعيم بدراسات من الوطن العربي وبخاصة شمال الصحراء . وهو ما لم يرق به الكاتب ولم يمن به الكاتب .

بل إنه ليكاد يعتبر « افريقية جنوب الصحراء » جزءة تأتية المؤثرات من شمال الصحراء ، وآسيا وأوروبا . نظرة تكاد أن تستوي فيها من حيث التأثير أجزاء من القارة وأجزاء من خارجها . بل أن المؤثرات الإفريقية الداخلية تحتاج أمام السيل الضخم من الحقائق الذي يقضي به دراسة عن المؤثرات الأوربية .

وإذا كانت معالجته للروابط الإفريقية الأوربية أو الروابط عبر الاطلنطي - بين افريقية والعالم الجديد - كانت المعلومات والمراجع متوفرة .

وإذا ما كانت الروابط عبر الصحراء كانت مترابطة محدودة إلى درجة لا يملك حيسالها القصر الموضوعي إلا أن يقول كلمته .

قائمة مراجع الكتاب تشمل نحو خمسمائة مرجع ما بين كتاب ومقال لكتاب عدد صفحاته خمسمائة ومن بعدها فهرس دقيقة عن الموضوعات والإعلام في خمس وخمسين صفحة .

في العصور القديمة

ومع هذا تدور عينك في قائمة المراجع فلا تجد - فيما يتعلق بالروابط الحضارية عبر الصحراء مؤلفات سلجمان (٢) وهجين (٣) وميك (٤) وداليدسن (٥) وإيلا مايروفتش (٦) . وإن جاءت اشارات ضمنية لبعض إبحانهم تهوينسا من شأنها دون عرض دقيق لما عتوا به من بحث وما ذهبوا إليه من رأي وما وصلوا إليه من نتائج .

فهو يشير (ص ٤٥) إلى ما كان من عبائة الباحثين بالمؤثرات المصرية بالذات . فإذا ما وجد الباحثون تشابهها

حضاريا أرجعوه إلى التأثير المصري ثم يعود ليؤكد أن هذه المؤثرات كانت محدودة جدا في عصور ما قبل التاريخ وأن الأدلة التي استند إليها مؤيدو التأثير الحضاري القوي عبر الصحراء إنما هي أساليب عشية . ويذكر ص (٤٩) قسلة الأدلة التي عثر عليها الباحثون . ثم يتناول بالتصنيف أيضا ما جاء من أدلة عن الروابط الحضارية التاريخية ويصيرها على مناطق محدودة جدا في شرق افريقية وجنوب الصحراء . وهو في هذا كله يختار من المراجع ما يؤيد وجهة نظره من كتاب عداؤهم للربح معروف مثل كويلاند (٧) ولهم اتجاههم نحو تقليل أهمية الروابط عبر الصحراء مثل سوني كول (٨) فهي تذكر « من الواضح أن المؤثرات المصرية - فيما يبدو - كانت قليلة جدا في افريقية . ومع أن هذه المؤثرات توغلت من النوبة إلى السودان ، إلا أنه يبدو أنها كانت خليفة جدا جنوب الخرطوم حيث كان جفاف تدريجي خلال الستة آلاف سنة الماضية . وكانت متقطعة السدود حاللا دون توغل الرحالة على طول النيل » (٩) .

مثل هذه الاقتباسات تحظى بعناية كبيرة من الكاتب يذكرها ويعزها بنظرها فيها يهمل - متعمدا ما يؤكد هذه الروابط وإن كان الذين ذهبوا إليه من كبار علماء الأنثروبولوجيا الغربيين .

ومن التماذج الإفريقية القريبة للعناية بهذه الروابط الحضارية التي ألفها الرئيس ليوبولد ستفور بعناية متحة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة القاهرة في ١٦ فبراير ١٩٦٧ (١٠) .

كما كانت في العام الماضي موضوع بحث قدمه د . عبد المنعم أبو بكر بيلم الجمهورية العربية المتحدة في المهرجان العالمي للفنون الزنجة الذي عقد في دكاور تسمه السنغال - فيما بين ٣١ مارس و ٢٤ أبريل ١٩٦٦ (١١) .

ومن قبل هذا حتى سلجمان يتبع الصلات الحضارية بين مصر الفرعونية و افريقية جنوب الصحراء . واستطاع في محاضرة فريزر التذكارية التي ألقاها في ليبربول عام ١٩٣٣ وما أرفقه بها من ملاحق (١٢) أن يبين اتساع هذه الروابط ومداه . وكيف أنها كانت تمتد من هضبة شرق افريقية إلى غرب القارة . ولم يقتصر التأثير على مظهر واحد من مظاهر الحضارة وإنما شمل جوانب من الحياة الدينية - العقائد والشعائر - وتقاليده تربية الشامية واستخدام أدوات الزينة والآلات الموسيقية والإخفاخ الملكية . والفرض سلجمان طرفا كانت تتبعها هذه المؤثرات من مصر قبل دخول الجمل افريقية في عهد الرومان . فكان منها طريق يبدأ من رأس الدلتا في مصر ويتجه غربا إلى سيوه . ويتابع سيره بعد هذا غربا إلى الواحات الليبية - جالو والمعلية - ثم يتجه نحو الجنوب الغربي إلى واحات زويلة ومنها إلى منطقة تشاد ، أو يتابع سيره غربا إلى واحات غات ومنها يوازي الطريق السابق ويتجه جنوبا إلى كاتو الحالية . ومن الممكن أن تبدأ القوافل رحلتها من نقطة في صعيد مصر ، لتتجه جنوبا بغرب إلى كردفان ودارفور الحالية - في السودان وإلى النيل - أو تتابع سيرها مع النهر ثم تتفرع إلى السودان الشرقي

.. والخط الذي اتخذته الفريقية على علم واعتبرته محسورا رئيسيا من المحاور التي قامت عليها الموسوعة الافريقية .. ذلك الشروع الضخم الذي بدأ كتدور دبوا وتابع هنسون العمل فيه وأرادت به الفريقية أن تؤرخ لنفسها .

ولقد كان أمام أمانة الموسوعة أن تقصر دراستها على الفريقية جنوب الصحراء أو تتوسع لتشمل الأفرقيين خارج القارة أو تتخذ الفريقية بعجودها الجغرافية أساسا للدراسة .. فاختارت الرأي الثالث على أساس من أن الوطن العربي في الفريقية شمال الصحراء جزء لا يتجزأ من الفريقية حضاريا وتاريخيا .. وكذا كان في الماضي ولا زال في الحاضر .. ولا شك في أن انتصار هذا الرأي (١٨) كان تعقيدا للاتجاه القائل بقوة الروابط الحضارية عبر الصحراء .. وهوالا اتجاه الذي حاول هرستكتش التهوين من شأنه في كتابه .

ثانيا - الروابط الحضارية الإسلامية عبر الصحراء
وقد قويت هذه الروابط الحضارية كثيرا بعد دخول الاسلام الفريقية ..

وكثير من المراجع - وبخاصة الاوربية - تهر مورا سريعا على القرون الهجرية الاولى عندما تدرس الروابط الحضارية الاسلامية عبر الصحراء مع غرب افريقية . وتبدأ دراستها بشئ من التفصيل من اسلام المسلمين في القرن الثالث الهجري ومواجهتهم مملكة غانة التي كانت وقتئذ في أوج قوتها . بينما المصادر الاسلامية تربط ربطا قويا بين انتشار الاسلام في بلاد المغرب وبين انتشاره في غرب افريقية .. فلذا عرفنا قوة تأثير القاعدة المصرية في نشر الاسلام في بلاد المغرب . استطعنا ان نذكر مدى تأثير هذه القاعدة على نشر الاسلام في غرب الفريقية بطريق مباشر وأحيانا بطريق غير مباشر .

ولتفقد قليلا عند سطور اوردوها ياقوت في معجم البلدان عند ذكره مدينة القيروان :

« كان عقبة بن نافع مقبلا في نواحي برقة وزوية منذ ولاية عمرو بن العاص ، فجمع من اسلم من البربر وضهمهم الى الجيش انوارت : ليه من معاوية وسار الى الفريقية ونازل مدنها واسلم على يده خلق من البربر وفشا فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان فجمع عقبة حينئذ اصحابه وقال : اني رايت ان ابني ها هنا مدينة يسكنها المسلمون فاستصوبوا رايه وبني القيروان (١٩) . »

والذي يستوقف النظر ، في هذا النص قول ياقوت : « وفشا فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان » ويجعل هذا من مبررات انشاء القيروان في منتصف القرن الاول للهجرة .. ويتبع السودان - عند ياقوت - في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة التي كانوا يقسمون الارض المعمورة اليها - وقتئذ . ويميز ياقوت بين بلاد السودان والفريقية . وكانت تبدأ من تونس . مما يبين انه كان يقصد - على الاقل - الاجزاء الشمالية من غرب افريقية بملولها الحال .

وقد ظلت الروابط الحضارية الاسلامية مستمرة عبر الصحراء منذ القرن الاول الهجري وان تعرضت لدلوات من الضعف والقوة سنعرض لها بعد قليل ..

فماذا يقول هرستكتش في هذا الموضوع ؟ وما الحجم

شعوب غرب افريقية في حياة الخلود بعد الموت لا تزال غير واضحة . الا ان ما نعرفه عن شعب غانة في هذا الصدد يعطينا فكرة واضحة عن مدى تطابق اصول هذه الغنيمة مع ما كان منتشرا في مصر القديمة . ومعلوماتنا في هذا الشأن نستقيها من الكتب العديدة التي نشرتها الباحثة ايفا مايروفتش والتي لم يشر اليها هرستكتش مجرد اشارة !

وكانت دراسات الباحثة عن شعب الاكان (١٧) الذي اقام دولة قوية ممتدة جنوبي نهر الفولت الاسود منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وبقيت تتمتع بسيادة مطلقة حتى تعرضت لهجمات الاشانتي وتصدعت اركانها عام ١٧٤٠ . الناس هناك يعتقدون في الخلود بعد الموت وفي وجود عناصر مختلفة في جسم الانسان لا تليث أن تنفصل عنه بعد الموت . وهذه العناصر تكاد تطابق العناصر المصرية السالفة الى الكا واليا والاخ .

وحياة الخلود عندهم ليست من نصيب الجسد بل هي من نصيب الكرا kra التي تمثل في صفاتها الكا عند المصريين القدماء . فاذا مات الانسان انفصلت عنه الكرا وصعدت الى السماء في حينها المادية التي تطابق جسم صاحبها . وعلى لا تصعد الا بعد اربعين يوما (ولنذكر ذكرى الاربعين الذي لا زالت له مكانته في مجتمعنا) ولا تستطيع ان تبقى في السماء الا بعد ان تلقى امام الحكمة (ومرة اخرى نذكر الحكامة في الديانة المصرية القديمة) فاذا ثبت ان صاحبها كان يعمل صالحا سمح للكرأ أن تنضم الى الكرابالانو kra-Bafano . ويعتقدون ان الاخرة هي الاصل السماوي الذي يزود الفرد البشري بالكرأ التي تعيش في جسده في اثناء حياته الاولى . وهكذا تنفرد الكرا الارضية بأصلها السماوي . ويعتقد القوم هناك ان الانسان له روح مقدسة يسمونها هتوم Hothom في حياته نسيم الحياة . فاذا ما جاء الموت انفصلت عن الجسد واصبحت طائرا يعود الى نيامي Nyame أي الكائن الاعلى في السماء . والهتوم - في هذا تشبه الكرابالانو - تستطيع ان تزود الجسد في الارض - تماما كما اعتقد قدماء المصريين بالنسبة الى اليا . بل انهم يقولون عنها انها تصبح نصف طائر ونصف بشر .

ولمة عنصر ثالث أطلقوا عليه اسم سامان Saman أي الجسم المعنوي أو الروحي . وهو عبارة عن ظل الانسان الذي ينتقل الى الساماندو Samandou أي الى العالم السفلي ليعيش فيه . وهذا الظل لا يذهب الى العالم السفلي الا اذا ثبت ان صاحبه كان من الاثمين الاثراء في حياته الاولى . وتبقى هذه الظلال في منفاها حتى تستطيع ان تطلب العفو من الالهة المقدسين - الى الملوك - الذين اغضوا حياتهم الدنيا وصعدوا الى السماء في جوار اله شمس برعون شئون الارض نيابة عنه . ويبدو ان هذا العنصر هو الاخ عند المصريين القدماء مع اختلاف في المصير . وهو اختلاف لمعه حدث ليلائم بعض اتجاهات الحياة الحالية .

هذه نماذج لبعض البحوث التي اعملها في سكتش واستقظها - عمدا - من حسابه . وكلها تؤكد خطأ رئيسيا هو قوة الروابط الحضارية عبر الصحراء في العصور القديمة

الذي يعطيه لهذه الروابط التي تقطع من تاريخ القارة اربعة عشر قرنا ؟

انه يخصني للتاريخ فضلا في كتابه بعنوان « الناس وماضيهم » .. ثم لفضلا للمناطق الحضارية على أساس الحرفة او الحرف الرئيسية التي يمارسها السكان ويدرس الوافدين الى القارة لم ينتقل بعد هذا الى دراسة لمشكلات الارض والكتابات والمدرسة والمدينة ..

هذا بعد ان يقدم في الفصل الاول بمقدمة عن « الوضع العالمي » يعرض فيها - فيما يعرف - للروابط الحضارية العربية عبر الصحراء - فيذكر (ص ١٤) ان الصحراء لم تكن حاجزا وانما كانت معبرا تمر فيه القوافل منذ العصور الوسطى - وهو في هذا يتجاهل الروابط الفرعونية التي سبقت الاشارة اليها - لم ينتقل بعد هذا وفي سرعة الى عرض سريع لروابط افريقية جنوب الصحراء مع الهند واوروبا .. وهو يرجع في هذه الاشارة السريعة في موضوع الروابط الحضارية العربية الى كتاب يوفل وهو من الكتب القيمة في هذا الموضوع *

ويعر بعد هذا الفصل الثاني دون أية اشارة - وهذا يرجع الى انه خصصه للعصور القديمة - فلا يكون منه الا التوهين من شأن الروابط القديمة - وينتقل بعد هذا الى الحرف التي يمارسها السكان فتكون منه اشارات عاجلة الى الموضوع ليخرج بسرعة بعد هذا الى العصور الحديثة ..

هكذا يعالج اربعة عشر قرنا من تاريخ القارة !!

بل انه حين يحاول ان يقسم هذا التاريخ الطويل لثراء يميز بين : ما قبل الاتصال باوروبا وما بعد الاتصال - وهو يلج في هذا الصاحا دائما في الكتاب ليثبت في ذهن القارئ ان التطور الضخم الذي حدث في القارة انما كان ثمرة من ثمار الاستعمار والتفاعل مع العالم الغربي

من اجل ذلك لا تنتظر منه عناية بابرار جوانب الحضارة العربية والاسلامية .. وبالتالي ليست هناك اية عناية بايراد المراجع العربية ومناقشة ما فيها من مادة عن الآثار الحضارية التي انبعثت من مراكز الحضارة العربية الاسلامية شمال الصحراء وادت الى قيام مراكز منافرة لها جنوب الصحراء وما كان بين هذه المراكز من تفاعل ثقافي جنى عليه الاستعمار الغربي شر جناية *

على العمق الحضاري العربي الاسلامي الذي يرجع الى قرون الاسلام الاولى ذكره المؤرخون المسلمون في اكثر من مرجع *

على سبيل المثال يذكر البكري : « وبلاد غانة قوم يسمون بالهنييسين من ذرية الجيش الذي كان بنو امية انقلوه الى غانة في صدر الاسلام (٢٠٠) »

وهو يعدد في دقة مراحل الطرق بين غرب افريقية والمغرب .. فيقول ، واذا سرت من غانة تريد طلوع الشمس تسير في طريق معمورة بالسودان الى موضع يقال له انغام - ثم تسير من هناك اربعة ايام الى موضع يقال له واس الماء وهناك تلقى النبل خارجا من بلاد السودان وعليه قبائل من البربر مسلمون يسمون مداسة وبازاتهم من الشطر الثاني مشركو السودان .. فاما الجادة من غانة الى تاد مكة وبينهما

مسيرة خمسين يوما .. وتاد مكة اشبه بلاد الدنيا بمكة .. ومعنى تاد مكة هيبة مكة وهي مدينة كبيرة من جبال وشعب وهي احسن بنا من مدينة غانة ومدينة كوكوا .. واهل تاد مكة بربر مسلمون .. فاذا اردت من تاد مكة الى القيروان فانك تسير في الصحراء خمسين يوما الى واد جلان وهي سبعة حصون للبربر .. ومنها الى قسيلية اربعة عشر يوما .. ومن قسيلية الى القيروان سبعة ايام على ما تقدم (٢١) هذا نموذج مما كتب البكري ولي القرن الخامس الهجري يعطينا صورة عن المعرفة الدقيقة باقطار غرب افريقيا والمناخات بين مدينتها ومدى تحضرها ووجه التشابه بينها وبين مسكن الوطن الاسلامي القديمة *

ومن الطريف ان نلاحظ ان بعض المشاركة كانوا يختلفون في شقيط (موريتانيا الحالية) هل هي من المغرب او من السودان .. والذي يعطينا اكثر من غيرة ان يحدث خسلاف بينهم في هذا الامر .. وبهذا تكن دوافعه ونتائجه لانه يدل على اتصال قوى بين شمال الصحراء وجنوبها حتى ان دول الاطراف يعتبرها بعضهم شمالية والاخر جنوبية .. وان كان صاحب كتاب الوسيط يقولها في تحديد شقيط من المغرب على ما كتبا نعهد (٢٢) *

ويبدو من التقسيم التقليدي التابع لاقليم غرب افريقية مدى تأثرها بالثقافة العربية .. فاذا جئنا من الشمال بدانا بالاقليم الصحراء الساحل فالسودان فغانة .. الاول هو الصحراء النموذجية والتالي شبه الصحراء في الخصائص القصيرة ، وبيلي السلتا : الحضائر الطويلة والمروج فالقلم الغابات الاستوائية .. وكان الساحل هنا - وهو ، في الشمال - ساحل هذه البحر الرمل الواسع (٢٣) - هو الارض الصحراء التي تنتهي اليها القوافل بعد رحلتها الطويلة عبر الصحراء ..

وقد ظلت الصحراء حتى القرن التاسع عشر طريقا رئيسيا وشريانا ينضج بالحياة وتنقل عبره المؤثرات الاقتصادية والثقافية والروحية .. وهذا الطريق لم تندهر تجارته واعيمته الا مع التوغل الاوروبي في افريقية .. وهو ما لم يحدث بصورة فاشلة الا مع انهيار الحضارات الافريقية تحت معاول الهمم والتخريب الذي بلغ ذروته في القرن التاسع عشر .. واستطاعت القوى الاستعمارية في غرب افريقية ان تتوغل من مراكزها الساحلية - بخاصة - وان تسير على الدول الاسلامية الداخلية وان تقطع روابطها مع بقية العالم العربي والاسلامي وتوجهها نحو الدواني المحيطية حيث مراكز الحضارة الجديدة والقوى المسيطرة *

ولكن هذا التوجيه المنحرف لم يستمر الا اقل من قرن استطاعت بعده كثير من اقطار افريقية جنوب الصحراء ان تستعيد حريتها وتضع عنها الغلال التي كانت عليها واخذت تحاول من جديد اعادة توثيق روابطها مع الاقطار الافريقية شمال الصحراء *

مراحل ثلاث

فكان هذه الروابط الحضارية مرت بمراحل ثلاث :

١ - مرحلة اولى طويلة : ترجع الى اعرق عصور الحضارة الافريقية لها فمتان رئيسيتان : الاولى مع ازدهار

مرحلتين تضرب أولاهما بجذورها في أعماق تاريخنا إلى العصر الفرعوني وظلت مستمرة على درجات من القوة والضعف إلى القرن التاسع عشر .. ثم أخذت تستعيد أو - تحاول أن تستعيد - قوتها مع التحرر والتطور العلمي ، في طرق المواصلات والنظرة إلى القارة وهي في تطورها تانها فوات:

- ١ - قوة جذب مركزية قديمة أصيلة في القارة .
- ٢ - قوة طرد مركزية أوجدها الاستعمار وهو يحاول أن يدعم وجودها ويصنع لها مقوماتها الفكرية والتطبيقية وإن يرس لها معالم في القارة .. وما بين أصالة الجنوب المركزي ووضعية العالم المركزي تحاول إفريقيا أن تشق طريقها .
- على هذا من المنتظر أن تتخذ المؤلفات الأمريكية خطا رئيسيا في تدعيم قوى الطرد المركزية - فكريا - لتتغلب على قوى الجذب المركزية في القارة .
- وإذا كنا فيما سبق من القول ذكرنا نماذج من الروابط الحضارية في العصر الفرعوني وما أغفله المؤرخ هر سكفتش عامدا أو استهنا بقيمتها العلمية فارجو في حديث مقبل أن أتناول بشئ من التفصيل الروابط العربية الإسلامية ووقف الكاتب منها وتقييمه للعق التاريخي وجوانب التفاعل - الحضاري .

الحضارة الفرعونية والثانية مع ازدهار الاسلام واستمرت حتى القرن التاسع عشر .

٢ - مرحلة السيطرة الاستعمارية : ومطالعا متداخلة مع مغارب المرحلة الأولى . وجدت التداخل ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر . وفيها اشتدت قبضة الاستعمار على قلب إفريقيا وبخاصة منذ القرن التاسع عشر المنتصف العشرين . وفيها تميزت الروابط بين الاقطار الإفريقية وأصبحت صلة كل قطر إفريقي أقوى بالذات السيطرة عليه منها بصلاته مع جيرانه الإفريقيين . وارتبط بهذا غزو اقتصادي حول الاقتصاد المحل بما يتفق مع مصالح الدولة الاستعمارية ، ولغو ثقافي قضى على كثير من الثقافات المحلية والهياكل الاجتماعية والأوضاع السياسية التقليدية .

٣ - مرحلة الانفلاق التحرري : وهي مرحلتنا الحالية - مرحلة صناعة أوصيافة هيئة حضارية جديدة للقارة تحاول أن تحقق هدفها الكبير من الوحدة والتعاون والحسرة وإن لقيت ولا تزال تلقى فيها الكثير من العبات التي يضعها الاستعمار الجديد في طريق التطور والتعاون والوحدة .

يبد ومن هذا أن ضعف الروابط الحضارية بين شمال الصحراء وجنوبها كانت مرحلة عارضة في تاريخ إفريقيا بين

Abu Bakr, A.: L'Egypte Ancienne et l'Afrique Nègre, RAU, 1960.

وفد تفصل الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر باطلامي - مشكوراً - على الأصل العربي غير المنشور للبحث وعليه اعتمدت في الإقتضات . ولم أذكر أرقام الصفحات لأنها غير مطبوعة في الترجمة الفرنسية المنشورة .

(١٩) شليمان « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٢٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٣٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٤٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٥٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٦٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٧٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٨٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩١) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٢) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٣) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٤) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٥) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٦) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٧) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٨) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(٩٩) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

(١٠٠) « ١٩٣٤ » ص ١٤ ، ٣٦ ، ٦٥ .

Melville, J. Herskovits: The Human Factor in Changing Africa, Alfred A. Knopf, New York, 1962.

Seligman, G.: Egypt and Negro Africa, London, 1934.

Hogben, S.J.: The Muhammedan Emigrants of Nigeria, Oxford U.P. 1930.

Meek, C.K.: The Northern Tribes of Nigeria, Oxf. U.P. 1925.

Davidson, B.: Old Africa Rediscovered, London, 1960.

ولهذا الكتاب ترجمة عربية قام بها جمال أحمد وصدرت عن دار الثقافة ببيروت باسم « إفريقيا تحت أضواء حديثه » وللمسند المترجم مقدمة بها إضافات إلى موضوع الكتاب .

(٦) للكتاب عدة مؤلفات في هذا الموضوع من أهم Meyerwitz, E.: (1) The Akan of Ghana: Their Ancient Beliefs, London, 1958.

(2) The Divine flingship in Ghana and Ancient Egypt, London, 1960.

(٧) أنظر كتاب :

Coupland, R.: East Africa and its Invaders, Oxford, 1938.

واقيد طبعه في أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦١ . وفيه الكتاب بتاريخ شرق إفريقيا من أقدم المصور حتى وقتنا السيد سعيد عام ١٨٥٦ ومجاله الجغرافي بين رأس جبارودافى

شمالاً وموزمبيق جنوباً .

Cole, S.: The Prehistory of East Africa, London, 1954.

(٩) نفس المرحم ص. ٢٧٢ .

(١٠) نشرتها جامعة القاهرة بالعربية تحت عنوان « أسس إفريقيا » أو الترجمة والعروبة » وأعدت « المجلة » نشر نفس الحضارة في العدد ١٢٣ مارس ١٩٦٧ .

« الزنجية والعروبة » وإن كنت أفضل أن يكون العنوان

« الزنجية والعروبة » .

Trimingham, S.: Islam in West Africa, p. 2, Oxf. U.P. 1961.

أمريكا.. والفقراء

للشاعر: عبيد بدوي

١

يا أمريكا

الشاعر ذو الوجه الأسود
والقلب الفطري المشوشب
سنغور (١) صديق البسطاء
وحبيب الليلات النجوم
سنغور قال
« ٠٠ عضلاتك من صلب قاس يا أمريكا

والسيقان الشقراء من التايلون
والحب يباع ويشترى بالدولار
والصوت الآتي من أقصى القلب
أصداء نعاس مطروق
والصدر الخالي من عرق ساخن
صمت ، وغروق

والأشجار أنبازتية

لا تعطى « مانجو الحب :: »
للكف السوداء !

٠٠ والشاعر لانجستون (٢) قال

« أمريكا ما كانت لي »

والشاعر ماكاي قال :

« يا أمريكا ياذاذ الباب المغلق

ضجري حاد مثل الصلب

مثل الريح السماء ! »

باذاذ الوجه الفولاذي
والقلب الممتنع المصنوع من المعدن
والجدران الشاهقة الصماء
٠٠ كم من شعراء في هذا العالم
كم من شعراء ؟!
جمعوا أيديهم في وجهك
مالوا بطفولتهم عن قبحك
قالوا « ان الدنيا بيت طيب
فأس ، ورغيف ، ثم غناء »

وتعاطوا من شجر الكلمات الحب الناضج
وعصيرا من ريق الاثم
٠٠ لكنهم لما لمسوا الأسوار
لما نزلوا في الأغوار
قالوا « ٠٠ انا غرباء

في هذي البقعة من هذا العالم

انا غرباء !! »

من قالوا هذي الكلمة

(١) ليوبولد سنغور رئيس جمهورية السنغال
(٢) لانجستون هيوجر ، كلود ماكاي من شعراء
الحركة المسماة بحركة البيت الزنجي في أمريكا (١٩٢٠
ت ١٩٣٠)

٢

يا أمريكا

أعداء ليالى مانهاتن
وحقول الأرز ٠٠ هم الأعداء
أعداء الانسان العربي التائه
فى هذا الشرق ٠٠ هم الأعداء
أعداء الغرسة ، والأوراق ٠٠
واجنحة 'الاطفال ٠٠ هم الأعداء ! »

٣

يا أمريكا

وبارض قد ملئت بعنوبه
وبرغم الوهل المستلقى
والخلل المرتفع بطيئه
وحدود قاصلة اخرى
تترامى حزنا ٠٠ تقطيعه
» تمتد مآذن صامتة
وسواعد غصبي ٠٠ وغروبه
تتحدى زيفا مضغوطة
تتحدى فيك الاكلوبة
تتحدى شمسا باردة
تكنات ناطحة ٠٠ منصوبة
وجواهر كاذبة ترنو
من فوق صدور معطوبة
وجفونا باهتة قفزت
من حول عيون معصوبة
» وتقول بصوت فجرى

وبارضى حيث النيل الطيب
ووجوه قد ملئت ببراءة
وصغار تختلس الوقت الضيق
بكتاب قراءة
وكبار تلقى فى الارض الحكمة
فتطول على الأرض الحكمة
وتثمر فى الجذب الأشجار الفرحى
من تحت عباءه
» صعدت قامات فارغة
فى الأرض فجاءه
وأحاطت أوراها تنمو
وئمارا بين الجذع مضاءه
وتعالى صوت أعرفه
من أصداء التاريخ وراءه
» ٠٠ ياقومى انى مسكين
عار ٠ لم يلق عشاءه
لكنى أرفض سنبله
تلقى فى الوجه اساءة
واموت ولا احنى كؤوبا
يأتى بالذل وراءه
٠٠ ياقومى شلوا قامتكم
ماعاد وراءه
أعداء الزنجى المتعب
فى هذى الأرض ٠٠ هم الأعداء

والاطفال الودعاء
أحواض دماء !
والبيت واجفان الأزهار الوطفاء
بستان بكاء !! «

٥

يا أمريكا

انى من شعب طيب
قد أعطى للأيام درايه
قد كان بدايه
ولكل طغاة الأرض نهايه
فاذا ما لوححت بهذا الشعب كرايه
فليهبط رأسك
وتلتلو الأسلاك الزرقاء بأعماقك
فانا لم اطعم فى عمرى من نبي لحكم
لم تستعبدنى هناك دعايه
أو خيفت قوايه
أو صوت من شيطان أحول
يعطيك بمنطقه المسموم وصايه
« فانا أدري بانسر الكامن فى هذا الشعب
أن الموت المجنون السنجابي
يمشى فى كل بنايه
ويخط بضوء كبريتى
فى كل ولايه
يا أمريكا فى كل ولايه
« .. من يزرع أشجار البغضاء
يصبح نيرانا للبغضاء !
من ينزل فى بحر دماء
يفرق فى موج دماء !
من يسرق خبز الفقراء
يصبح ماكولا للفقراء ! «

والصبح ملات بيضاء
« .. لن نعلو فى هذى الأرجاء
الا كلمات طاهرة خضراء
ونجوم ليست من كرتون لكن من أضواء
من شوق .. من أنداء
من أهداب الاطفال السوداء !! «

٤

يا أمريكا

فلينزف قلبك
بحقول الأرض بغايتمام المستعلة
بشباك الصيادين بكل الامواج الكاربية
بجداول من ذهب مكدوب فى افرقية
بنقوب رصاص مازالت فى الأبواب ..
وفى أعماق البشرية
بدوائر ناس قد جلسوا حول الكرة الأرضية
ضموا - فى رعب - للقطب القطب
شدوا - فى خوف - من فوق الدحل القلب
نشروا فى باب البيت منديل الحب
قالوا فى رجفتهم « يارب !
حتى لا تاتى الحرب
« وتكون القنبلة الذرية
والهدروجينية »
ويقال « هنا عاش الانسان
شدوا .. فرحا .. أحلاما أسطورية
أياما رائعة ، ونديه
تسليمات حرى ، وهنية
« .. وأنت أمريكا ذات عشييه
فاذا بالانسان .. الانسان ضحيه
والهمس العانى .. ضوضاء
والأيام الخضراء .. هباء
والآفاق الزرقاء .. دموع شتاء

الثقافة الإمبريكية

بين اليمين المكارثي .. واليسار الصهيوني

عبد المنعم صبحي

الاستعمارية ، تأكيد دور الفرد ناكباً مبالغاً فيه ، تمجيد الانهيار ، الانزفال في ذوات مريضة .. ولكن الشعوب تجد في هذه الثقافة ، أيضا ، اليسار ، الذي يساند كفاح الشعوب ضد قوى الإمبريالية في بلاده نفسها ، ولا يكتفّر بالفروق العنصرية أو الدينية ، ويفتح صدره للانتصار الانساني مهما كان مكانه .

ولكن الثقافة الامريكية ليس فيها هذا اليسار . حتى أن فيها يسارا . ولكن هذا اليسار ، قد سيطرت على غالبيته القوى الصهيونية ، وما تبقى منه ، حولته السلطة الامريكية الى كذبتها .

الثقافة الامريكية نبتت في احضان البورجوازية . فند كانت هي التي بنت الولايات المتحدة ، بعد هجرانها المتوالي وبعد اكتساق كوكبي لها . وبنت في هذه الثقافة اوجسه مشرقا ، تذكى منها الفكر نورو - الذي كان مختلفا مع النظام الامريكي ، والشاعر هوابنجان ، والروائي جاك لندن - الذي لطخ سمعته الامريكيون انفسهم ، بما اشاعوا عنه بعد وفاته ، من انه كان يستأجر سوبرست موم - الذي كان ضابطا في المخابرات أثناء الحرب - لكي يعطيه افكار قصصه !

ولكن بتزايد تمركز الاحتكارات الامريكية ، أخذ الفكر يزد من انحداره الى اليمين ، ليتحول ، في النهاية ، الى فكر رجعي . ووصل هذا الجناح الى عنفوان قوته بعد الخمسينيات .. وسانده السلطة عن طريق الكارثية ..

واسم مكارثي دخل التاريخ من نفس الباب الذي دخل منه هولوكو الذي القى بكتف بغداد الى النهر ، غير مفكر كما فيها من فيمة . فقد كان بربريا ، لا يعلم قيمة الثقافة . وما كان اصدق « اسامة بن منقذ » في الهلع على اصدار هذه الشروة الثقافية ، وقد فزع لخسارته في الكتب اكثر من فزعه لخسارته زوجته واولاده . وكان اسامة بن منقذ ، في ذلك الوقت ، يمثل الفكر العربي المستنير امام الطغيان المتأري الهمجي .

ولكن مكارثي ، ليس ظاهرة فريدة في الولايات المتحدة ، كما حاول البعض أن يصوره . والا كان موته يمثل انها ،

يدين مفكر الغرب ، من شينجلز الى كويلين ولسون ، حضارة الغرب وثقافته . ولا شك أن رايهم يمثل حقيقة لا يمكن الفسار منها . ونحن بعيدا عن تأثيرات حضارة الغرب وثقافته ، نستطيع أن نرى انحدارها . ولكننا رغم ذلك ، لا يسعنا الا أن نقدر الثقافة الغربية ، بما تحمله داخلها من اعمال فنية ، بلغت اعل المستويات ، وبما بذلت من جهد في اغناء جزئياتها .

ونحن الذين فتحنا عيوننا على الثقافة الغربية ، كرافد عام وخطير لثقافتنا ، أحسبنا بالاحترام امام الكثير من الاسماء ، والعديد من الاعمال . وفي الوقت الذي كانت ترحق ضمائرنا كتابات او مواقف لا نرى انها تقسح ولو كسب الحياة الصاعد ، كنا نجد اعمالا تتفق والوجه المتقن من الحياة .

ولا تكاد نرى عاصمة من عواصم الغرب الثقافية ، الا وتجد فيها شيئا تحترمه ونجله ، وإن كنا سنجد اشياء ، نابها ، ويرفضها قبلنا الشرفا ، من اهل الغرب . ونحن - رغم ما كان بيننا وبين الغرب من صدام قديم - نرى أن موقفنا هذا موقفا ذكيا فحن لسنا في صدام مع ثقافة الغرب او حضارته ، وانما نحن في صدام طموحه الاستعماري وقوته العسكرية ، ومغلاق عقولنا امام الثقافة الغربية ، يسلب منا احد اسلحتنا .

ولكننا اذا ما تأملنا الثقافة الامريكية ، وجدنا انها تمثل استثناء لهذه القاعدة . وهذه الثقافة - لاكثر من سبب - تمثل اتجاهات مريضة او مفرسة . وقبل أن نأثري هذه الثقافة ، نحب أن نقول انها لم تؤثر علينا الا باكثر حلقائها انهيارا : الفيلم ... فقد استطاع بتلوقه التكنيكي وقدرته واسماله على الدعاية الضخمة ، أن يحول بلادنا الى سوق له . هذا في حين أن الكتاب الامريكي - رغم نشاط « مؤسسة فرانكلين » ، وغيرها من المؤسسات - ظل بمعزل عن حياتنا الثقافية ، لا يؤثر فيها تأثيرا كبيرا ..

والشعوب في رفضها للثقافة الغربية ، ترفض « يمين » عبثه الثقافة : اعدا ، الرجل الابيض ، تبرير الاتجاهات

ثانيا : يتصور ماكاري ، أن الفكر الأمريكي ، هو وحده ، الفكر القبول .. وبالتالي ، فإن الحضارة الأوروبية مرفوضة . وبداعة لا مكان للشرق في هذه الحضارة .
ثالثا : بالقوة التكنولوجية ، يعتقد ماكاري ، أن أمريكا يجب أن تفرس رايها على العالم ..

وقد بدأت الولايات المتحدة ، تنفذ وصايا ماكاري .
قالت مجلة « الثقافة والحياة » Culture and Life :
السوفيتية (١) :

« إن أمريكا تفرس على العالم نوعا من الرعاية البوليسية .. وبدأت بنفسها كاية دولة امبريالية .. فهاست قهرا وبطشا شديدين على كل رجالها . ثم أخلت تمد هذا القهر وهذا البطش ، لتفرسه على العالم .. وورا ، هذا أيديولوجية محددة ، لها أبعادها الفكرية والمادية .. وتنعكس على كافة المستويات ، ابتداء من نفاذ التسليح .. الى المواف السياسية في الكونجرس .. الى السيطرة الصهيونية الماكارية على شؤون الفكر والثقافة » .

وقد انتسكت الماكارية ، بشكل ظاهري ، بعد وفاة ماكاري ، عندما فقدت أحد رجالها الاكفاء ، الذين لا يهدأون .. ولكن من الملاحظ أن الموجة عادت أكثر غفا بعد عام ١٩٦٣ ، وهو عام اغتيال جون كينيدي وتولي ليندون جونسون رئاسة الجمهورية .

يقول لوجان ، ودوجلاس (٢) :

« لا شك أن ماكاري قد مات . لكن أيديولوجيته لم تمت . وحاكم اركستاس سبتي - مثلا - الذي رفض أن ينفذ حكم المحكمة الانتخابية بفتح ابواب مدارس ليتل روك للزواج ، وأعلن الناس في وجهه البيض والزواج ، متمتلا بحكمة شمشون - على فعل أعدائي » ، هذا الحاكم يمثل الماكارية ، تماما . فإن الماكارية ، وهي في جوهرها موقف معاد للثقافة والفكر ، ما زالت مستمرة . بل لقد تحولت الى أيديولوجية كاملة ، لها أبعادها للنظرية والعملية ..

وفي هذه الكلمات نرى مسائل التفرقة العنصرية ، كنموذج لاستمرار الاتجاه الماكاري . وفي الحقيقة هذا وجه واحد من وجوهه المتعددة . لكنه وجه عام ، وخطير ، اذا ما عرفنا القيمة العديدة للسود في الولايات المتحدة ، والقهر الارهابي الموجه لهم . وهذا القمع يقع ، عامة ، على كل الاقليات ما عدا القلية واحدة .. هي القلية اليهودية : كتب « ديفيد كيشمان كويل » في جريدة النيويورك تايمس ، مقالا ، بعنوان « المجتمع العظيم » (٣) ، يقول فيه :
« ... واكبر هذه الاقليات وابرزها هم الزنوج ، يليهم من حيث التعرض للفرقة بدرجات متفاوتة ، أبناء بورتوريكو المقيمون في نيويورك ، والعمال الزراعيون

لهذه الظاهرة . على العكس كانت الماكارية ، ظاهرة حتى قبل أن يعرف أحد اسمه . ولجان التحقيق في النشاط المعادي لأمريكا والتي تعرض لها كثيرون من الفنانين والإدباء والاساتذة ، امرها معروف قبل معرفة ماكاري . ونعرفها نحن منذ أن حققت مع سارول شابلن ، وأدري ميلر ، وإيليا كازان ، وفردريك مارش ، وجورج رالت . ومنذ كنيغوارد فاست - الذي وقع بعد ذلك في احضان الصهيونية - مسرحية « ثلاثون قطعة من اللصبة » متخذة اسمها مما فعله يهوذا الاسخريوطي ، عندما باع السيد المسيح الى أعدائه بثلاثين قطعة من اللصبة . وفيها يحكي ضغط المخابرات على رجل عادي لسطف شديدا حتى تحوله الى يهوذا آخر ، ويشي بصديق له ، ويتهمه - غالبا كذبا - بأنه له نشاط معاد للولايات المتحدة .

ولكن ماكاري ، كان قمة هذه الموجة . وكان يزعم في كل وقت ، أن في جيبه قائمة بأسماء عدد من الرجال المنضمين الى الحزب الشيوعي . ومن الغريب أن أحد من الصحفيين لم يسأله عن هذه القائمة أبدا . وقد يبدو هذا موقفا طريفا ، لكنه ، بلا شك ، أيضا ، يعبر تعبيرا دقيقا عما يحدث في الولايات المتحدة .. ويدل دلالة واضحة على تحرك أجهزة القمع هناك . فبته نرى الارهاب الشديد ، حيث لا يضمن أحد أن يكون اسمه في هذه القائمة . ونرى سطحية الرجل الأمريكي العادي الذي لا يهتم بالسؤال عن كيف عرفهم ماكاري ولا اسمائهم .. ونرى تواضع أجهزة الاعلام وتغطيتها لماكاري ، في حين أنها كان من الممكن أن تحسره يسير شديد .

ونحاول أن نتعرف على الأفكار الرئيسة لماكاري :
يقول ماكاري في كتابه « الكلاخ من أجل أمريكا » :
أولا : « أن الحضارة كلها ملك لهذه الآفة ، ومثل هذا الشعب » .

ثانيا : « العلم ملك لأمريكا . قصد العلم الذي هو ملك لحضارة المستقبل ، والذي سننتج به التسود لكل الناس في العالم ، لكوننا نملك امكانيات تسخير طاقات هذا الوجود ، ولكوننا توصلنا الى اسرار عصرنا » ..

ثالثا : « إن العلم المثالي الأمريكي ، هو وحده القادر على فرض حضارة أمريكا - اليوم والقند على كل المعمورة .. »
رابعا : « الفرد الذكي ، المبصر ، وحده هو القادر على تحقيق الخير والكمال لقومه ، بما يملك من فراسة للفسر ، وادراك لما فيه الاشياء في سريها وتحركانها » .

خامسا : « انتصار الفرد ، انتصار للمجموع .. لأن الفرد هنا (عينة) للجماعة ، في تطورها ، في تضالها ، في رفاهيتها ، في سعيها لتحسين حياتها » .

وصياغة الفكر مكارني هنا تبدو - الى حد ما - براقة .. وإن كانت حقيقتها واضحة وترجمتها ليست صعبة :

أولا : ماكاري يبدأ من الولايات المتحدة ، وينتهي اليها ، في نزعة عنصرية تذكرونا بالنازي . ألم يكن هتلر ينادي بتفوق ألمانيا عنصريا .. وما يترتب على ذلك من مسئوليات حضارية ائذ العالم ؟

المكسيكيون في كاليفورنيا ، وغيرها من الولايات الغربية ،
والهنود الأمريكيين » .

والماكارتية .. اتجاه معادلكل ما يقف في وجه الاستعمار
وسيطرة الاحتكارات الامريكية ، سواء كانت هذه مطالب
القيادات ، او افكارا انسانية ، او مطالب ديمقراطية .

قال « اجنس ماير » ، وهو ناظر مدرسة في خطاب له
امام مؤتمر نقار المعاهد والمدارس الامريكية :

« ان اسلوب الماكارتية يتلخص في كشف جميع المورسين
والاساتذة الذين يشبه - ولو ظاهريا - في ان لهم ارتباطات
ايا كانت بالشيويعية ، او بالانتماء الى مناصرة الزنوج .
ولهيرت ليمان - وهو مدرس بمعهد روزفلت ، وكان
حاكما لولاية نيويورك ، مرتبة حزينة لامريكا ، بعد اجتياح
موجة الماكارتية (٤) .

« لقد رجعنا الى الوراء خطوة بعد اخرى . ان الذين
يحتلون مركز الصدارة في بلادنا معقون اقرب الى اعضاء
محاكم التفتيش . الا ما اوسع الصورة التي تقدمها بلادنا
للعالم . لقد اخذنا نقتع العالم ، باننا خليط من الغسوة
والجواسيس والعملاء والمخربين ... !

لماذا سمعنا بوضع وطننا تحت نير حراس الكونجرس
الماكارتيين والصهيانية ؟

ولكن كلمات ليمان ، تبدو ، مرتبة شاعرية ، اكثر
منها تحليلا سياسيا وفكريا للموقف . فانت تخص في
كلماته .. ان الماكارتية ، ظاهرة منعزلة . وبالتالي ، من
الممكن تغطيتها بشئ من الوعي لما يحدث ، ولا يستطيع ان
يرى الماكارتية جزءا هاما من النظام الامريكي .. وانها لا
يمكن ان تزول الا بتغيير جذري .
وبلا شك .. يحاول النظام الامريكي اليوم الاستفادة
من الاوضاع التي وقع فيها ماكارتى . (٥) كما يتلوه احيانا
شديد الحق في حملته على الاتجاها انسانية . ويريد
النظام الامريكي ان يلبس الماكارتية رداء من النطق ، وان يدا
شلفا ..

ومن المعروف ان السناتور « فلد » الماكارتى ، قال :
ان سبب انتشار الشيوعية في سياسة التعليم (٥)
والماكائية في مساندها للنظام الامريكي ، ترفض الثقافة
الحرية ، ترفض الاتجاها الديمقراطية ، ترفض ان يستيقظ
ضمير شعبنا ما :

« ان الماكارتية ثورة ضد الضمير . والمثل الواضح
الذي يعرفه الناس ، جميعا ، هو الموقف الذي اتخذته الحكومة
الامريكية من العالم الذى اوبئناهم ، عندما تحرك ضميره .
فانهم بان افكاره ضد امن الدولة ، وابعد عن مركزه
العلمى » (٦) .

(٤) « الماكارتية فكرة وعصا » لهيرت ليمان .

(٥) مقال بعنوان « من الخير ان تكون غيبا » ، نشرت

مجلة كوليرز . وقد جاء في المقال ، ان عمدا شخضا من
الوظائف الهامة التي مرتبائها الى ١٢٥ ألف دولار في
التوسط ، يحتلها موظفون نجحوا بدرجة متوسط !

Lawratris of Imperialism

(٦)

ومن الانصار البارزين لماكارتى : « عارفى مانوس » ،
الذى ألف كتابا بعنوان « اخترت ماركارتى » ، وكان قد قام
بدور كبير في حملة ماركارتى الانتخابية .

ويروى مانوس .. ان ماركارتى يكره جامعة « انتيوس » ،
كرها عميقا . وهذه الجامعة تأسست عام ١٨٥٢ - فهي
تعتبر من اقدم الجامعات الامريكية . ومن تقاليدها التعاطف
مع الزنوج . ورأى ماركارتى ان هذه الجامعة قلعة للفساد ،
فاخذ في مهاجمتها بعنف شديد . وادلى مانوس بشهادة امام
لجنة التحقيق بالكونجرس يقول فيها : « انه يعلم ان ٢٥ في
المائة من طلبة الجامعة يتآمرون ضد الحكومة » .

ويروى مانوس .. ان الفكر يساوى تماما الفعل . فاذا
ما كانت لشخص ما افكار ليست « امريكية » - فمعنى هذا
انه يتآمر لقلب النظام الامريكي ..

ومانوس .. يراس تحرير مجلة « الهجوم المضاد »
الماكارتية - وهدف المجلة ، كشف العناصر « المخربة » ،
ووضعها في القائمة السوداء ، ويكفى ان يكون الامريكي قد
تحصى ضد هتلر ، او دافع عن روسيا اثناء الحرب ، او
اصدر تصريحاً للدفاع عن الحريات ، او نادى بالانفكا التمييز
العنصرى ، او تعاطف مع هنرى واتس (٧) .. يكفى ان يكون
فعل ذلك لكى يضعوه في القائمة السوداء !

ونتيجة هذا الارهاب الشديد ، فان كل انسان من
الممكن ان يصبح متهم . وهذا هو نفسه ما قاله ماركارتى ،
خلال نجاحه في الانتخابات :

« ان تكفى السجون ان يستحق دخولها .. ولن تكفى
القطارات لحمل المعتقلين من واشنطن » .

ومنذ عام ١٩٥٣ ، الذى يمثل بشكل ما بداية الثورة
اقتصاد - بدأت حركة تشيطة ، لبعت الماكارتية ، فاعيد
توزيع كتاب ماركارتى بشكل لم يسبق له مثيل (٨) .
واخذت الجامعات ، ومعاهد العلوم السياسية ، والمراكز العامة
للسنئون والعلاقات السياسية والفكرية ، ودور النشر الحكومية
والاعلية ، تجمع مقالاته وتدرسها « وكتب « جورج هنت »
منذ عام في مجلة « لايف » الامريكية : « ان الحاجة أصبحت
ماسة الى ماركارتى » و « الماكارتية سلاح فكرى ، يضمن حماية
الفكر الامريكي وازدهاره ، ومغضى ، ذلك الذى يقول ان فكرا
ما يزدهر ويتطور دون سلاح فكرى قوى وعتيق » (٩) .

والارهاب الماكارتى ، بلغ السيوم ذروته ، ونغم وفاة
ماكارتى منذ سنوات ليست بالبعيدة . ويبدو ان الماكارتية
- في ظل الظروف الحالية - تنتم لكى تغتق كل صوت

(٧) رئيس الحزب التقدمي الامريكي . وهو حزب كان
قد صور موجة المد الثورى بعهد الحرب العالمية الثانية
مباشرة .. ثم حاصره الاحتكارات الامريكية . حتى قاضت
عليه . وكان والاس : قد رشع نفسه في الانتخابات لرياسة
الجمهورية ، وفشل .. لكنه حصل على أكثر من ثلاثة ملايين
صوت ..

(٨) النيويورك تايمز (١٧ مارس ١٩٦٧) .

(٩) جورج هانت : البحث عن ماركارتى من جديد ،

ومن جديد

again and again! let us see Makars! By :
George Hunt - anaging Editor (Life)

٩١٨ صحيفة ومجلة ، منها في الولايات المتحدة وحدها ٢٤٥
صحيفة ومجلة ، و٤٨٠ وكالات الأنباء ، (١١) ...
ومن الصحف الكبرى التي يسيطر عليها :
« النيويورك تايمس » ، التي يملك الصهيوني « سولزجر »
وحده (٧٥ ٪) من أسهمها !

وفي الفترة من يناير ١٩٥٥ حتى مارس ١٩٦٤ ، صدر
عن ١٥ دارا للنشر في : نيويورك ، ونيوجرسي ، وواشنطن ،
وفلادلفيا ١٨٠٥ كتابا في الفلسفة والادب والفن لادبا ،
واساتذة صهاينة (١٢) .

وفي المسرح يسيطر على ٣٢ في المائة من المسارح
صهاينة ، أو موالي للفكر الصهيوني ومتعاطفين معه . وتبلغ
السيطرة اقصاها في : بروداي ، ونيويورك ، وواشنطن .
فتصل الى ٦٠ في المائة (١٣) .

يقول « ادجار سنو » :

« ان هناك ثقافة امريكية لها مصادرها . واليهودية
أحد هذه المصادر الاساسية والمتابع التي من الممكن ، من
خلالها الاقتراب من جوهر الثقافة الامريكية . وأبرز سمات
هذه الثقافة فلسفة اللاعقل ، التي تتميز بالترغوة النفسية
أو المسخدة البراجماتية ، وعدلها - دائما - ان تصعد
« الهرم » بأرخص تكلفة لتحصل على مزيد من «ال هوا» !

ان الطابع العام الذي تصب فيه التيارات السائدة في
الثقافة الامريكية هو : الترغوة اللاعقلية . فالفلسفة التي كانت
تسود الفكر الانساني تحت حكم الهنقرية ، فلسفة الإيمان
بالقوى الخفية ، والتي تحرك المجتمع وتحرك الفكر ، والتي
تعادى العقل والفكر المنهجي - لكونها ترى في الفكر العقل
طرازا كالاينكيا لايد - ان يقع عن عرشه - هذه الفلسفة
في الولايات المتحدة ، وتتمسك على كافة ألوان الوعي بدوينة
أو بأخرى . والفريق ان هذه الفلسفة اللاعقلية (١٤) ، قد
تغلغلت في أعماق البناء القوي للمجتمع ، وباتت تعكس
أبعادها في كل تصرفات وقيم ومعايير وأخلاق الفرد العادي
في أمريكا ، سواء في العمل ، أو في الحب ، أو في النظرة
الى الاخلاق أو الاخلاق ... Monroe Doctrine
ويؤكد « جيمس بريث » (١٥) هذه النظرة فيقول
في كتابه « مواقف حاسمة في تاريخ العلم » :

(١١) صحيفة الناشونال جاردريان

(مارس ١٩٦٦) .

(١٢) النيويورك تايمس بوك ريفيو (مارس ١٩٦٥)
The New York Times Book Review (By the
New York Company)

(١٣) عن مقال للكاتب الامريكي البرت مالتز نشرته
الادب الصينية عام ١٩٦٥
The Chinese Literature (1955 - Monthly edition -
Foreign Publishing House Peaking)

(١٤) ايلوجيستك (اللاعقلية) .

(١٥) جيمس بريث .. كان يعمل مندوبا للولايات
المتحدة فوق العادة (مندوب سامي) في ألمانيا الغربية ،
وقد كتب حوالي ١٥ كتابا عن الشخصية الامريكية ، وعن القيم
والمعايير السلوكية والشخصية للفرد الامريكي من خلال تطور
النظام الامريكي .

في الداخل ، وتفترض وجودها على خارج الولايات المتحدة ،
ايضا ...

ان العلم والثقافة في أمريكا ، اصبحا موجّهين ،
أساسا للاستغلال ، للربح ، ومن هنا فقد حرصت الاحتكارات
على ان يبقى العلم والثقافة في قبضتها . ولكي تصل الى
هذا الهدف ، كان عليها ان تشر جوا فاشيا ، في الدوائر
العلمية وبين المثقفين ، وهذه هي العلاقة التي تجمع ماكارتني
بالاحتكارات ، وفي مقابل هذه الضخمة ، استطاع ماكارتني ،
مثلا ، ان يجمع - بنا ، على تقرير قدمته لجنة مجلس الشيوخ
- أكثر من ١٨ مليون دولار في اربع سنوات (١٠) - هذا
بينما لم يكن دخله من الحكومة يزيد عن ١٥ ألف دولار
سنويا !

ومن هنا يمكن اكتشاف طبيعة الحياة الفكرية في
امريكا . ومن هنا - ايضا - يمكن تفسير الأزمة التي يعانيها
العلم والتي يعاني منها المفكرون في الولايات المتحدة .
« حافظوا على أروفسكم القديمة ومجدكم التالك ...

عكدا كانت تصبح شفتاها المطيقتان

ابتعوا الى بجمعكم الزائرة التي انهكتها المسكنة ،
دفدع بها الحثني لاستنشاق غير الحرية ...

أما التمس ، فقد رفضوا شاطنك المتأزر . والعاصفة
تشرّب نخبى . ارفع مشعل في طلال الباب الذهبي ... »
هذه الآيات من الشعر مكتوبة على تمثال الحرية .

أول ما يقابل الداخل في نيويورك ، والذي صار جزءا من
الثراث الامريكي رغم ان رمزه فقد مفزاه مع الأيام ...

وهذه الآيات من تأليف شاعرة صهيونية هي « إمسا
لازروس » ...

وقد يكون هذا مدخلا جيدا ، للثقافة الامريكية ،
وتأثير الصهيونية عليها ...

يقول الدكتور « جودج بن » في كتابه (الستار
الخديدي حول أمريكا) :

« ان رؤساء أمريكا ، ومن يعملون معهم ، ينتحون
امام الصهيونية ، كما لو كانوا ينتحون أمام ضريح مقدس » .
ويقول الكاتب الامريكي « وليامز انتجانت » :

« ان الجهاز الصهيوني داخل هذه البلاد له من النفوذ
ما يعتبر خطرا على البلاد وعلى الحكومة » .

لكن مشكلتنا ليست مشكلة السيطرة السياسية
للهصانة على الولايات المتحدة . بل هي مشكلة السيطرة
الفكرية ...

ولتبدأ بمجال النشر . وهو مجال هام بالنسبة للثقافة
الامريكية . فهذه الدور قادرة على توريث كاتب مثل جون
شتاينبيك ، أو اطفال ، نجم كاتب مثل جون دوس باسوس ، أو
أو دلع كاتب مثل هنجواي الى الاجهاز على حياته ، أو
بعث الكراهية حول رواي مثل ألبرت مالتز ، أو افسفاء
الشهرة الواسعة على كاتب مثل سونمرست موم !

نشر احصاء في نيويورك يقول : « ان اليهود الذين
لا يتجاوز عددهم ١٨ مليون نسمة في العالم كله ، يصدرون

(١٠) « دقاع عن الثقافة العربية » - فتحي خليل

(دار الفجر الجديد - فبراير ١٩٥٩) .

الثقافة الأمريكية المعاصرة ... قصة فازت بالجوائز الكبرى في أمريكا • القصة اسمها : (رئيس الولايات المتحدة) .. وتتلخص في أن الولايات المتحدة قد الموقنتها موجة عاتية صناعية ، مدفوعة بالقوة النووية والذرية .. وأن العالم لم يبق منه الا (الإمبراطورية القوية) ، التي أصبح الاتحاد السوفيتي جزءا منها .. ولكن أمريكا وحيدة أمام من الطوفان .. وقد استطاع بعلمه وذكائه ، أن يدمر العالم كله ، ثم يبعثه من تحت شبه جزيرة (جرينلاند) على

الطريقة الأمريكية - وكأنه جيمس بونل !! ويقف الأمريكي الذي نصب نفسه رئيسا للعالم الجديد ، ليدبرع على العالم في التليفزيون خطابا ، جاء فيه : اننى اقدم لكم هذه الارض الجديدة ، واقدركم الى السلام ، يا ايها الشعوب الحرة التي اقوم أنا بدور الوصي عليها • اقول لكم ، ألم ألعب دور (موسى الجديد) ، الذي قادكم الى أرض افرات أنا اليوم ، فظهرت الى الوجود في اللحظة التي احتجنا فيها ؟ اليها ؟ اننى الآن اسمى هذه الارض الجديدة: أرض الولايات المتحدة - الوطن الأم لكل الشعوب الحرة على الارض » (١٦)؛

ديري ج. جيروم .. ان هناك ثلاثة عوامل أساسية تميز الثقافة الأمريكية « النظرية اللاعقلية (فلسفيا) والسحة الاحتكارية (ماديا) ، والمزاحة الصهيونية » .. ويدلل جيروم في مقال له نشره على مرات متتالية في اكبر صحفية ومجلة ، منذ أعوام قلائل .. ان الحركة الصهيونية قد نشأت بشكل ملحوظ في السنوات العشر الأخيرة ، حتى انك لا يمكن أن تدرس أية ظاهرة اجتماعية

أو فكرية أو نفسية بمعزل عن الفكر الصهيوني ! وهناك احصاء نشر عام ١٩٩٥ ، يبين وضع الأقلية اليهودية ، داخل المجتمع الأمريكي • فهم يسيطرون سيطرة كاملة على كافة المجالات الثقافية والمهنية والتجارية • نرى حين أنهم يمثلون نسبة غير ملموسة في الأعمال العادية (١٧) ووفقا لاحصاء أكثر حداثة (١٨) (١٨) • يتبين أن العمال والفلاحين اليهود لا تتجاوز نسبتهم إلى باقي العمال أكثر من ٢٪ ، في حين أن لديهم من الحاصلين ٧٠٪ ، ومن الأطباء ٦٩٪ ، ومن موظفي الحكومة ٢٨٪ ، ومن أساتذة الجامعة ٢٣٪ ..

وقد قال « الاميرال ريكوفر » أمام لجنة التحقيق بالكونجرس .. ان التعليم ، أساسا ، في أمريكا ، خاضع لوسائل نشر الفكر والمبادئ اليهودية الاصفية ... (١٩) •

(١٦) هذه الرواية نموذج من الروايات «الهريرية» ، التي تحاول أن تهرب بالناس عن واقعهم ، لتعطيهم في واقع جديد ، تحلم بتحقيقه الدوائر الحاكمة • انها نوع من اليوتوبيا الجديدة ، وان جاز أن نسميها « اليوتوبيا الماكارية » .. أو ب « اليوتوبيا الفاشية الجديدة » ! (١٧) من احصاء ودراسة نشرت في كتاب (أمريكا مستعمرة صهيونية (١٩٩٥) لصالح سدوقي •

(١٨) نيويورك هيرالد تريبون (١ أبريل ١٩٦٤) • (١٩) Annual (Education Report) Book (New York —Diary December 1963).

« ان العلم ظاهرة غير قابلة للتعميم • بل هو نشاط فردي ، وليس نشاطا اجتماعيا ، نابعا من الممارسة الجماعية والضرورات الاجتماعية • انه ثمرة جهود علماء ، هواة ، على حد تعبير العلامة الدكتور (كانانت) • وهو فضلا عن هذا ليس معرفة بقوانين موضوعية خارج الفكر البشرى ، بل من سلسلة من التصورات الذهنية والتصورات التصويرية ، وهو مفامرة رائدها الفن والتخيل » •

وبهذا ، ومن خلال هذه النظرة - التي تنكر على العلم الأساس الشامل للنظرة ، باغال (مبدأ العلية) - تسود الثقافية ، وتعم الخرافة ، والمغامرة الفردية ، فلا مقدرة على تنبؤ صحيح ، ولا امكان للسيطرة على شيء ، ولا سبيل لمعرفة يقينية ، ولا أمل في تصور الحقيقة .. والامر ، هنا ، لا يعدو أن يكون عالما من صنع اذهاننا ، ومغامرة تضرب فيها ضربا عشوائيا :

لا بد من الاستناد بالثكنين • بالثكنين العلمى ، وحده نصل ، ونطور مجتمعنا .. ! فاني لأخشي الا يظهر هذا الكتاب الا واثمت حرب عالية ثالثة ، فانه أصبح هذا لكل الذي سوف اقلوه لا موفقه له • اما اذا صح ما أرجحه ، وهو ان تبقى أمريكا والاتحاد السوفيتي في سلام اسمي ، فستبقى لمواجهة هذه الضرورة الملحة • ان تبقى العالم الحر مسلحا أفضل تسليح • وحتى اذا تحن لبثنا الهدف الذي عنده نطمح على الدواع عن أوروبا الغربية • لمن يوقف الثقة عندنا على التسليح • انه لا بد من استمرار الثقة ، وان ننفقها بشكل هائل ، وذلك على الحرب .. فيأخرب وحدها ، تغير أشكال الدنيا ، ويتطور العلم ، وبالمغامرة الإنسانية المستطعة ، تبذل أشياء ، لا يمكن أن يضعها انسان في حساباته .. علينا - فلف - ان نهد فمحوته القوي .. لتجرب ..

لنتفكر .. لتركب كل الرياح • ان الفلسفة التي تسرى وراء الثقافة والعلم في أمريكا هي الفلسفة « البراجماتية » • والفكر على أساسها وأركانها ، ليس الا مجرد عمليات تجريبية تغطي ، وتصيب ، مجرد مغامرة .. ويمكن - ايضا - أن يفسر بانه « مجموعة من الحيل ، والمغامرات الرعنا » - على حد تعبير البروفسور إيزرد • فالعلم بهذا المفهوم ، مصدر خطر على المجتمع ، لأنه يعنى بالفكر الى الدمار ...

يقول « ج. جيروم » ، وهو كاتب أمريكي متحدر : « في الآونة الأخيرة ، استوردت الاحتكارات الأمريكية الكثير من الأفكار التي تجرد الانسان من محيطه ... وقد استطاعت الدوائر الحاكمة من كاريالية الى صهيونية الى أجهزة مغايرات مركزية ، أن تطور الفلسفة اللاعقلية من فلسفة انكالية استسلامية الى فلسفة عنوانية ، ذات طابع هجومى ، بحيث تصبح فلسفة صالحة ، لها دوما ، في التعبير عن الامبريالية ، في مرحلة التثكك والانهار .. وما القصص البوليسية وبرامج الاذاعة والتلفزيون والسينما والصحافة الا (عينه) كهذا النتائج ... لقد تحولت صورة (السوريان) الى صورة (الرجل التوحش) .. وأصبحت حياة الانسان كما تقدمها هذه الثقافة ، هي آتله وارخص ما في الوجود • ولنضرب هنا مثلا ، حيا ، من الامثلة التي تقدمها

وتكثر نسبة أساتذة الجامعات من الصهاينة ، التي توجد في غرب وشرق أمريكا ، فصل نسبتهن الى ٢٨٧ في المائة (٢٠) . فمن الملاحظ أن اليهود يجمعون في هذين المكانين .

ورؤوس الاموال الصهيونية المستغلة في صناعات السينما بين هوليوود ولوس انجلوس ، تمثل ٧٢ في المائة ، وحوالى ٧٥ في المائة من المساتة من المخرجين من الصهاينة ، ومن أشهرهم : سيسيل دى ميل - صاحب فيلم الوصايا العشر ، ووالث دبزى ، وشارل شابلي ، واوتورينجر ، وكننج فيدور ، وإيليا كازان ...

و ٨٠ في المائة من كتاب السيناريو في أمريكا من الصهاينة ، حسب احصاء نشرته الناشونال جاردريان في أغسطس ١٩٦٦ (في تقريرها السنوى عن خريطة الكاميرا السنوية في هوليوود) ..

وبين الألام التي أنتجتها هوليوود بين عامي ١٩٥٧ ، و ١٩٦٦ حوالى ٢٥ في المائة من الاسلام دعابة مباشرة لاسرائيل (٢١) .

ولكن الى اين تسعى هذه الثقافة الصهيونية عامة ؟ أولا : يحاول الصهاينة السيطرة على كافة الانجاعات ، فهم يسيرون في كل طريق فكرى ، لكي يلتقوا في النهاية كصهاينة ...

ثانيا : يحاولون التأكيد باستمرار .. ان الثقافة الامريكية ، مدينة لهم ، نتيجة اعتمادها الجدى على الثقافة اليهودية ، ونتيجة الجهد الفردى للمثقفين اليهود .. ثالثا : في مقابل الشخصية الامريكية السطحية او المتهاورة ، يعطون نماذج صهيونية متنافسة على اعتبار انها المثل الأعلى ...

رابعا : يصورون اسرائيل على اعتبارها امريكا جديدة ، يبينها المهاجرون . وبذلك يتكسبون تعاطف الامريكيين ، على اساس تشابه التجربة .. خامسا : التأكيد بان اليهودية ، ليست عقيدة دينية فحسب ... وان اليهود امة ، لكنها قبل اسرائيل ، كانت امة بلا وطن ...

الثقافة الامريكية واقعة ، بشكل مباشر وكامل ، تحت ظل المكارئية والصهيونية . وبين الاثنين جو من التقاسم الودى . والصهيونية لا ترى في المكارئية خطرا يهددها ، على العكس ، ترى في الانجاعات الراديكالية والاشتراكية ما يهددها ، رغم انها تتحرك خلال اليسار ، عامة ، حركة احتواء . لكن ما حدث خلال الأعوام التسعة الماضية ، يجعلها لا تأمن اليسار . فان كانت قد اغرقته في عقد الاحساس بالذنب ، وانتزعت عقله عليها من خلال ما يحكى عما فعله هتلر ابان حكمه باليهود . الا ان هذا اليسار ، بدا

(٢٠) تقرير الكونجرس عن جامعات أمريكا . تقرير W. Barret (يوليو ١٩٦٦) . نيويورك
نشرته الناشونال جاردريان الامريكية .
(٢١) تقرير نقابات هوليوود العامة - نشر في الناشونال جاردريان الامريكية (أغسطس ١٩٦٦) .

يتكشف حقيقة الدور العدوانى للصهيونية . نتيجة التامر على مصر عام ١٩٥٦ . ومنذ ذلك الوقت ، اخذ اليسار يعيد النظر في موقفه من المشكلة الرئيسية . ولكننا نلظم اليسار اذا ما قلنا انه لم يتكشف الموقف الا في عام ١٩٥٦ ، فقد كان يتخلف ، دائما ، اذا الصهيونية : بل ويهاجمها كثيرا . ولكن النعابة الصهيونية استطاعت أن تصور الموقف كما لو كان تعصبا ضد اليهود بالذات ، ويكرن وكشمب . وقد فقدت الحركة الصهيونية كثيرا من المفكرين الذين اتخذوا موقفا حازما ضدها ، عندما راوها حركة مرتبطة ارتباطا لصيقا بالامبريالية .. ومن بين هؤلاء : هنرى لوفاسر ، وروجيه جارودى - اللذان هاجما الصهيونية هجوما عنيفا . ولكن اليسار الامريكى ، امره مختلف ..

فهو لم يستطع أن يرى الارتباط الجدى بين الصهيونية والامبريالية ، نتيجة فقدان الرؤية الواضحة ، ونتيجة الضغوط الهائلة للنظام الامريكى . وهناك مثال واضح لهذا اليسار ، هو الكاتب الامريكى : هيوارد فاست . فقد عرف هذا الكاتب قدينا ، أنه واحد من ألمع كتاب اليسار ، وكنا نقرؤه بنهم هو وريتشارد رايت ، وشتاينيك ، وكالدويل ، وباسوس ، وسكلر لويس . وقد ترجمت الى العربية ، في وقت مبكر روايته : « قوم بين » ، التي يعرض فيها للمفكر الانجليزى الشهير الذى ساند الثورة في أمريكا وانجلترا وفرنسا . وروايته « ديمقراطى امريكى » ، التي يحكى فيها الازهاق الامريكى وقدرته على تحويل المعركة ضد أى اتجاه ديمقراطى . وسرعية « ثلاثون قطعة من القصة » لم روايته « سبارتاكوش » التي يحكى فيها عن ثورة العبيد المسلحة ضد الامبريالية الرومانية ... ولكن في عام ١٩٥٦ ، وجد هيوارد فاست نفسه في موقف الحيرة ، فاعلم ان يكون ضد الصهيونية ، بعد ما امتنع من تحالفه مع الاستعمار ، في عدوان مسلح .. واما أن يتخلى عن يسارته ، ويرتمى في احضان الحركة الصهيونية . واورسل فاست رسالة الى صحيفة (التريل ووركي) ، يوضح فيها موقفه الجديد :

« لم اكن اعرف الوقائع التي وردت في تقرير خروشوف .. »
وهو يشير بذلك الى ما عرضه خروشوف لما ارتكبه ستالين من جرائم ، وهو الامر الذى ازعج الكثيرين من اليساريين :
« كنت اعلم ان الثقافة الصهيونية قد فشى تماما عليها في روسيا . ووضيت بذلك . وكنت احس أن مصيرا كهذا لا تستحقه الثقافة الصهيونية . لكنني لم اعارض . كنت اعلم أن اليهود متوعون من مفادرة روسيا للهجرة . وقبلت ذلك كضرورة من ضرورات الاشتراكية ... لكننى ، الآن ، اعلن اننى لن اقبل شيئا من هذا مرة اخرى .. »
وبعد ذلك البيان ، نشر فاست مقالا ، يقول فيه .. ان تقيرا كبيرا يجرى في الاتحاد السوفيتى .. وان هذا التغيير لا يطمئنه . واستند في رايه هذا على تقرير كتبه « بول بران » - وهو استاذ الاقتصاد سياسى صهيونى ... هذا كان موقف اليسار الامريكى ١٠٠

سقوط في احضان الصهيونية ١٠٠

وكانت الصهيونية دعاما من دعائم الماكارية ١٠٠
اما الماكارية .. فقد احتضنت الاتجاه الصهيوني لمدة
اعتبارات :

اولا : الماكارية تمثل الاحتكارات الامريكية ، وجزء
كبير من هذه الاحتكارات تملكه الصهيونية . فالصلصة
واحدة ...

ثانيا : الصهيونية ، تمثل رافدا اساسيا من روافد
الثقافة الامريكية ، الميالة للنظام الامريكي .

ثالثا : يعتبر اليهود من العناصر التي هاجرت ميكرا
الى امريكا . فقد كان المهاجرون هم الذين يمانون في أوروبا
من حياتهم ، واليهود كاثلية دائمة كثيرا ما تعرضوا للاضطهاد
في الدول الكاثوليكية بالذات ...

يقول ماركاري :

« علينا بأن نتعاطى كل ما هو غير امريكي . اقص
أن ما هو على الارض الامريكية ، فهو امريكي ... وما هو
مستورد ، فهو مستورد . أنا ضد كل السفالات التي
تحملها الرياح الى قارتنا . أنا امريكي خما ودعا ... ولا
يمكن أن أصير الى غير ذلك . ويجبكم تكويتنا ، طبيقا ،
وايديولوجيا ، وحضاريا ... لا بد أن نمضي . ومغضى .
ذلك الذي يرفع يده في وجه فكر يدعم النظرة الامريكية ،
سواء كان ذلك الفكر يهوديا او كاثوليكييا .. امريكا
امريكا ، ومتى ... كل شيء ... وما عداها لا شيء ...
ومن خلال احساسى بتفوق امريكا ، وسيطرتها ، وغلبتها ،
وحضارتها ، احس بمدى حريتي ، بمدى انسانيتي ، بمدى
سموي دناها أبدا (٢٢) »

ومن الغريب أن احدى الزوايا التي تمثل منها الصهيونية
الصهيونية على امريكا ، ترفضها الماكارية . لكنهما نتيجة
المصالح المشتركة ، لم يتنافسا ، أبدا . هذه الزاوية هي
ما حدث لليهود في ألمانيا أثناء حكم هتلر . فالصهيونية
تستجدي العطف على اليهود بما جرى لهم من مذابح ، واضعة
مسئولية ما حدث على اكتاف الغرب بكامله . في حين أن
الماكاريين ، يتعاطفون بشكل ما مع النازية ، نتيجة التشابه
في المنهج من ناحية ، ونتيجة وحدة العدو المشترك - وهو
الاتحاد السوفيتي ، من ناحية أخرى ...

ومعظم الروايات الصهيونية - وهي تطبع وتوزع في
الولايات المتحدة أكثر من اسرائيل - تعتمد على تقطين
وليستين :

الاولى : الحديث المسهب عن المذابح التي قامت بها
الهتلرية ...

الثانية : الربط بين الصهيونية وعود التوراة ، بشأن
الجنس المختار ، وبناء وطن قومي في فلسطين ...

وبطل الرواية الصهيونية ، عادة ، يهرب من ألمانيا
النازية ، بمنجزة ، تاركاً أهله وأصدقاءه في مقابر ألمانيا

(٢٢) داخترت الحرية - ماركاري . جامعة برنستون

(٢٢٧ صفحة - طبعة برنستون)

ومعتقلاتها وسجونها ... وهو يحفظ التوراة - عادة - عن
ظهر قلب ..

ومن الروايات التي تعرض لهذه الفكرة : ولات نجاها
كبيراً في الولايات المتحدة : (نجمة في الرياح) لروبرت
نالتان . وقد ترجمت الى ست لغات . يقول نالتان :

« اننى أتصور انه لم يعد يوجد في هذا العالم الا
شعبنا اليهودي ... »

ويقول ايضا :

« اذا كان الكاثوليكي يضع نفسه في خدمة الله ،
ويترك المعجزات للقدسين ؛ فان اليهودي يقوم باجتيازها ».

ولكن أشهر الروايات الصهيونية في الولايات المتحدة
هي رواية « الخروج » لليون أوريس . وقد وزعت كاحسن
الكتب الامريكية ، ولات ترعيبا شديدا من النقاد ، وحضت
لها هوليوود ، امكانيات نادرة لاجراجها في السينما . وفي
هذه الرواية حشد هائل من الشتائم واللعنات للحضارة
العربية والعرب :

قال جوس : بالنسبة للانراك ، بوسعك ان تشتريهم .
اما بالنسبة للعرب فيجب ان تتسلم كيف نعيش معهم
بسلام .

رفع ياكوف قبضته ، ولوح بها في الهواء . وقال :
« شيء واحد يفهمه العرب . انه يفهم هذا فقط (٢٣).
وفي مقطع آخر ، يقول :

« طرد آرى من حوله جماعة من الصبية العرب ، الا أن
احدهم ظل يلاحقه :

— أتريد قليلا ؟

— لا ...

— تلكارات ؟ لدى كسب من الصليب ومزق من الثوب
عقري ؟

— أتريد صورا عارية ؟

حاول آرى أن يجتاز الصبي ، الا أن الأخير تمسك
بساقيه :

— « دينا تعجبك اختي ، انها غلراء »

رمى آرى للطلل قطعة نقود ، وقال له : احرس السيارة
بعيانتك نفسها (٢٤) .

وفي مقطع آخر ، يقول :

(وماذا يمكن أن يحدث لو ذهب طه الى جوردانا ،
وقال لها انه يبيعها ؟ سوف تصبى عليه حتما) (٢٥) ١٠٠

(لم يكن بوسع أى يهودي ان تعيش مع الانجليزى
ارنولد ولم يكن بالوسع إيجاد فتاة انجليزية ، وهكذا لم
يبق الا امرأة عربية) (٢٦) .

وفي « الخروج » .. نرى (كمال) ، الشاب العربى
الذى يتعاطف مع المؤلف ، يتمتع بميزة « ممتازة » . فهو
يعتقد أن اليهود هم الخلاص الأوحى للشعب العربى ، وأن

(٢٣) «الخروج» - ليون أوريس . ص ٢٤٤

(٢٤) «الخروج» - ليون أوريس . ص ٣٥٧

(٢٥) «الخروج» - ليون أوريس . ص ٣٦٩

(٢٦) «الخروج» - ليون أوريس . ص ٤٢٢

اليهود ، وحدهم ، هم الذين جلبوا الضوء الى العالم في
الآلاف سنة الأخيرة (٢٧) +

اما (هـ) - الشاب العربي الآخر ، فيشرحه النقط
التالي :

(د) قال آرى :

- رجاء مساعدتى ..

فاجاب له :

- انا عربى ..

- انت انسان + انت تعرف الفرق بين الصواب

والخطا ...

- انا عربى قلد !

- اذا كنت اخاك ، اذن اعطنى جورانا - نعم ، هذا

صحيح - اعطنى اياها ، واتركنى اخذها الى فراشى ، دعها
تتحول منى اولادى !

انطلقت قبضة آرى وسقطت فك طه ، فاورسل العربى ،

داكفا فوق ركبتيه وراحتيه (٢٨) ...

وفى (الخروج) التى توقفنا عندها ، قليلا ، لانها

اصبحت مقياسا ونموذجا للاعمال الادبية التى نشرت معها

وبعدها وقبلها ، « يعيش الاطفال العرب بلا اهداف » (٢٩) ،

واذا حاجم الرجال العرب فى ١٩٣٨ ، فانهم يقسمون

السكاكين بين اسنانهم « (٣٠) » ، واذا حاربوا فلان

ضباطهم يجبرونهم بالقوة على ذلك « (٣١) » ، ويدفعون

لكل منهم دولارا واحدا فى الشهر « (٣٢) » ، اما حواريت

العرب ، فهى لم تكن منذ عشر سنوات على الاقل « (٣٣) »

« وزعماء العرب كلهم جواسيس وعملاء ماجورون » (٣٤) .

هل يمكن ان نقول .. اننا نغفد الامل فى ثقافة
بكاملها ؟؟

ان هذا السؤال ، لم يطرح منذ وقت طويل ، عندما
كانت هناك امة مبنية على اساس الكشارى او قبل . وكان
من البديهي ان كل امة تجعل لثقافة تقدمية ، مهما كانت
هناك من ثقافات رجعية الى جوارها . ولكن هذا السؤال
فرض وجوده من داخل الثقافة الامريكية نفسها .

والاجابة على هذا السؤال ، تتطلب مناقشة مستويين :
المستوى الكلى ، والمستوى الفردى ...

على المستوى الكلى ، كما راينا الثقافة الامريكية ،
يسارها ، واقع تحت النفوذ الصهيونى ، ويمينها تحت
الارهاب الماكارتى . واليسار هنا لا يصبح يسارا بالمعنى
التقليدى ، بل يتحول الى يمين شديد التحيز . وبساطة ،
تستطيع ان نقول ، ايضا ، دون ان نعدو الحقيقة ، انه ليس
فى الولايات المتحدة ثقافة انسانية . فقد اصبحت الانسانية
اليوم ، مرتبطة بالتطور السياسى . ولم تعد ، كما كانت
دائما ، تتحرك فى فراغ . واصبحت الاتجاهات الانسانية
على هذا الاساس شيئا معزقا ، مرفوضا ، من النظام
الامريكى .

ولكننا اذا ما ناقشنا المسألة على المستوى الفردى ،
لوجدنا بعض الكتاب والفنانين - وان كانوا قلة ، لا يعتد
بهم بالنسبة الى الغالبية الكيرة - ما زالوا يرفضون النظام
الامريكى . ولم تستطع الصهيونية ان تحتويهم ، ولا
المكارثية ان ترحيهم . لكن هؤلاء (مثل الروائى : آلبرت
كاموز ، والفيلسوف : روبرت رابسون) ، يعيشون فى المنفى ،
بعد ان اصبحت الولايات المتحدة ارضا غير مواتمة للثقافة
الانسانية ...

ان اشينجلر ، وغيره من الفلاسفة والمفكرين ، قد نبهوا
الى ما فى الثقافة القروية من انحدار ، ولكن الثقافة الامريكية
اليوم تبلغ قمة الانحدار ، مستغلة سطحية الانسان الامريكى
العادى ...

قال الروائى هنرى ميللر .. انه اطلق على روايته
اسم : « مدار السرطان » ، سخرية من القراء الذين
سيظنون انه كتاب لعلاج السرطان ، وتستغل الصهيونية هذه
السطحية ، وتحمى الماكارتية النظام الامريكى من كل اتجاهات
انسانية او تقدمية .

(٢٧) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٢٧٩

(٢٨) « الخروج » - ليون اوريس - ص ١٥

(٢٩) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٣٧١

(٣٠) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٣٠١

(٣١) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٥١٨

(٣٢) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٥٢٠

(٣٣) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٤٠٠

(٣٤) « الخروج » - ليون اوريس - ص ٢٨

فـتـلـاح العدوان الامريكي البريطاني



عبد المنعم شمس

اليوم . و تستخدم ضدها اذا ما خرجت عن طوع السياسة
الامريكية الاستعمارية .

لقد كان سقراط يقول ان الساكن من الحق شيطان
اخرى ، ولابد من توضيح الحقيقة ، لانه من الخير
للتعوب ان تعرف كلمة الحق ، وان تدرك معنى اقامة
القواعد العسكرية فوق اراضيها .

ان أمريكا هي العدو الاول للشعوب في هذا العصر ،
وان تهديدها للسلام العالمى قائم ، وسيظل قائما ،
مادامت قواعد الدمار فوق الارض والبحار في حزام ارجاء
يحيط بالكرة الأرضية .

ان أمريكا تملك ثلاثة ملايين من الجنود ، واكثر من
٤٥٪ منهم خارج الولايات المتحدة كقوات مباشرة في أنحاء
العالم . وتوجد الصواريخ في سبع قواعد والطائرات في
خمسين قاعدة . ويتكون السلاح الجوى الامريكى للنقل
من حوالى ٦٠٠ طائرة - طراز (س - ١٢٤) او
(س - ١٤١) اى ما يوازي ٢٣ الف راكب وخمسة آلاف
طن من المعدات مما يكون جيشا كاملا . ويمكن نقل معدات
ثقيلة وعربات وطائرات هليكوبتر عن طريق هذا الاسطول
الجوى ، الى مسافة تبلغ خمسة آلاف كيلو متر .

ويقول المسؤولون في وزارة الدفاع الامريكية انهم
يريدون نقل فرقة عسكرية كاملة بواسطة الصواريخ من
مضمرات التدريب في كارولينا الشمالية الى افريقيا ،
وانهم يريدون تقديم القوة الساخنة من كنتكى الى قوات
حلف الاطلنطي في أوروبا .

هى قلعة استعمار جديد اسمها أمريكا تريد بسط
نفوذها على العالم كله .

مراكز الشر

فى اواخر يناير ١٩٦٦ أعلن فى أمريكا انه تم بناء
اضخم مركز أمريكى للعمليات العسكرية ، وتكلف بنائه

سئل الكاتب الايرلندى الساخر جورج برناردشو :
لماذا لا يقوم بزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، فاجاب :
- يقولون اننى كاتب ساخر ، ولكننى لم تبلغ من
السخرية حدا يجعلنى اسافر الى أمريكا ليستقبلنى على
ابواب نيويورك تمثال الحرية فيها .
ولو عاش برناردشو حتى اليوم لراى بعينه شيئا
رهيبا يبعد عنه السخرية ابعادا كاملا ، فقد أصبحت
أمريكا العدو الاول للحرية في العالم لا على ابواب نيويورك
وحدها ، ولكن في كل مكان على وجه الارض أو على سطح
البحر .

لقد اقامت أمريكا حزاما رهيبا حول العالم اطلقت
عليه اسم القواعد العسكرية ، وحشدت في هذه القواعد
ادوات الدمار لتستخدمها ضد الشعوب التى تطلب حقها
في الوجود وفي الحياة .

وتحالفت أمريكا مع بريطانيا في اعداد حزام الرعب ،
حتى أصبحت القواعد العسكرية المتجولة امريكية تهدد
السلام العالمى تهديدا يفوق الوصف . وقد تأكد ان
القواعد العسكرية لعبت دورها في معركة يونيو ١٩٦٧ ضد
الشعب العربى بشراسة وحقد ونذالة .

واحب ان اقول منذ البداية حقيقتين هامتين
اولا - ان تصوير هذه القواعد للقارىء ليس معناه
ان يمتلكنا الدرع من بشاعة مانحويه من اسلحة الدمار ،
لأنها مهما كانت بشاعتها لاتستطيع اخضاع الشعوب
للاستعمار الأمريكى الجديد مما نراه واقفا في حرب
فيئاتنا .

ثانيا - ان توضيح حقيقة هذه القواعد العسكرية
لا يقصد منه الحديث عن الدول التى اقيمت فوق اراضيها
لان هذه الدول رصيت بالقامتها اما بالتهديد أو الانفراد ،
وهذه القواعد ستكون خطرا عليها في القاء ان لم تكن خطرا

وهناك قواعد أخرى غير هذه القواعد ، ولكنها اقل أهمية منها من حيث التركيز والاسراع . ومنها قاعدة الطيران بالعربية المحمودة ، وهي قاعدة طيران نفسم مطارات هائلة ، ومطارات محمودة بالتقابل الذرية أو ذات الرؤوس الذرية .

ونظرة واحدة الى خريطة العالم المنشورة مع هذا المقال تطلع القارئ على هذا الحزام الازعاجي الخطير الذي اقامته أمريكا حول الكرة الأرضية لتنفذ سياسة الانتقام الواسع النطاق كما وصفها مكنتارا وزير الدفاع الأمريكي الذي صرح في ١٧/٥/١٩٦٦ أمام لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب ، بأن أمريكا زادت من عدد الأسلحة الذرية التي تخزنها في أوروبا بنسبة ٨٥٪ خلال السنوات الأربع السابقة على عام ١٩٦٦ ، كما قال ان سياسة الانتقام الواسع النطاق تعتمد على شبكة التاهيب الجوي الاستراتيجي المكونة من طائرات (ب - ٥٢) وهي قاذفات القنابل الصغمة ويمتلكها هذه السياسة الازعاجية يكون هناك تحقيق دائم لبعض القاذفات الأمريكية الصغمة التي تبلغ ٦٨٠ قاذفة قابل ، تخرج من قواعدنا المنتشرة حول العالم في دورات دائمة متتالية .

القواعد المحيطة بالوطن العربي :

وبينما في هذا المقال ان نوضح للقارئ حقيقة القواعد العسكرية الانجليز امريكية التي تحيط بالمنطقة العربية ، فهذه القواعد هي التي ساندت اسرائيل في عدوانها على أرضنا ، واسرائيل ذاتها قاعدة امريكية عدوانية اقامتها الصهيونية العالمية المشار في سياسة الانتقام الواسع النطاق التي شرعها مكنتارا وزير دفاع أمريكا مما سبق بيانه .

١- قاعدة هوبلاس في ليبيا :

تقع قاعدة هوبلاس الجوية على بعد سبعة كيلومترات من مدينة طرابلس ، وتشغل مساحة قدرها حوالي ثلاثة آلاف فدان ، ويبلغ طول ممرات الطائرات حوالي ١١ ألف قدم ، ويتسع الممر لطائرتين تسيران متجاورتين في وقت واحد .

وتعد هذه القاعدة من أكبر القواعد الأمريكية خارج الولايات المتحدة ، وتستخدم لتدريب الطيارين الموجودين في القواعد الأمريكية في أوروبا ، كما تستخدم لتدريب طياري اسرائيل .

وتستوعب قاعدة هوبلاس ستة اجنحة للطيران دفعة واحدة لتدريب على الطيران واطلاق النار والقذائف على مختلف أنواع الطيران . وتتم التدريبات في الصحراء الليبية على بعد ٨٠ ميلا من طرابلس ، ويبلغ عدد ساعات التدريب ٤٥ ألف ساعة في السنة .

وتقسم القاعدة محطات رادار قوية ، ومحطات اتصال لاسلكية ، ومخبر لحركات الطائرات النفاثة قبل تشغيلها . ويستطيع قائد القاعدة الاتصال بواشنطن عن طريق شاشة تلفزيونية ضخمة تجري عليها الاحاديث بينه وبين المسؤولين الأمريكيين .

وقد جرت القواعد من الداخل بجميع التسهيلات والامكانيات والاستعدادات العصرية مما يجعلها مدينة أمريكية

اكثر من ١٤٢ مليون دولار . وهذا المركز مقام تحت جبل شايان المرابية الجوية الأمريكية الكندية . وهو على عمق ١٥٠٠ قدم ، وقد أعد خصاصه امريكا وكندا من هجوم الطائرات أو الصواريخ أو مركبات الفضاء . واستخدم هذا المركز في يونيو ١٩٦٦ . وهو مبنى من طابقين ويمتد في اتفاق طولها نحو خمسة كيلو مترات ويضم أحد عشر مبنى تحت الأرض ، وهو يشتمل صدمة أي انفجار ذري ولايتأثر الا من اصابة ذرية مباشرة كما يقول الأمريكيون . وبمعدل هذا المركز من العالم الخارجى ملايين الاطنان من الصخور وابواب من الفولاذ .

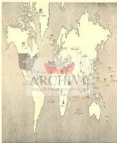
ويستطيع قائد هذا المركز ان يرى على شاشة تلفزيونية ضخمة صورة لقارة أمريكا الشمالية تظهر عليها مواقع أية طائرة أو صاروخ أو مركبة فضاء ، وبه أجهزة مواصلات وعقول الكترونية لجميع المعلومات وتوزيعها ، ويضم المركز قيادات للأسلحة الجوية والبحرية . هذا هو المركز الجديد الذي اقامته امريكا للشرق والاثام والدمار . واستخدمت عرق الكادحين من ابناء آسيا وافريقيا لبنائه . وبناء مئات من أمثاله حول الأرض .

حزام الرعب

ويوجد للولايات المتحدة أكثر من ٩٥٠ مركزا عسكريا خارجيا ، وتتراوح هذه المراكز بين القواعد الكبيرة الذرية والمحطات البحرية والجوية . وتنتشر هذه المراكز في أراضي ٨٠ دولة . ويخص الشرق الأوسط حوالي ٢٢ مركزا عسكريا موزعة في ليبيا وتونس والجزيرة العربية وإيران وتركيا وباكستان . كما يوجد لبريطانيا مراكز عسكرية في تونس وليبيا ومالطة وجبل طارق وعمان وامارات الخليج العربي ، وتعمل هذه المراكز البريطانية في منطقة الشرق الأوسط لخدمة أهداف الاستعمار الأمريكي الجديد .

اما القواعد العسكرية الأمريكية التي تقع في الاماكن التالية :

- ١ - جزيرة سيدواي في المحيط الهادئ
- ٢ - جزيرة جونسون
- ٣ - جزيرة كراجلين
- ٤ - جزيرة جوام
- ٥ - جزيرة اوكتاوا
- ٦ - فرموزا
- ٧ - جزر الملين
- ٨ - اليابان
- ٩ - كوريا الجنوبية
- ١٠ - فستام الجنوبية
- ١١ - تايلاند
- ١٢ - الاسطول السابع في بحر الصين
- ١٣ - إيران
- ١٤ - تركيا
- ١٥ - اليونان
- ١٦ - إيطاليا
- ١٧ - الاسطول السادس بالبحر الابيض المتوسط
- ١٨ - ألمانيا الغربية
- ١٩ - هولنده
- ٢٠ - إنجلترا
- ٢١ - اسبانيا
- ٢٢ - جرينلاند
- ٢٣ - أسبانيا
- ٢٤ - جزر الآزور
- ٢٥ - مراكش
- ٢٦ - ليبيا
- ٢٧ - جمهورية الدومنيك
- ٢٨ - بورتوريكو
- ٢٩ - منطقة قناة بناما
- ٣٠ - بحر كوبا (خليج جواتانامو)
- ٣١ - كندا .



آرشیو مجله‌ی پژوهش‌های تاریخی و ادبی
 تاریخ و ادبیات ایران و جهان

من الجنود ، وهذه المدينة تقع بالقرب من مدينة (الرباط) والقاعدة محاطة بالأسلاك ولا يستطيع أحد الاقتراب منها . وهناك أيضا قاعدة (التواصير) بالقرب من الدار

البيضاء . وقد حولت أخيرا الى مطار دولي تكلت امريكا بالانفاق على اقامته . فقد أعلنت السفارة الأمريكية في الرباط يوم ١٠/٢/١٩٦٧ ان امريكا ستفتح المقر قربا بمبلغ مليون و ٢٠٠ ألف دولار لمساعدته في تمويل الخدمات الارضية في مطار التواصير الذي كان قاعدة أمريكية .

٤ - اسبانيا قاعدة ذرية رهيبة في مرفأ (رونا) الاسباني على بعد ١٢ كيلو مترا من مدينة فادس اقامت امريكا قاعدة جوية وبحرية لاستخدام الاسطولين السادس والثاني . وتحول المرفأ الصغير الذي كان يضم اكواخ الصيادين الى ارضية ضخمة لاستقبال حاملات الطائرات والبوارج ، كما اقيم تحتها وكمر ضخمة هو قاعدة الفواصات الذرية . وله اعلن الكابتن دانييل بل قائد القاعدة البحرية الاسريكية في فبراير ١٩٦٦ عن وصول أول غواصة حاملة للصواريخ اسمها (لاناييت) الى قاعدة رونا .

وهذه القاعدة على اتصال مباشر عبر الانطلي بالقواعد المقامة فوق الارض الأمريكية على الشاطئ الآخر . وهي تضم أكبر مخزن للبتروول ، وقد وضع تحت سطح البحر في درابيد مقلقة بابواب الفولاذ ، ومدت منه أنابيب تنجر أسبانيا حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، وتصل تحت سطح البحر الى جزيرة (ميورقة) أشهر مكان سياحي في اسبانيا ، وأشهر وكتر للجاسوسية الأمريكية .

ول تدخل أسبانيا قواعد أخرى في : توريغون وموردن وسرسة وهي تضم مطارات ذرية خطيرة ، وقد سقطت ذات مرة إحدى القنابل الذرية فوق الأرض الاسبانية ونشرت الرعب بين أبناء الشعب . ورغم ذلك بقيت هذه الأنواع الذرية الرهيبة تحيط باسبانيا شرقا وغربا وتخترق وسطها في سلسلة من الدمرات والفواصات والطائرات .

٥ - قاعدة فيسيان في ألمانيا الغربية

حينما ضرب الاسرائيليون سفينة التجسس الامريكية (ليبرلي) شمالى سيناء أثناء الحرب الصهيونية الاستعمارية ضد العرب ، أعلن الجنرال ماك كوين قائد حلف الانطلي طار من قاعدة فيسيان في ألمانيا الغربية وتولى بنفسه سحب السفينة الجاتجة الى حوض الإصلاح في مالطة .

وتقع فيسيان على بعد ربع ساعة من مدينة فرانكفورت وهي مدينة استشفاء ، ولكنها أصبحت أضخم معسكر أمريكي في أوروبا كلها ، وقد أصبحت معسكرات فيسيان مدينة مقلقة بعد الحوادث الكثيرة التي دمر فيها الشعب الألماني أدوات الدمار في هذه القاعدة .

وتضم قاعدة فيسيان ربع مليون جندي أمريكي ، وهو أضخم جيش من المشاة في أوروبا الغربية . وهذا الجيش مسلح تسليحا كاملا بالبدابات والمصلحات . كما تضم القاعدة قوة طران ذرية ضخمة تشكل المقدمة لهذا الجيش . وتسيطر عن الجسر الجوي الممتد الى برلين الغربية التي تكون جزوا هاما وحيويا بالنسبة لقاعدة (فيسيان) ، فقد

كاملة ، فيوجد بها كتيستان ومدارس لجميع مراحل التعليم طبقا للنظام الأمريكي وأربعة أندية عامة ، وسوق يقسم جميع السلع والمنتجات ، ومكتبتان مختلف العلوم والفنون ، ومستشفى يضم ١٥٠ سريرا وبه أحدث الأجهزة الطبية وأقسام لعلاج جميع الأمراض واجراء العمليات الجراحية .

وقد الق القاعدة شاطئه للاستحمام على البحر ، وحمام كبير للسياحة ، ومسرح وسينما وملعب رياضية . كما تضم القاعدة دارا للاذاعة والتلفزيون تقدم برامجها لاهل مدينة طرابيس أيضا باللغة الانجليزية ، ويعمل التلفزيون لمدة تسع ساعات .

وللقاعدة عملة خاصة بها تتداول داخلها هي الدولار العسكري . وهي تخضع خضوعا كاملا لسلطة الولايات المتحدة ولا يحق لأي دولة أن تنازعها هذه السلطة ، وذلك طبقا لمعاهدة مع حكومة ليبيا تنتهي في عام ١٩٧٤ .

وقد استخدمت قاعدة فادس هوبس الأمريكية في ضرب التحركات الوطنية مرات عديدة . فتمتدما نشبت ثورة الكونغو استخدمت لنقل القوات البليجكية ، وعندما حدثت ثورة قبرص استخدمت لنقل القوات البريطانية ، وقد استخدمت أخيرا في حرب يونيو ١٩٦٧ التي شهدتها الاستعمار الصهيوني الأمريكي على البلاد العربية ، فقد رصد تحرك ٢٢ طائرة من طراز فانتوم انجيت شرقا في ليلة ٤ / ١٥ / ١٩٦٧ وهي محملة بالذخائر ولم تعد الى قاعدتها . كما لاحظ الضباط الليبيون ان ٧٥ طائرة خرجت من القاعدة في ١٧ / ٦ / ١٩٦٧ . والى جانب قاعدة هوبس النسخة تملك امريكا مطارين أيضا أحدهما مطار (غار يونيس) والثاني مطار (كميوت) ، ويوجد مطار ثالث هو مطار (الابرق) . وتدفع امريكا ايجارا سنويا لكل هذه القواعد والمطارات مبلغ عشرة ملايين دولار .

كما توجد في ليبيا قواعد بريطانية يبلغ عدد مراكزها أكثر من مائة مركز ممتدة في جميع البلاد الليبية شرقا حتى مدينة طبرق ، وقد بذل القباري، حين يتطالع قائمة هذه المراكز الملحقة بالانفاقية التي وقعت في سنة ١٩٥٣ وجعلت منها عشرين عاما ، فهدده القائمة لم تترك مطارا ولا مستشفى ولا مصنع تلج الا جعلته من ممتلكات بريطانيا بل ان بريطانيا جعلت لنفسها الحق في إنشاء شرطة خاصة تتولى صيانة الامن في الاماكن التي تحتلها .

٢ - قواعد عسكرية في تونس

ذكر أخيرا أنه تم عقد اتفاق سرى بين تونس وأمريكا ينص على إنشاء قاعدتين جديبتين أحدهما في شمال تونس والأخرى في جنوبها .

أما القاعدة البحرية (بنزرت) بتونس فبعد جلاء القوات الفرنسية عنها استخدمها الاسطول السادس الأمريكي في أول الامر ورشة لاصلاح السفن ثم حوّلها بعد ذلك الى قاعدة عسكرية وتعتبر قاعدة بنزرت من أهم القواعد الاستراتيجية في شمال افريقيا .

٣ - القواعد العسكرية في المغرب

داخل نطاق التوزيع الاستراتيجي للقواعد الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط اقيمت قاعدة (الانتيرة) بالمغرب الأقصى ، وهي تحتوي على القنابل النووية والاعداد الكبيرة

٧ - الاسطول السادس

من اوصاف الاسطول السادس انه يتقسم خمسين سفينة وعددا من الفواصات الذرية و ١٠٠ مقاتلة نفاثة . ويقول وزير الدفاع الامريكى ان هذا الاسطول هو القفصا الكبيرة في سياسة الانتماء الواسع النطاق . ولهذا الاسطول قواعد خلفية ذكرا منها نابولي في ايطاليا وبزرت في تونس وله قاعدة خلفية ثالثة في جزيرة مالطة التى اخذت قاعدة للصيانة والاصلاح *

وتعتبر مالطة من اهم الموانئ في العالم ، وهى قاعدة بريطانية تسيطر عليها امريكا . وتكون من ثلاث جزر هى مالطة وجوزو وكومينو ، وبها الاحواض الجافة لاصلاح السفن كما تضم تحت مياهها قاعدة رهيبة للفواصات الذرية ، وقد ادخلت امريكا ثلاث فواصات ذرية مجهزة ب ٨ صواريخ من طراز بالوريس في مظاهرة حافلة لتهديد شعوب العالم *

٨ - قبرص على طبق من البارود

منذ عام ١٨٧٨ وقعت بريطانيا بيدها على قبرص التى كانت تابعة لدولة الخلافة العثمانية ، واستخدمت قبرص لتنفيذ مخططات الاستعمار فكانت تصل اليه افواج الصهاينة ويتم تاهريهم الى فلسطين بطرق غير مشروعة . وحين قاومت قبرص الاستعمار البريطانى ووصلت الى الاستقلال اشترطت بريطانيا بقاء قواعدها العسكرية فوق الاراضى لتوقع اتفاقية الجلاء ، ورفض الاسلاف مكابوسى ، ولكن رئيس وزراء اليونان قال له :

— انى قادم لك قبرص على طبق وتنت ترفض اخلاها . واصبحت قبرص على طبق من البارود ، واقامت عليها قواعد عسكرية بريطانية تسغل مساحة قدرها ٩٩ ميلا ، فضلا عن حق بريطانيا في استخدام مطار نيقوسيا .

وتضم قبرص قاعدتي (داكاليا) و (اكرويرى) واستخدمان للتدريب في منطقة الشرق الاوسط كلها ، وبهما مطارات لطائرات كانبيرا التى تحمل الصواريخ الموجهة ، وبهذه الطائرات قوة نووية صاربة تعرف باسم (ف - الفصاربة) كما تضم القاعدتان نوعين آخرين من الطائرات هما (فكتور - ب - ٢) و (فولكات - ب - ٢) وكلاهما مجهزان بقنابل (بوسترل) التى يطلق عليها اسم الصلب الأزرق ، وهما مجهزان ايضا بأسلحة الانزال الحر فتسلط منهما اسلحة الدمار بطريقة اونوماتيكية ، وهذه الطائرات مجهزة برادار وقاى يمكنها من العمل دون اصابته من الغطاء الجوى للدفاع المدو .

واسراب الطيران التى وضعتها بريطانيا في قبرص بعضها مزود بأسلحة ذرية جديدة يمكن الاطلاق من جميع المستويات وعلى جميع الارتفاعات وهى في نفس الوقت تستطيع حمل الاسلحة التقليدية ، ويمكن استخدامها بسرعة في حالة الطوارئ .

وتتوفر في جزيرة قبرص الموانئ الصالحة لاسيواء واصلاح وتكوين السفن ، وبها احواض جافة واستعداد لرسو الاحواض العالمة . وتشكل قبرص حلقة من حلقات القواعد العسكرية البريطانية في جبل طارق ومالطة وليبيا ، وهى في نفس الوقت مرتبطة بالقواعد الامريكية المتحالفة مع بريطانيا ، ويعتبرها العسكريون قاعدة هجومية لانها

اصبحت برلين الغربية معسكرا امريكيا ضخما يتصل بمركز قيادته (فيبيادان) .

ويجب ان نذكر في هذا المجال ان ألمانيا الغربية تسجل جيشها بأسلحة اسرائيلية كما يرتدى جنودها ثيابا من صنع اسرائيل . وفي نفس الوقت تدفع لأمريكا نفقات القوات الامريكية التى تحتل اراضيها .

٦ - اقماع التجسس في ايطاليا

ظهر في الايام الاخيرة ان روما هى مركز اقماع التجسس الامريكية ، فقد اعادت الولايات المتحدة شبكة من الاقمار الصناعية لهذا الغرض وستستخدم هذه الشبكة ، الاتصالات اللاسلكية التى تعد اداة هامة في العمليات العسكرية ، وكذلك الاتصالات الصوتية القوية لمواجهة حالات الطوارئ في اى مكان في العالم .

وتقوم شبكة الاقمار الصناعية بربط القواعد الامريكية التى تبعد بعضها عن بعض بالاف الاميال ربطا لاسلكيا كاملا ولستبعد هذه الاقمار ان تجمع معلومات في دورة واحدة حول الارض تزيد عن المعلومات التى يمكن ان يجمعها جيش من الجواسيس بجوب الكرة الارضية .

وهناك جهاز صغير يؤدى دورا هاما في وسائل التجسس الحديثة اذ يثبت وضعه على مسافة قصيدة خارج الابواب ليسترق السمع على المحادثات التى تجرى في الداخل عن طريق نقل الدبديات التى تحتها الموجات الصوتية على اوج النواذب الزجاجية ، وهناك جهاز آخر يتكون من شبكة من الاسلاك تثبت في مبني وتنتقل جميع المحادثات التى تجرى في داخله . وبعد ذلك يلتقط القمر الصناعى هذه المحادثات .

وهناك تليسكوب الفضاء الذى اطلقته امريكا عام ١٩٦٦ لأول مرة ، وهو يحمل مجموعة من المعدات العلمية من طريق استخدام الوقود الهيدروجيني السائل . وهذا الجهاز من احدث اجهزة التصوير التى تستخدم في التجاسوسية ، وهو يصور الاعداد الارضية ، وقد ركب في جميع الاقمار الصناعية التى تستخدمها امريكا للتجسس . وقد اتخذت روما كمركز للاقمار الامريكية ، وهى اكبر وك للتجاسوسية الامريكية . وبها محطة الاستقبال اللاسلكى والتليفزيون لسبعة اقماع صناعية تدور حول العالم وتجمع المعلومات من كل مكان . وقد بلغ لييج الاصريكيين انهم يقولون انه في استطاعتهم نقل حديث بين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي وبين سائق سيارته .

والغريب ان الاقمار الصناعية الامريكية تقوم باعمال سلبية لتغطية عملها الرهيبة ، وقد اخذت روما قاعدة للارسال والاستقبال الصحفى في أنحاء العالم ، فيمكن ارسال احاديث وصور عن طريق الاقمار الصناعية من روما الى اى مكان في العالم .

ولم تنف اعمال القواعد المدوائية في ايطاليا عند هذا الحد الرهيبة ، بل ان الاسطول السادس اتخذ من ميناء نابولي قاعدة خلفية له ، وفي نابولي احواض لاستقبال سفن الاسطول ، كما ان المدينة ذاتها مراد جنود الاسطول خلال فترات الراحة وتعتبر نابولي مركز تكوين واصلاح وترفيه للاسطول السادس الامريكى .

مأمونة الدفاع ضد أي هجوم جوى عليها بحكم نصاريها الجبلية الوعرة .

٩ - ثلاث قواعد في تركيا

في أزمير وأطنه وديار بكر * . على حزام ممتد في جنوب تركيا من شاطئ البحر حتى أقصى الشرق بالقرب من حدود إيران ، أقامت أمريكا قواعدها العدوانية *

وقد ازداد اهتمام أمريكا بتركيا بعد قيام إسرائيل ، واعتبرت تركيا قاعدة الارتكاز لتنفيذ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وبعد عام واحد من قيام إسرائيل وقعت الولايات المتحدة و تركيا (اتفاق المساعدات للدفاع المشترك) في عام ١٩٤٩ ثم تطور هذا الاتفاق في عام ١٩٥١ إلى مسمى باتفاق الأمن المشترك فوضعت المساعدات العسكرية الأمريكية لتركيا ، ثم اشتركت في حلف الأطلسي في نفس العام .

وتتمتع تركيا باستراتيجية الموقع الجغرافي باعتبارها نقطة الالتقاء المباشر بين آسيا وأفريقيا ، ولأنها العبر المائي الوحيد بين البحرين الأسود والأبيض .

وقد أصبحت القواعد الأمريكية في تركيا ترسانة لاسلحة الدمار النووي ، وهدفها الواضح هو محاولة فرض السيطرة الأمريكية على شعوب العالم في حركة من أبشع صور الاستعمار الجديد .

١ - غريستان منطقة الدمار الذري

خاصة . وكان اسمها الإهواز . وقد أنشأ العرب فيها عدة كانت منطقة غريستان التابعة لإيران منطقة عربية من ساحلية على الخليج ، وفي عام ١٨٤٧ ظلت الحكومة العثمانية يد إيران في هذه المنطقة . ولم يدم هذا الوضع أكثر من عشر سنوات ، وأصدر ناصر الدين شاه مرسوما يقضي باستقلال غريستان تحت حكم أفرادها العرب ، حتى استطاع (رضا بهلوي) والد الشاه الحال بمعونة بريطانيا الإطاحة بالحكم العربي في غريستان عام ١٩٢٥ .

وتقسم المنطقة أكثر من ثلاثة ملايين عربي *

وقد أصبحت غريستان وكوالقواعد العسكرية الأمريكية التي أقيمت تحت اسم الحلف المركزي ، وهي ست قواعد منها أربع قواعد تشرع على منطقة الخليج العربي والعراق وقاعدتان أخريان منها القاعدة الجوية الموجودة في شمال غريستان قرب مدينة (أنديشك) ، والقاعدة العسكرية الموجودة قرب مدينة (الإهواز) عاصمة غريستان *

وقد زودت أمريكا هذه القواعد بصواريخ من طراز (هوك) وعدد كبير من الدبابات والطائرات التي تحصل الصواريخ للذرية .

وتقسم القواعد الأرمائية في إيران الأسلحة المضادة للطائرات ، وهي الدولة الثالثة في الشرق الأوسط التي توجد بها هذه الأسلحة ، والدولتان الأخريان هما إسرائيل وقاعدة أمريكا العدوانية ، ثم القاعدة الأمريكية في الظهران بالملكة العربية السعودية .

وفضلا عن ذلك، تعتبر هذه القواعد الأمريكية مركزا للتجسس على دول الشرق الأوسط ، وتجمع فيها كل المعلومات من البلاد العربية المتحررة ، وفي عاصمة غريستان (الإهواز) مركز النشاط العدائي للشعب العربي ، الذي

يلزم محطة إذاعة ومئات من العملاء والجواسيس يعملون لخدمة الاستعمار الأمريكي الجديد .

١١ - قاعدة الظهران

تعتبر قاعدة الظهران بالملكة العربية السعودية أعجب قاعدة ، فهي قائمة على مساحات شاسعة من الأرض في منطقة نفوذ شركة أرامكو الأمريكية للبترول ، وليس لهذه القاعدة حتى الإيجار الذي تدفعه حكومة أمريكا للسعودية ، بل هي هدية بلا ثمن وبلا إيجار .

وهذه القاعدة الحطية لم يزد حجم يعتبر سرا من الأسرار ، ولا يسمح بالاقتراب منه ، وتمتد منطقة النفوذ الأمريكي خارج المطار إلى مدن الخويار والدمام والظهران وراس تنوره والسواحل جنوب الخويار وخليج نصف القمر والطريق المؤدية إلى تلك المناطق ، وليس للسلطات المحلية في السعودية أي نفوذ على هذه المواقع حتى أن أفراد القوات المسلحة الأمريكية الذين يرتكبون مخالفات يتحتم على السلطات السعودية تسليمهم إلى السلطات العسكرية الأمريكية . أما داخل القاعدة فلا يسمح للحكومة السعودية بالدخول إطلاقا .

وتشمل قاعدة الظهران منطقة الأرض الموجودة في الدمام والتي أبعادها خمسة أميال طولية على كل جانب من مربع مركزه موجود في مبنى المطار .

وليس للسلطات المحلية حق السؤال عن عدد العسكريين والخبراء بل يحدد عددهم عن طريق قائد القاعدة .

وهناك تعاون كامل بين القيادة العسكرية الأمريكية وبين شركة أرامكو التي تقدم كل التسهيلات للعسكريين الأمريكيين عن طريق الدفعة الأمريكية الهائلة التي أفاضتها في قلب الصحراء ، وتضم المخابر والطعام ودور الترفيه ومطبخة الألبان والتفريغ والاستشفيات والمدارس ، على نفس النمط الذي أعد في قاعدة هولاس بليبييا .

ومنذ عهد قريب أقيم امتداد جديد لقاعدة الظهران في السعودية فأنشئ مطار أمريكي في بلدة (خميس مشيط) على مقربة من الحدود اليمنية ، وقد زود بشبكة اتصالات حديثة ، وهو قادر على استقبال طائرات نفاثة ضخمة ، ويستخدم هذا المطار في ضرب ثورة اليمن والجنوب المحتل *

١٢ - قاعدة عدن

تعتبر قاعدة عدن إحدى قواعد بريطانيا الكبرى ، وتأتي في الأهمية إلى جانب قواعد قبرص وجنيل طارق وسنغافورة ، وتسيطر بريطانيا بواسطة قاعدتين عدن على الجنوب اليمني كله ، وتنتشر القاعدة في عدة مراكز حربية أهمها :

١ - عدن

وبها مقر القاعدة في منطقة خورمكسر الواقعة بين مدينتي كريت والشبيخ عثمان ، وهي مركز القواعد الجوية ، ويقدّر عدد الطائرات الموجودة بها بحوالي ٥٠٠ طائرة مقاتلة من طراز (هوك) هنتر) وقاذفات القنابل (كانبرا) وطائرات نقل الجنود ، وبها مراکز استكشاف من أحدث طراز يمكن بواسطتها تحديد نوع الطائرات على بعد ١٥ ميلا .

ويعتبر من أهم المطارات في منطقة حضرموت ، ويستخدم لنزول الطائرات العادية .

١٢ - مطار شبام

تقع مدينة شبام في المنطقة الشمالية في الجنوب المحتل وتربط في هذا المطار قوات بريطانية ، ويستخدم في الأغراض العسكرية ولنزول الطائرات الحربية الخفيفة .

١٢ - قواعد العدوان في عمان

عمان هي مركز الاستعمار الانجلو امريكي في الخليج العربي ، وقد استطاعت بريطانيا السيطرة عليها عن طريق سلطات مسقط ، وأبعدت عنها امام عمان ، ثم جعلتها قاعدة عسكرية تخدم اهداف الاستعمار الامريكي الجديد التحالف مع الاستعمار البريطاني المتدثر .

وتسترد أمريكا في اعداد القواعد العسكرية في تلك المنطقة كلها ، بل انها تتخذ من القاعدة البريطانية في البحرين مركزاً خلفياً للأسطول السابع الامريكي الموجود في بحر الصين .

ونضم منطقة عمان وخليج العرب القواعد التالية :

١ - قاعدة سلالة :

مدينة سلالة هي مركز مقاطعة ظفار العمانية وعدد سكانها حوالي ٥ - ٦ آلاف نسمة . ومطارها الجوي من اكبر المطارات العسكرية في جنوب عمان وتهبط فيه الطائرات البريطانية . ويربط هذا المطار عمان بصدن * وتوجد في سلالة اكبر مسكرات سلاح الجو البريطاني ، وقد استعملت سلالة ضد الثوار اخيراً وكانت الطائرات النفاثة تقوم منه لنصب مواقع الثوار وتجمع القبائل العربية النائرة .

٢ - قاعدة مصره

مصره جزيرة كبيرة تقع في خليج مصره جنوب عمان ولا يبعد كثير عن سلالة وهي ذات طبيعة رملية وتسيطر بريطانيا عليها سيطرة فعالة . وقد قامت السلطات البريطانية اخيراً بترحيل سكانها الصوب الى مسقط ووضع زعيم القبيلة في سجن مسقط الرهيب . وقاعدة مصره الحربية من اكبر القواعد العسكرية في البحر العربي وهي مركز استراتيجي يتحكم في طريق عدن - الهند ، من المحتمل ان تنقل بريطانيا قاعدتها من عدن اليها اذا اضطرت لذلك .

٣ - قاعدة مسقط :

مسقط احدى مدن عمان الساحلية اتخذها سلاطنة ابي سعيد عاصمة لهم منذ القرن الثامن عشر وهي مدينة قديمة وميناء طبيعي على ساحل البحر العربي وخليج عمان وعدد سكانها حوالي عشرة آلاف نسمة وهي مركز المقيم البريطاني في عمان . ويعتبر مطار مسقط من أهم المطارات العسكرية بالنسبة للاستعمار البريطاني فيه تهبط كافة الطائرات العسكرية .

٤ - قاعدة الشارقة :

تقع الشارقة بين امارتي دبي وأم القيوين وهي احدى امارات ساحل عمان على الخليج العربي . ويبلغ عدد سكانها حوالي عشرين ألف نسمة وعاصمتها مدينة الشارقة وتعتبر قاعدة الشارقة من اكبر القواعد العسكرية في الخليج

وحصنت قاعدة عدن ضد القنابل الذرية ، وتحوى قنابل ذرية وهيدروجينية .
وتقدر الاموال التي انفقت على القاعدة بحوالي ٢٥٠ مليون جنيه استرليني .

٢ - البريقة

أو عدن الصغرى كما يسمونها ، ولتأصلها أهمية عسكرية كبيرة ، وفيها ثلاثة آلاف جندي ، وفي قلب هذه المسكرات تقع أحسن المناطق العسكرية من الناحية الاستراتيجية في الجنوب ، وتسمى منطقة بين الجبلين ، وبها فرقان من المشاة المسلحين تسليحاً خفيفاً وثقيلاً ، وكذلك صواريخ موجهة ومدافع ثقيلة .

٣ - قاعدة الفالغ

وتحتوي على مطار حربي واسع ، وأسراب من المقاتلات ولثلاثة آلاف جندي بريطاني ، بالإضافة الى ثلاثة آلاف جندي آخرين من جيش الاتحاد .

٤ - ميكراس - العوال

وتحتوي على مطار كبير مزود برادار حديث وراديو تليفون جوي مهمته مراقبة تحركات الطائرات العادية ، وفي المطار سرب من الطائرات وخمسة آلاف جندي بريطاني .

٥ - بيحان :

وفيها مطار حربي يمس سرباً من الطائرات وكتيبتين من الجنود وفرقة من جيش الاتحاد .

٦ - قاعدة الشحج

تقع في الجنوب الشرقي من منطقة عدن ، وتشرق على مياه البحر العربي والمحيط الهندي ، وتتركز فيها قوات بريطانية ويستخدم مطارها لنزول الطائرات العادية .

٧ - مطار رأس عماره

ويقع بالقرب من باب المندب على البحر الأحمر ، وله أهمية استراتيجية ، ويصلح لنزول الطائرات الصاعدة والطائرات العسكرية الخفيفة .

٨ - مطار رأس المعمران

وهو مطار صغير يستخدم لمحاربة القوات النائرة في الجنوب اليمنى المحتل ، وبه مستودعات التموين ، وهو تحت رقابة شديدة .

٩ - مطار الشفراء

ويقع بين امارتي الفضل وبالق السفلى ، وهو ممتد لقائمة الثوار .

١٠ - مطار بلخاف

مدينة بلخاف احدى مدن السلطنة القيعية ، وفيها مطار صغير يستخدم للأغراض العسكرية كما يستخدم لنزول الطائرات المدنية .

١١ - مطار قش

وهو من المطارات الضخمة في جنوب الجزيرة العربية ، ويقع في سلطنة المهرة آخر سلطات القسم الشرقي للجنوب المحتل ، ولهذا المطار أهمية استراتيجية وبه مراكز تموين الطائرات ويستخدم لأغراض دفاعية بسبب وقوعه على شاطئ بحر العرب ،

١٢ - مطار تريم

٩ - مطار الصخري :

ويقع هذا المطار في جزر النامة وبالسرب من منابع النفط التي تسيطر عليها الشركات البريطانية ولايستخدم الا في الأغراض السرية .

هذه هي فلاح الصدوان الانجلو امريكى التى تحيط بالوطن العربى شرقا وغربا . ٥٠ شمالا وجنوبا ، بعضها قائم على الارض العربية ، وبعضها على ارض غير عربية ، قدمت عنها صورة موجزة للقارئ العربى حتى يصرف حقيقة الاستعمار الجديد ، ويدرك نواياه .
وقد قلت منذ البداية ان كل هذه القلاع بكل ماتحويه من اسلحة الدمار لن تفيغنا ، واليك البيان .

ان امريكا تستخدم في حرب فياتنام الاسطول السابع الذى يتكون من ١٤٥ سفينة و ٢٧٠٠ طائرة ، كما تستخدم البوادر العسكرية في فياتنام الجنوبية وهي تضم ١٢٥ الف جندي بالإضافة الى حوالى ٦٠ الف جندي من البحرية يعملون على الاسطول السابع واكثر من ٣٠ الف جندي معظمهم من السلاح الجوى الامريكى . وقد اقلت القوات الامريكية على شعب فياتنام خلال الشقاو التسعة الاولى التى انتهت في ديسمبر ١٩٦٦ حوالى ٨٠٠ الف طن من القنابل تعادل ثمانية اضعاف التفجرات التى استخدمت في الحرب الكورية التى استمرت ٣٧ شهرا .

ولم كل هذه القوات المدمرة فشلت امريكا في الحرب الكورية وستفشل في حرب فياتنام .

ان شعوب العالم يجب ان تفق موقفا واحدا ضد القواعد العسكرية للانجلو امريكية ، ويجب ان تعظم هذه القواعد وتبطلها ، فان الجنون الاستعماري الامريكى لازال سادرا في غواتيمالا ، وقد اسعدت امريكا وبريطانيا مشروعا جديدا لاجلها ، في السويش بعنه جونسون مع ويلسون في واشنطن عام ١٩٦٦ ، واختاروا له اربع مواقع جديدة هي :

١ - جسر كوكس جنوب سومطرة وكانت مملوكة لاسرائيل .

٢ - ديجو جارسيا في اوشيل شاجوس في منتصف الطريق بين اندونيسيا و افريقيا .

٣ - جزء في جزر سيسيل الواقعة على بعد الف ميل شرقى لنيجار .

٤ - جزيرة الدبادا على بعد ٣٠٠ ميل شمالي مدغشقر وهي تقيم جسرا يمل الفراغ بين سلسلة قاعدتي الانصعال الامريكية في اسيرا باراغوايا ، والقاعدة النسالية في الفلبين الجديدة من الاولى بحوالى ٦ الاف ميل الى الشرق .

ان المخطط الاستعماري الامريكى لايف عند حد ، وقد اصبحت امريكا اليوم اكبر خطر يهدد البشرية في كافة بلاع الارض ، وقد ذكرنا باجمال حقيقة قواعد الصدوان الامريكى التى تشكل حزام الرعب ممتدا من اسبيا الى افريقيا الى اوربا الى القارة الامريكية ذاتها .

وليس هناك من سبيل الى عودة السلام الا باقتلاع هذه القواعد الارهابية التى تهدد البشر ، وتشر الرعب ، وتلعب بالاسلحة الدرية الفتاة .

العربى بعد البحرين . وتسكر القوات البريطانية في منطقة كبيرة من اراضي الشارقة * وتوجد بها كاتلب جوية جاهزة وعلى اتم الاستعداد في أية لحظة .

ولقد ذكرت الانباء مؤخرا ان حاكم الشارقة وافق على تاجر القاعدة من جديد للقوات الاستعمارية نطق ١٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلىنى سنويا على ان يدفع هذا المبلغ في بداية كل عام .

والشارقة مركز قوة « ساحل عمان » التى انشأتها السلطات البريطانية وتتالف هذه القوة من المتطوعين الاجانب بقيادة ضباط انجليز .

٥ - القواعد الاستعمارية في البحرين :

تعتبر البحرين اهم نقطة من نقط التمرکز العسكري البريطانى في منطقة الخليج العربى . وناني قواعد البحرين من حيث الاهمية في الدرجة الثانية بعد قاعدة عدن . وقد زادت اهمية هذه القواعد بعد نشوب التمرد المسلحة في عمان والجنوب اليمنى فمن طريفها تتمتع بريطانيا من الانفصالي على فصائل التوار * وتمتلك بريطانيا في البحرين اربع قواعد عسكرية بالإضافة الى الامكالية الدائمة في التوسع وانشاء قواعد اخرى غيرها عند الضرورة .

٦ - القاعدة الجوية الملكية في جزيرة المحرق :

وهي قاعدة مهمة بالنسبة لسلاح الجو البريطانى كان يستخدمها باستمرار في عملياته الحربية وفي تهيئاته في المنطقة ويبلغ تعداد الجنود البريطانيين في هذه القاعدة حوالى ٧٥٠٠ جندي وتوجد فيها ثلاث وحدات من السلاح الجوى الملكى البريطانى وعدد كبير من ثافات الجنود المدربة والتدريبات .

٧ - قاعدة القمامة

تقع هذه القاعدة في جزيرة الباقية ، كبرى جزر البحرين وهي من القواعد التى انشئت في البحرين بعد قيام الحركات التحررية في الوطن العربى وهي قاعدة خاصة بسلاح النشة والصاعقة * ويسكر فيها اكثر من خمسة مئة الف جندي بريطاني بكامل معداتهم الحربية الثقيلة كالدبابات والمدرمات والمدافع الثقيلة المتقدمة للطائرات .

٨ - القاعدة البحرية في الجبل :

تقع هذه القاعدة على ساحل قرية الجبل سابقا والتي استولت القوات البريطانية عليها باكملها لتقيم عليها هذه القاعدة * والجزء الاكبر من تكتاتها منازل تسكن فيها الضباط وعائلاتهم . وهذه القاعدة هي اقدم القواعد في البحرين وفي الخليج العربى . كما ان امريكا تستاجر جزءا منها من بريطانيا مباشرة وتستخدمها في اغراضها العسكرية الخاصة في المنطقة * كما ان بريطانيا سخرت وادوات البحرين لبناء ميناء سلمان المينى بالقرب من القاعدة وهو ميناء البحرين الرسمي تستخدمه في رسو بوارجها الحربية الفسحة واثزال معداتها فيه وترايب باستمرار في هذا الميناء ثلاث مدمرات وعدد من البوارج بالإضافة الى حاملات الطائرات والزوارق الحربية المديدة التى تجوب مياه الخليج العربى ويبلغ عدد الجنود الموجودين باستمرار حوالى ٥٠٠٠ جندي بريطاني و ٣٠٠٠ جندي امريكى .

المخابرات المركزية الأمريكية

اللواء كمال عبد الحميد

هذه الأجزاء التي تعمل في إطار كثيف من

أجهزة المخابرات الأمريكية :

تضم أجهزة المخابرات الأمريكية مجموعة من
التنظيمات المتخصصة في ميادينها الفنية
وتشمل :

- (أ) وكالة الأمن القومي .
 - (ب) وكالة المخابرات لوزارة الدفاع .
 - (ج) إدارة الأبحاث بوزارة الخارجية .
 - (د) مخابرات القيادة أو رئاسة أركان حرب
القوات المشتركة .
 - (هـ) مخابرات الجيش .
 - (و) مخابرات البحرية .
 - (ز) مخابرات الطيران .
 - (ح) إدارة المباحث والتعقيقات الاتحادية
(الفيدرالية) .
 - (ط) وكالة المخابرات للجنة الطاقة الذرية .
 - (ي) وكالة المخابرات المركزية .
- وتشكل جملة هذه الأجهزة هيئة عليا

كثير الحديث في السنوات الأخيرة عن نشاط
المخابرات المركزية الأمريكية وتدخلها العنصر
والمستور في كثير من الشؤون الدولية .. حتى
أصبح الشك يحوم حولها كلما حدث أى تغيير
بارز على المسرح السياسى الدولى .. وسواء
أكان لها حقا دور مباشر أو غير مباشر في تبديل
الأوضاع في كثير من الميادين أم لم يكن ، فلا
شك أنها أصبحت بالفعل مثار تكهن وتخمين
واتهام .. حتى أن كثيرا من الأمريكيين أنفسهم
عجزوا عن تبرير تصرف حكومتهم في كثير من
الأمور بسبب تدخل أو توجيه مخابراتهم
المركزية للحكومة في كافة شئون الدولة .

ولقد نشر اثنان من الصحفيين الأمريكيين
كتسابا عن أجهزة المخابرات الأمريكية سمياء
« الحكومة الخفية » شرحا فيه نظام عمل هذا
الجهاز الرهيب بما يحتويه من تنظيمات وقدرات
ضخمة لها أثرها على رئيس الجمهورية الأمريكية
وكل وزرائه وكل المسؤولين في حكومته ..
ولا بأس من الإشارة العابرة الى تنظيم مجموعة

ولقد قام « هيلمز » المدير الحالي للمخابرات المركزية بتدعيم جهازه بعناصر مثقفة من الشباب، وفي نفس الوقت منح قدامى العاملين بالجهاز فرصة لتطوير معلوماتهم وتجديد علاقاتهم باصدقائهم من العملاء في مختلف أنحاء العالم. • ففتحهم إجازات طويلة للسياحة والدراسة والاستطلاع وحضور المؤتمرات والمهرجانات الدولية في مختلف ميادين النشاط الاجتماعي والفكري والفني، لتوثيق الروابط بين رئاسة جهاز المخابرات وميادين الحياة المختلفة بكل أرجاء العالم، عن طريق النقابات واتحادات الطلبة واتحاد الكنائس والجمعيات الحيرية والكشافة والندية الرياضية والاجتماعية والوكالات الصحفية والسينمائية ومؤسسات الاعلان والاعلام والمهرجانات الفنية المختلفة • وما يذكر أن دين راسك وزير الخارجية الحالي سبق أن عمل بالمخابرات أثناء الحرب العالمية الثانية •

التفغل الصهيوني في المخابرات :

وهناك كثير من المسؤولين الأمريكيين سلكوا نفس الطريق بانضمامهم بالولايات الفكرى والعاطفي للمخابرات المركزية أمثال آرثر جولدبرج الذى يمثل وجه امريكا القبيح فى المحفل الدولى للأمم المتحدة •• فقد كان وزيرا للعمل •• وكان قبل ذلك فى « ادارة المخابرات والخدمات الاستراتيجية »، وهى الادارة التى كانت تقوم أثناء الحرب العالمية الثانية بالواجبات التى تقوم بها الآن وكالة المخابرات المركزية ، اذ من المعروف أن هذه الوكالة انشئت عام ١٩٤٧، أى بعد نهاية الحرب العالمية •• بستانين ، وكان أنشأها فى عهد الرئيس «ترومان» الذى كان خاضعا تماما للصهيونية العالمية ، التى استطاعت أن تصل اليه ، وتؤثر فيه بما أغدقته عليه ماديا ، وبما أحاطت ابتنته «مجرى» من دعاية ضخمة مصطنعة كمشورة مشهورة بالرغم أنها لم تكن شيئا قبل تولي والدها رئاسة الولايات المتحدة، ولم تعد شيئا بعد أن ترك الرئاسة •• فقد لعبت الصهيونية الدولية دورا كبيرا فى عهد ترومان سواء فى الاعتراف بإسرائيل ومساعدتها •• أو فى اغفاء كل التبرعات الأمريكية الموجهة الى إسرائيل

للمخابرات العامة يرأسها مدير المخابرات المركزية وتقوم بتصفية وتنقية •• وتبويب •• وتصنيف كل المعلومات المستقاة من مختلف مصادرها لتخطط على ضوءها الرأى الذى تقدمه كل صعيح الى رئيس الولايات المتحدة •• ووزير خارجيته •• ووزير الدفاع !

وتعقد الاجتماعات الدورية فى الظروف العادية بين كل هذه الاجهزة مرة كل أسبوع لاعداد التقارير الدورية عن الموقف الدولى وتوضع على أسسها كل التخطيطات السياسية، الاقتصادية، والعسكرية •• وقد يحدث أن يستلزم الامر عقد الاجتماعات يوميا وأحيانا أكثر من مرة كما حدث أثناء العدوان الثلاثي الأخير على الدول العربية فى يونيه ١٩٦٧ ، وعلى مصر عام ١٩٥٦ ، وكما حدث أيضا فى أزمة البحر الكاريبي وموضوع نزاع القواعد الصاروحيه الروسيه من كوبا عام ١٩٦٢ •

المخابرات المركزية

فيقول حاليا رئاسه المخابرات المركزية الامريكيه رتشارد هيلمز الذى بدأ عمله فى هذا المنصب فى ٣٠ يونيه عام ١٩٦١ خلف للادميرال ويليام رابورن الذى كان رئيسا لهذا الجهاز من ٢٨ ابريل سنة ١٩٦٥ الى أن تقاعد عن ٦١ عاما ليعين بشركة تقوم بصناعة الصواريخ عابرة الفضاء •

ولقد اختار رئيس الولايات المتحدة الرئيس الجديد للمخابرات المركزية نظرا لسابق خدمته فى هذا الجهاز ران كان عمره لم يتجاوز ٥٥ عاما • وقد تعهد جونسون بتدعيم هذا الجهاز ماديا وفنيا ليتمكن من حرية العمل فى المجالات الجديدة التى تفتحت أمام نشاط المخابرات المركزية وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط •• وأفريقيا •• وأمريكا اللاتينية •• ولقد رأينا منذ قرب مظهرها لنشاط هذا الجهاز فى العدوان الثلاثي الأخير على مصر وسوريا والأردن ، وكيف تم وضع الحطة العدوانية فى الاجتماع الذى عقده الرئيس الأمريكى مع رئيس أركان حرب القوات الأمريكية ورئيس المخابرات المركزية قبل العدوان بأيام قليلة •• ثم انكسفت دور « ليرتري » التى كانت تتلقى أوامرها مباشرة من ادارة المخابرات ••

القومي .. كتدبير انقلابات معينة وإثارة خطط معينة الخ .

وهي في سبيل ذلك تبذل كل إمكانياتها للحصول على المعلومات اللازمة بمختلف الوسائل منها كلفها ذلك من جهد أو انفاق وقد تحتاج في سبيل ذلك إلى الاستعانة بجواسيس مدربين ذوي كفاءات عالية وقد يكون من بين هؤلاء الجواسيس فئات من الدبلوماسيين ورجال الدين والفنيين المحترفات والصنوص والطلبة ، ورجال الفكر والفن ، وملسكات الجمال ، وبائعات الهوى والوزراء ..

وتهتم المخابرات المركزية بهذا اللون من العمل لارتباط نتائجه بمستقبل الأمن القومي الأمريكي وعلى الأخص بعد زيادة الصراع العنيف في سباق الفضاء مع الاتحاد السوفيتي وفي مجال التسلم النووي .. ويتم تدريب من سيوكل البهم أمر التجسس والحصول على المعلومات اللازمة في هذا المجال تدرسا خاصا بعد اختصارهم وفقا للمهام والقدرات اللازمة والملائمة لطبيعة المهمة التي توكّل لكل منهم .. وهناك فئة تختار اختصارا خاصا من العلماء والفنيين والاختصاصيين والإداريين ، وقد يكون من بينهم من يعمل في المجالات المالية والاقتصادية

والنفسية لارتباط هذه التخصصات كلها بنظام المعلومات المطلوبة وحجما ونوعيا . ومن أجل ذلك .. عمدت الولايات المتحدة إلى تقطيع أجهزة الدبلوماسية في كل سفاراتها بأعداد ضخمة من موظفي وكالة المخابرات المركزية ، وهم جميعا على درجات عالية من الكفاءة والتخصص في عدة وأحيان تمتد من الأعمال الكتابية في الأرشيف .. إلى الاختيار إلى حاشية الشقة والمذاقة .. إلى الملاحقة والسك تارتن والاستخبارات .. وهذه جميعا توظف مباشرة في رئاسة المخابرات في حينها بالقرب من واشنطن .. وهم مع ذلك متطوعون في خدمة المصلحة العامة التي يعملون فيها ارتباطا وظيفيا وتقليديا .

وقد يصار عدد هؤلاء المندوبين « أعضاء عدد هيئة السفارة التي يعملون فيها .. ولقد قامت فكرة تقطيع العشرات الدبلوماسية الأمريكية بمندوبين لوكالة المخابرات المركزية

من الضرائب أو في اختيار العناصر « المتجاوبة » من الأمريكيين للعمل في أجهزة وكالة المخابرات المركزية ، بل وامتد تأثير الصهيونية إلى وضع أسلوب التنظيم والعمل داخل هذه الوكالة .. وكانت أول ثمرة دولية لنشاط هذا الجهاز هي الاعتراف بإسرائيل وتوجيه السياسة الأمريكية في اتجاه فرض الوجود الصهيوني في قلب الوطن العربي ليكون نافذة للاستعمار الغربي على مناطق المصالح الاستراتيجية لأمريكا بصفة خاصة وكان من بين التوصيات أو التوجيهات التي قدمتها وكالة المخابرات المركزية في هذا الشأن :

« أن وجود إسرائيل في الشرق الأوسط سيفتح مجالا جديدا للنشاط الأمريكي بصورة مباشرة في المنطقة ، وخاصة بعد تقلص النفوذ البريطاني كأمير طبيعي .. وهذا سيؤدي في تدعيم مركز الاستثمارات الأمريكية بمناطق البترول وفي إيران وتركيا وهي المناطق التي تعتبر خطا وقائيا يمكنه أن يتصدى لأي نشاط شيوعي في اتجاه المياه الدافئة .. ومناطق البترول .. وإفريقيا » .

وتعتبر وكالة المخابرات المركزية مسئولة مباشرة عن خمسة واجبات رئيسية :

١ - تقديم المشورة والنصيحة بصفة دائمة ومستمرة لمجلس الأمن القومي .. وبالتالي لرئيس الجمهورية في كل ما يمس أمن الدولة « خارج حدودها » إذ أن مسئولية الأمن في داخل حدود الدولة أو في ممتلكاتها التابعة لها خارج الحدود تقع على عاتق إدارة المباحث والتحقيقات الاتحادية .

٢ - تقديم كل المعلومات اللازمة في صورتها النهائية الكاملة لكافة أجهزة الدولة كل فيما يخصها بعد مراجعة هذه المعلومات والتأكد منها .

٣ - القيام بأي واجبات أو « خدمات » معينة .. لأهداف معينة لخدمة باقي أجهزة المخابرات كما حدث بالنسبة لمهمة سفينة التجسس « ليبيري » :

٤ - تنسيق العمل بين كل أجهزة المخابرات في الدولة .. باعتبارها هذه الوكالة هي قمة التنظيم السري الذي يحويها جميعا .

٥ - القيام بأي عمل يوصي به مجلس الأمن

لهذا الطرد بعد ان سبقهم طرد خمسة آخرين
فى المدة من عام ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ وكانوا من
درجة ملحق وسكرتير ثان وسكرتير اول .

مجالات النشاط العام

ان اهم الموضوعات التى تسمى اليها
المخابرات المركزية بصفة عامة .

● معرفة مدى الاستقرار السياسى ومدى
قوة التماسك فى الجبهة الداخلية للدول المطلوب
العمل فيها .

● معرفة قوة المركز الاقتصادى سواء من
حيث ضخامة ونوعية الانتاج ومستوى الاتقان
فيه ، وحجم الاستهلاك والادخار وكثافة
التضخم المالى ان كان موجودا .

● الحالة النفسية للفئات المختلفة التى يمكن
قياسها ومتابعة تأثير الاشاعات وتسجيل نوعية
الفكاهات والنوادر والتعليقات والرسوم
الكاريكاتورية والروايات التى يتناقلها الناس ،
وطبيعة الروايات التى تعرض على الشعب فى
السينما أو التليفزيون ، ومدى اهتمام الشعب
بها ، وكذلك بالنسبة للأغاني والندوات . .
وطريقة تصرف الأفراد والموظفين وخاصة فى
المراكز القيادية ومدى اهتمام العمال بالانتاج
ونشاط النقابات والتنظيمات السياسية ،
وقياس درجة الحساسية بين الفئات والتشكيلات
المختلفة ومتابعة مدى الانتظام فى الحضور
للندوات السياسية واتحادات الطلبة والغرف
التجارية الخ .

● تحليل الأخبار الصحفية وقياس مدى
الجدية فيها والسطحية الفضلة التى تستهوى
رجل الشارع .

● الاهتمام بالمحلات العامة التى ترتادها
النساء كصالونات الحلاقة ومحلات الأزياء
والمزادات لاطلاق أى اشاعة ومتابعة تجسيمها
ودورانها . .

● مدى الارتباط بين أجهزة الأمن المختلفة
بالدولة وباقى القطاعات .

● دراسة المداخل النفسية والاجتماعية
للطوائف المتقاربة الاختصاص وخاصة فى
القطاع المهنى . .

والمفروض أن كل المعلومات التى تحصل
عليها الأجهزة المختلفة بوسائلها المختلفة يتم

بناء على قرار للكونجرس الأمريكى سنة ١٩٥٢
وبسبب نشاط الأصابع الصهيونية الخفية فى
البرلمان الأمريكى . وكان الهدف يرمى الى
ارسال ضباط مخابرات سياسية يلحقون
بالأجهزة الدبلوماسية ويعملون رأسا تحت
ادارة السفير الأمريكى فى كل سفارة . . كما
يحق لهم فى بعض الحالات الاتصال المباشر
برئاستهم بناء على تعليمات خاصة وفى ظروف
معينة . ولقد زادت قوة وخطورة هؤلاء المندوبين
فى عهد رئاسة إيزنهاور وبدأ تسلمهم الى
السفارات تحت اسم « ملحقين للعلوم » .

وقد يكلف السفراء انفسهم بواجبات خاصة
لحساب المخابرات مباشرة ، كما حدث عام ١٩٥٣
فى طهران ، عندما كان السفير الأمريكى دلوى
هندرسون ، يدبر الأمر فى طهران لحلج المرحوم
الدكتور محمد مصدق . . كما حدث عام ١٩٥٦
فى وارسو اذ كان السفير الأمريكى متصلا مباشرة
بووكالة المخابرات المركزية لتخطيط العمل
وتدبير ثورة محلية فى بولنده . . وأيضا حدث
الأمر نفسه عام ١٩٦٠ مع السفير الأمريكى جون
كابوت فى البرازيل اذ ضبط هناك متلبسا
بالتجسس وتم اكتشاف أمره . .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تؤكد اتباع نفس
الاسلوب ، كما حدث فى اندونيسيا وغانا
والكونغو والمجر ونيجيريا . . فى أندونيسيا
حاول السفير الأمريكى « هوج كامينج » بين
عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ تدبير مؤامرات للانقلاب
ضد سوكارنو . . وحاول السفير الذى خلفه
واسمه « جون مور اليسون » ممارسة نفس
النشاط . . وبدأت الاسلوب اذ استدعى من
أندونيسيا عام ١٩٥٨ بعد اكتشاف أمر تدخله
فى شئون الحكومة المحلية فى سومطرة !!

وكذلك كان الحال مع السفير الأمريكى فى
المكسيك . . والكونغو عندما حاول « كلار
هايز تميرليك » العمل ضد لومومبا .

وهناك أمثلة متعددة نقلتها وكالات الأنباء
العالمية بعد افetzاح رجال السلك السياسى
الامريكى فى كثير من الدول فقد طرد خمسة من
موسكو عام ١٩٦٣ منهم سكرتير ثان ، ومساعد
ملحق جوى ، واثنان من الملحقين ، وكاتب ارشيف
وكانت هذه هي المجموعة الثانية التى تعرضت

الحرب من أندر السلع الاستراتيجية العالمية
وبسبب شدة طلب أمريكا له تكيّفت سياستها
في أفريقيا بصفة خاصة وفي أمريكا اللاتينية ،
حتى أن الانقلابات التي حدثت في غرب أفريقيا
وتطوير أساليب العمل مع المكسيك وشيلي
وسلفادور وبناما وفنزويلا تأثرت فعلا بسبب
مضاعفات الحرب الفيتنامية والتي أفادت منها
احتكارات النصلب والنحاس والألومنيوم .
وقد نصح المستثمرون الاقتصاديون للرئيس
الأمريكي أن يشترك بأمواله في استثمارات
هذه الاحتكارات وهؤلاء المستثمرون جميعا من
الصهيونيين وترتب على ذلك مضاعفة ثروة
الرئيس الأمريكي إلى ما يزيد على ثلاثين مليون
دولار في هذه الاستثمارات التي بلغت أرباحها
أكثر من خمس وأربعين ألف مليون دولار .

ولقد تكررت مظاهر فشل تقديرات المخابرات
المركزية الأمريكية بخلاف ما أوضحناه في
ميدان كوريا .. وفيتنام .. وفي الشرق
الوسط عندما حاولت السياسة الأمريكية عام
١٩٥٧ فرض مشروع أيزنهاور . وواد ثورة
اليمين ، واستغلال ثورة لبنان عام ١٩٥٨ بعد
انقلاب ١٤ مايو في العراق .. كما ظهر فشلها
في المأزق التي حاولت تدبرها ضد سوريا
عام ١٩٥٧ بحشد القوات التركية وبعض
الأسلحة المعانة من قوات حلف شمال الاطلسي
في الاناضول .. وكذا فشلها في محاولاتها
المكررة لتفتيت القومية العربية وتجميد الحركة
التقدمية في مصر وبعض البلاد العربية الأخرى
.. كما فشلت في تخطيط جداول الحركة
لنشاط طائرات التجسس الأمريكية من طراز
« ي ٢ » التي اسقطت روسيا أحدها في
١٩٦٠/٥/١ واكتشفت فرنسا حقيقة هذه
الطائرات وهي تتجسس عليها ، مما أثار عقدة
الشك في فرنسا ضد أمريكا ، ولقد رأينا كيف
فرضت فرنسا على أمريكا إخلاء قواعدها وقواعد
حلف شمال الاطلسي في فرنسا اعتبارا من
يولية عام ١٩٦٦ ، وكيف فرضت فرنسا
إرادتها على سحب الذهب من أمريكا مقابل
استهلاك ما كان لديها من أرصدة الدولارات
حتى أصبح موقف الذهب في أمريكا خطيرا ،
وبات يهدد مركز الدولار الاقتصادي .

مراجعتها وتحليلها ومقارنتها بالمعلومات المستقاة
عن طريق الموظفين الرسميين الذين يعملون
علانية في السفارات كالمستشارين الاقتصاديين
والمحققين العسكريين والعاملين والزراعيين
والثقافيين فهؤلاء يرسلون تقاريرهم التقليدية
إلى رئاستهم الفنية المباشرة على ضوء اتصالاتهم
.. ومعلوماتهم .. ثم تنتهي هذه التقارير
إلى المخابرات المركزية حيث تتجمع فيها كل
مصادر المعلومات الواردة من مختلف الجهات
ثم تدرس في صورتها النهائية لتوضع في هيئة
تقدير للموقف يرفع لرئيس الولايات المتحدة
ووزير خارجيته ووزير الدفاع .

ويخصص لكل دولة سجل تجمع فيه كل
ما يرد عنها من معلومات .. ويبلغ حجم هذا
السجل الخاص بأي دولة عشرة أحجام دائرة
المعارف البريطانية في المتوسط . وقد يزيد في
ضخامته بمقدار احتمال الولايات المتحدة بهذه
الدولة .

ويحدث كثيرا أن تخطئ هذه الأجهزة سواء
في طرق استقاء المعلومات ، أما بسبب عدم
الدقة في اختيار مصادر المعلومات أو عدم
التوفيق في اتباع الطريق الصحيح في متابعة
الاحداث . وقد يتصادف أن يكون لبعض
المحللين مصلحة خاصة في الكونجول المطروح
دراسته أمامهم .. كما حدث في مشكلة
جواتيمالا عندما سقطت حكومة أربنز سنة
١٩٥٤ أو كما حدث في تقدير الموقف بالنسبة
لكوريا عام ١٩٥٠ إذ كانت هناك مصالح
اقتصادية شخصية لبعض الشخصيات الكبرى
في شركات الاستثمار وتجارة الموز وشركات
التسليح تأثر بها الذين نصحوا بالعدل العنيف
في تلك الظروف .. وكذلك بالنسبة للموقف
في ابريل سنة ١٩٦١ بخصوص مشكلة غزو
كوبا وما ترتب عليه من فشل الحملة التي قضى
عليها في « خليج الخنازير » إذ كانت هذه
المحاولة أعنف ضربة تلقاها « جون كيندي » من
وكالة المخابرات المركزية .

وكذلك كان الحال في عهد جونسون بالنسبة
لتقديرات الموقف في فيتنام التي كانت خطة
التورط فيها لصالح الرأسمالية المنتجة للصليب
والأسلحة والنحاس الذي أصبح بسبب هذه

مجلس الأمن القومي

ويرتبط جهاز « مجلس الأمن القومي » ، وهو مسئول عن تحديد خطوط سياسة الدولة في كل الميادين ، باعتبار هذا الجهاز يمثل أعلى جهاز لتخطيط السياسة الخارجية ، اوثق الارتباط بالمخابرات ، الا انه يضم اخصائين من رجال الحكومة ويتكون من :

نائب رئيس الجمهورية ، وزير الخارجية ، وزير الدفاع ، رئيس المجلس الاقتصادي ، مدير الاستعلامات ، مدير الخريضة ، رئيس لجنة الطاقة الذرية ، رؤساء اركان حرب القوات المسلحة ، مدير المخابرات المركزية ، النائب العام .

ومعروف أن الغرض من وجود هذا المجلس هو مراجعة كل التقارير وتقديرات الموقف على ضوء المصالح القومية الامريكية لاصدار توصياتها النهائية التي تنتهجها الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى .

ولقد كان حادث بيرل هاربور سنة ١٩٤١ أكبر مفاجأة صادفتها الولايات المتحدة في تاريخها مما دعاها الى العمل الوقائي المستمر لتفادي التعرض لمثل هذه المفاجأة ، فهي تتفق بلائق الدولارات على كل الاجهزة المتعددة سواء في الأمن القومي أو المخابرات ، وتتفق بجنون من أجل الامم بكل ما يحدث في العالم، حتى لو كان لا يهدمها مباشرة ، وتبعث وكالة المخابرات بعناصر تعمل في شركات الاستثمارات الخارجية ، في الوكالات الصحفية ، وفي الوفود السياحية التي ترسلها ، ولها ممثلون في شركات « ارامكو » بالسعودية ، و « كالتكس » في سومطره و « فايرستون » في ليبيريا ، و « جودير » في اندونيسيا .

ويمتد نشاط عملاء هذه الأجهزة الى حد القيام بعمليات التهريب وتزيف النقود ، وارسال الاقمار الصناعية لرصد الانفجارات الذرية والتحركات العسكرية والانشاءات ، وخاصة في المناطق المتاخمة للصين وروسيا في صحارى سنكتانج وباوتو في منغوليا ، وفي ازربيجان والقطب الشمالي .

كل هذا يوضح صورة من أبعاد النشاط الاستخباري الامريكي الذي يكلف الشعب الامريكي عشرات الآلاف من بلايين الدولارات من أجل أن تظهر أمريكا للعالم كله . . . بوجهها القبيح .

كل هذا بسبب محاولة أمريكا استمرار تجسسها على المدينة الذرية الفرنسية ، بالرغم من أن فرنسا كانت وقتئذ كبرى حليقات أمريكا في أوروبا . . . فكان من جراء هذه المحاولة الفاشلة أن أعلن ديجول فلسفته الأوروبية بتحرير أوروبا من كل أثر للسيطرة الامريكية .

الا أن كل هذا لم يمنع من تسلسل عناصر كثيرة مفرضة قذفت بها هيئات معينة كالصهيونية العالمية في بعض الشركات الدولية ، وعلى الاخص شركات البترول وصناعة الطائرات والسيارات وشركة « بل » للتليفونات ، حتى يتيسر لهذه العناصر الصهيونية التجسس على كل الاسرار في كافة المجالات السياسية والاقتصادية ، فتظل لهم اليد العليا والسلطة الفعلية في كل هذه المجالات على المستوى الدولي !

وتتشكل الهيئة العليا للمخابرات من عناصر حكومية وعناصر غير حكومية لها وزنها الكبير في تخطيط أمن واقتصاد الدولة .

وتوجد بجانب هذه الهيئة العليا . . . لجنة استشارية بدأت في انشائها عام ١٩٥٦ تحت اسم « لجنة كيليان » .

وتبلغ نسبة المثقفين بثقافة عالية متخصصة في المخابرات المركزية أكثر من ٢٠٪ ، كما أن أكثر من ٦٠٪ يشكلون جملة العاملين في مجالات تصنيف المعلومات وتحليلها ، ممن سبق لهم العمل والمعيشة بالمناطق التي يستقرون المعلومات عنها .

وقد يحتاج الامر لعلاج مشكلة معينة مرتبطة بالأمن القومي الامريكي الى ضرورة تدبير انقلاب أو حرب أهلية أو حرب محلية كما حدث في الدومنيكان . . . وبالرغم من أن مسئولية شن الحرب أو الاشتراك فيها تقع على كاهل وزارة الدفاع فان المسئولية السياسية جاثمة على رأس المخابرات المركزية . . . باعتبارها المسئولة أصلا عن خدمة المصالح الامريكية ، حتى لو أدى ذلك الى القيام بعمل منفرد في الظاهر أو الى اثمارة الانتقاد وتوجيه اللوم لها من الصحافة الامريكية ، ومن الرأي العام كما حدث بالنسبة لتمويل المخابرات لاتحادات الطلبة واتحاد الكنائس والنقابات العمالية .

حرب المخابرات الأمريكية

في الفيلام والكتاب

صبرى حافظ

دعا التقرير الذى قدم الى لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى تحت عنوان (الأيديولوجية والسياسة الخارجية) الى «اتخاذ الاجراءات الضرورية على المستوى الايديولوجى لتحطيم الافكار الاشرناكية ودحرها داخل الدول الاشرناكية من الداخل . وذلك عن طريق توسيع الصلات » مع المواطنين فى الدول التى تأخذ بالنظم الاشرناكية ، بهدف التأثير على معتقداتهم واستخدامهم كقنصوات داخلية لتمرير عمليات التدمير الايديولوجى » . هذا هو ما دعا اليه التقرير . فكيف تم « توسيع الصلات » مع مواطنينا ؟ وكيف نفذ التحطيم الايديولوجى بالنسبة لنظامنا الاشتراكي ؟

من البداية سنركز دراستنا على الأساليب العلنية دون التعرض للأساليب السرية القنرة التى اتبعتها المخابرات الأمريكية لتمويل وتجهيز المؤامرات والخطط الرجعية الرامية الى اسقاط نظامنا الاشتراكي . بل سننصر دراستنا فقط على مجالى الفيلم والكتاب لنرى كيف استطاعت المخابرات الأمريكية أن تنفذ غيورها سموها فى ذهن المتفرج أو القارىء المصرى . وكيف استطاعت ، باغراقها السوق المصرية بالأفلام التى تعمد نعت الحياة الأمريكية وبالكتب التى تقوم بنفس الهدف ، أن تنسرب ببراعة الى تحقيق أهدافها . ولنبين بالفيلم الأمريكى الذى قررت وزارة الثقافة منع عرضه فى دور السينما عندنا .

ندرس هذه الظاهرة من خلال التركيز على أفلام جيمس بوند الثلاثة . التى أغرقت وجه القاهرة لفترة طويلة ، وحظيت فيها للأسف « بنجاح ساحق » وأقبال « منقطع النظير » تأكد من خلال عرض أحدها أربع مرات فى احدى دور عرض الدرجة الاولى ، واستمر فى كل مرة عدة أسابيع .

وأفلام الجاسوسية الأمريكية وأبرزها سلسلة أفلام جيمس بوند ، ليست سوى حلقة فى تلك السلسلة الفيلمية الطويلة التى اهتمت بعض حلقاتها ، وملها جمهور هذا القرن القلق المتطلع دوما الى التغيير . وقد كانت بداية غزو هذه السلسلة الطويلة من الافلام للعالم متوازية مع بداية ظهور وجه أمريكا القبيح ، والذى أطلت بدايات ملامحه الكثيرة بعد الحرب العالمية الثانية التى اسفرت بعدها المطامع الاستعمارية الأمريكية بالتصريح عن

جاء القرار الذى أصدرته وزارة الثقافة بمنع عرض أفلام جيمس بوند وأفلام الجاسوسية الأمريكية متوافقا مع ضرورات المعركة الضارية التى يخوضها شعبنا ضد الاستعمار الأمريكى وصنيعته إسرائيل . ومساهما فى تأمين الجبهة الداخلية التى تريد شتى أساليب الثقافة الاستعمارية تخريبها وتعمل على اضعافها .

وقد يبدو للوهلة الاولى أن فى هذا القرار شيئا من التعسف ، فكثيرون يعتقدون أن هذه الافلام الأمريكية المكتظة بالمغامرات الحارقة ليست سوى افلام خفيفة الدم مسلية . لذلك كان لابد من وقفة متأنية تدرس هذه الافلام التى تصدرها هوليوود الى العالم ، ضمن مخطط المخابرات الأمريكية لتوجيه كافة النشاطات الثقافية والسيطرة عليها ، حتى تروج للفكر الاستعماري وتؤكد سيطرة الرجل الأبيض وتغنى بمزايا الاقتصاد الحر . وسوق

٠٠ فهو تارة هذا الرجل الابيض المتفوق الذى يروض وحشية الهنود الحمر ويكسر شوكتهم ٠٠ وهو تارة اخرى ذلك البناء العظيم الذى أحال برارى تكساس وقفار نيفادا الى قطع أرضية من فردوس السماء الموعود ٠ وهو مرة ثالثة هذا الطرزان الظريف الذى مسخر كل حيوانات الغابة لخدمته ، وصرع الاسود « العجوز الهتماء » وحده - وهزم فيالق الزنوج « المتوحشين » دونما مساعدة ٠ فرفرف آمنه الذهبى فوق كل بعشات الاستكشاف والتبشير الغربية ٠٠ وهو فى هذه الايام جيمس بوند ٠٠ فمن هو ياترى هذا الجيمس بوند ؟

هو للوهلة الاولى ذلك الممثل المشسوق الوسيم شون كورنى ، الذى أصبح حسب ما تقول الاحصائيات الاخيرة معبود النساء فى هذه الايام وصاحب أعلى الاصوات فى شباك التذاكر ٠٠ وهو لم يحتل هذه المكانة الا بعد بطولته لسلسلة أفلام جيمس بوند التى شاعرت منها القاهرة ثلاثة أفلام « دكتور لا » أو الرجل الشيطان كما أقرت التسمية العربية أن تدعى « و » « جولدفينجر » أو « وكر الشيطان » و « الصاعقة » أو « صاعقة الشيطان » أيضا ، واقطعة أن الترجمة العربية لعناوين هذه الافلام الثلاثة قد أضافت من عندها « الشيطان » الى كل العناوين ٠ لأن جيمس بوند يلوح لها فيها وكأنه الصورة المصرية للشيطان ٠٠ بقدراته السحرية الحارقة ومبازله ومغامراته ٠٠ وأيضاً للنموذج النمطى الذى تقدمه هذه الافلام ٠٠ فهو يبدو وكأنه الشيطان فعلاً وقد ارتدى الثياب المصرية ٠٠ بل ان مغامراته الحارقة لتزرى بكل الحكايات الخيالية التى نسجت حول الشيطان وحول قدراته فى اجتراح المعجزات وحالة الرغبات الى حقائق بمجرد إرادة من أصبعه ٠

فتلك الافلام تقدم عبر « جيمس بوند » العميل رقم ٠٠٧ نمطاً للانسان العصرى الذى تفتح له المخابرات الامريكية كل الابواب الموصدة ٠ وتكفل وسامته وحدها باقتحام بقية الابواب الاخرى ٠٠ وهو رجل عملى وعلمى معاً ٠٠ يتلافى عيوب المغامرات اللاعلمية

وجيها المديم ، وعن رغبتها فى أن تستأنف بأسواقها الخاصة بالحلل محل الاستعمار القديم المنهار ٠٠ منذ تلك اللحظة بدأت هوليوود فى تصوير سلسلة طويلة من الافلام تمهد فى معظمها لهذا الغزو أو تؤكد مشروعيته ٠٠ مستغلة فى ذلك كل ما يثير عواطف الجماهير ٠٠ من غرائز أو قيم أو معتقدات شعبية أو حكايات تاريخية أو اسطورية ٠

وقد أطل وجه الاستعمار القبيح فى هذه الافلام منذ سلسلة أفلام طرزان التى انتشرت مع أوائل الخمسينيات لتقدم الحلقة الاولى فى تلك السلسلة الطويلة المتغيرة الحلقات ٠ تكن للتفرج سرعان ما سئم أفلام طرزان تلك برجلها الابيض المتفطرس الذى يسيطر بطريقة اسطورية على كل حيوانات الغابة ويهزم وحده شعوبها ٠٠ وأحس بلا معقولة تلك المغامرات الحارقة التى قام بها بديله سورمان فىلما ٠٠ وما ليت ان نفر من سلسلة أفلام الرعب الدائرة حول دراكيولا وفرنكشتاين ٠٠ ومن سلسلة تلك الغزوات الخيالية التى لا يؤدها أى سند علمى للكواكب المختلفة والنساء تستعائنها تولها فى وسامة الرجل الابيض ونفخة دمه ٠٠ وسرعان ما استهلكت السينما بعد ذلك هذا المعين الحصب الذى وضعت يديها عليه فى الاساطير والقصص القديمة - اليونانية والفروغونية والدينية - بعد أن ابتذلت أغلبها ودست فى طواياه أفكارها الخبيثة ٠ فما عاد انسان هذا القرن بحاجة الى قوة حرقل الجسدية اللامعقولة ، لانه يعرف ان رصاصه لا يزيد طولها على خمسة سنتيمترات ولا يربو ثمنها على خمسة قروش تستطيع القضاء عليه فى لحظة ٠

امام هذا الجمهور الملول دائماً ، لا تحتسار هوليوود أبداً ، لانها قادرة بقواها وامكانياتها الاسطورية على أن تشبع كافة أهوائه ٠٠ صدرت له ملاهى العالم ، وقدمت له ادق نقاصيل الجسد النسائى ٠٠ وأشبعت كل غرائزه ٠٠ بدءاً من حب الاستطلاع المشرع حتى أبعد الشهوات الدينية المخبوة ٠ وقدمت له أنماطاً متعددة للرجل الاثير لى الاحتكاكات الامريكية المسيطرة على كل ما يدور فى هوليوود

يخلصوا لها • فهي وحدها القادرة على أن تمنحهم كل هذه المزايا الفردوسية • التسلسل والتفوق وطواير الحسان •

ولا تكتفى تلك السلسلة من الافلام بذلك بل تدافع بأصوات زاقعة عن الرأسمالية وعن التسلسل الذرى ، وعن الحروب وعن تسخير العلم فى خدمة الشر وحده وبصورة تدعو الى ابهار المتفرج والاستحواذ على كل اعجابه • • وتسخر - على الماشى - من الاشتراكية ومن التعايش السلمى ومن التضال من أجل السلام • • وتسخر من الزنوج مؤكدة عبر الأحداث المتعاقبة فى الافلام الثلاثة أنهم أقل من الرجل الابيض فى كل شيء ، وأنهم لا يصلحون لغير الاعمال اليدوية وحدها • • كما تحاول هذه الافلام بصورة رئيسية ، سواء خلال سلسلة أفلام جيمس بوند ، أو خلال تلك السلسلة الأخرى التى يقوم ببطلتها الممثل الأمريكى كين كلارك فى دور عميل بارز للمخابرات الأمريكية ، تفوق أمريكا من الناحية العسكرية وقدراتها المتزايدة على التغلب على جميع أعدائها • • وتصور فى الآن نفسه بل وتسخر من قوة العسكرية الأمريكية والعلمية •

ففى « دكتور لا » نرى كيف يلحق الدمار بكل من يعرقل برامج التسلسل الأمريكى دون أن يفوتنا استعراض أدق تفاصيل جسمه أرسولا أندروس الاسطورية التى تظهر طوال الفيلم شبه عارية • • فهذه التوابل الجنسية تساعد المتفرج على ابتلاع الجرعة الفكرية المشحونة بالسموم والتى يهدف الفيلم الى تسريبها الى عقول المتفرجين • • فالفيلم يؤكد من البداية أن براعة عالم الذرة الصينى الدكتور « لا » الذى يستخدم كل مهاراته العلمية فى عرقلة برامج التسلسل الذرى والتجارب الصاروخية الأمريكية لا تستطيع أن تصمد لبراعة عميل المخابرات الأمريكية الماهر رقم ٧ • جيمس بوند • • ومن خلال هذا الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله أحداث الفيلم تظهر عبر الجزئيات الصغيرة ، ملامح الجرعة الفكرية السامة التى يقدمها • • فالعالم الصينى الدكتور « لا » مقدم فى الفيلم بطريقه مزرية ، ففيمه شيء من غباء واضح فضلا عن كونه مبتور الكف

بطرزان والسوبرمان ليقدم لنا صورة لما يمكن أن يحدث فى أبهى صور هذا الامكان وأروعها • • فكل ما يأتيه جيمس بوند من خوارق تبررها له امكانيات التقدم العلمى المسخرة لخدمة الشر وحده فى هذه الافلام • وتبررها كذلك الامكانيات الهائلة لأجهزة المخابرات الحديثة بقدراتها الاسطورية على تحقيق ما كان يعد منذ أعوام قليلة بالمعجزات •

يزيد حدة هذه الصورة أن هذه السلسلة من الافلام تقدم لنا كل قدرات فريق المخابرات الكبير مختصرة فى صورة رجل واحد • • كالانبياء لا يخطئ أبدا • • قوى حاد الذكاء دقيق الملاحظة • • له أن يقتل أى عدد يشاء من البشر دون أن يقع تحت طائلة اللوائح والقوانين العقابية المعروفة مسبقا بالكراميه العنيفة لكل من يعمل جيمس بوند ضدهم - فكل أعدائه مخادعون غشاشون فضلا عن كونهم مجرمين وهو فضلا عن ذلك وسيم قوى تتساقط كل النساء تحت أقدامه بعد النظرة الأولى • • فيرضى بذلك غرور المتفرج ويشبع رغباته المحبطة •

لانه لا يستسلم لأغرائه ، بل ينفذ يديه منهن بعد قضاء وطره • • لا يعبأ بالخطر ، بل يربط بين لذته واللذة الجنسية برابط وثيق لا ينقسم فى معظم الافلام فيشد بذلك أعصاب المتفرج وغرائزه مما • • انه يقدم لهذا المتفرج المسكين القابع فى الظلمة صورة للرجل فى اكتماله المبهى • يتحدى الشر وحده • • ينتصر على العصابات الكبيرة المنظمة ذات الامكانيات الضخمة وحده • • لا يعير المرأة أدنى اهتمام بعد قضاء وطره منها فكل ما يهمه هو اشباع شهوته الجسدية دون الاهتمام بالعواطف • • لان هذه الكلمة لا تعرف لها مكانا فى عالم المخابرات الرهيب • • ولا يخشى سطوة القانون أو البوليس فزعمه السرى كعيل للمخابرات يحميه كالأيقونة السحرية أو كصباح علاء الدين العصر من كل هذا • • والحقيقة أن الافلام الثلاثة لم يفتها أبدا أن تؤكد بصورة أو بأخرى أن جيمس بوند لا يتمتع بكل هذه الميزات الهائلة الا لكونه من رجال المخابرات المخلصين • • فهى بذلك دعوة حارة - وعلى أوسع نطاق - لان يرتدى الجميع فى أحضان المخابرات وأن

أما في « جولدفينجر » .. ملك الذهب غير المتوج فاننا نسمع أصوات أخرى .. أصوات الدفاع الحارة عن الاقتصاد الحر وعن متانة الغطاء الذهبي الأمريكي وتعاطف الثقة فيه، وعن عظمة الاستحکامات المبنولة لحراسة أكبر قدر من الذهب في العالم تمتلكه أمريكا، ذلك الذهب الذي يقوم مع ضخامة وعظلة (!!) الانتاج الأمريكي في جلب الثقة للدول الأمريكية من كافة أطراف المعمورة .. هذا ما يقدمه « جولدفينجر » بصورة أساسية .. دون أن ينسى السخرية من العالم الاشتراكي ومن الزنجي الغبي الذي يتصرف كآلة صناء يملك الرجل الأبيض وحده سر أزراره .

وفي هذه الافلام الثلاثة تقدم المرأة بصورة مهينة للغاية وفاقدة لكل احترام أو قيمة .. حيث تتحول الى مجرد مطفأة جميلة لشهوة الرجل الجنسية .. ذلك الرجل المتغطرس المتعال الذي لا يهمه منها غير اشباع حاجته وبعدها لا يعبأ بها على الإطلاق .. وهذه الصورة المزرية في الحقيقة هي تجسيم كامل حالة المرأة في المجتمعات الرأسمالية ، حيث أصبحت الدعارة إحدى التجارات المشروعة والأكيدة الربح .. وأحياناً تدور المرأة في أسواق النخاسة العصرية تعرض مفاصلها وخدماتها لقاء الرداء الأنيق والعطر الفاغم والسيارة الفارهة .. وعلى الرجل الذي يدفع الثمن أن يحصل على البضاعة فوراً مع توصيلها الى المنزل .. بهذه الصورة التي تقعد فيها المرأة انسانياتها تماماً لتصبح مجرد سلعة رخيصة تقدم المرأة في أفلام المخابرات الجاسوسية الأمريكية .. لا تقدم باعتبارها الصورة المنفرة لحالة المرأة الراحنة في المجتمعات الرأسمالية والتي يجب، على الفن اذا عرضها أن يعرضها كحالة من الضروري تخطيها .. ولكنها تقدم - عبر التوازل الجنسية الحريفة - باعتبارها الصورة المثلى التي ينتقل فيها الرجل - وكأنه في فردوس مليء بالمحوريات - وسط الفانات يرفش من رحيق كل منها حسوة ثم ينتقل الى غيرها .. وهي تشبع رغبات المتفرج المحبطة وترضى غرائزه .. تحذره حتى يتجرع بهدوء - ودونهما

يشهد منذ اللحظة الأولى بأحقاده على العسكريين الرأسمالي والاشتراكي معا ، ويعجز كل قدراته العلمية عن أن تعوض كفه المبتورة بغير هذا الحطاف الكتيب .. فالفيلم يكتظ بكافة أساليب استخدام العلم في خدمة الشر بصورة تدهش المتفرج وتضربه عن التفكير في قدرة الخير على أن ينبض في عروق هذا العلم الشرير ... لأنها تقدم هذا التسخير الرهيب للعلم في خدمة الشر في اطار الجميل والمدهش .. بالدرجة التي يخرج معها المتفرج وهو يتوق الى تسخير العلم كلية في خدمة الشر دون أدنى تفكير في الامكانيات السلمية المدهشة له .. ولا ينسى القليل أن يسخر من غيابة الزوج وخوفهم من هذا التنين الوهمي الذي اخترعه الدكتور « لا » والذي تغلب عليه عميل المخابرات البارع جيمس بوند .

وكل هذه الاصوات المسمومة تطل علينا من « الصاعقة » أيضاً .. حيث يدور الصراع بين إحدى العصابات الدولية الكبيرة - عصابة الشبح - وبين عميل المخابرات الأمريكية ... ينتهي طبعاً بانتصار العميل وحده على كل أفراد هذه العصابة .. التي تستبدى الى الدهن بقدراتها الضخمة الهائلة صورة لعصابات حقيقية تفرض ظلها الرهيب على كثير من مناطق العالم الرأسمالي .. وتبلغ ميزانية بعضها درجة من التضخم تقترب كثيراً من ميزانية دول ليست بالصغيرة .. مثل عصابة « المافيا » أو « الكولكس كلان » .. وقد استطاعت العصابة بقدراتها المذهلة أن تسرق قبلة ذرية بريطانية وأن تهديد الدولة بها وتطالبها بتعويض ضخم .. غير أن العميل الأمريكي البارع ! لا يرضى أبداً أن تضع حليفة أمريكا الرئيسية أنفها في الرغام ، فيهب لانقاذها .. وأمام شجاعته ومغامراته الحارقة وسامته تنهار كل تدابير العصابة الدولية الكبيرة وتفسل كل خططها .. وتنتصر الحليفة الأساسية بفضلها على أعدائها .. ولماذا تنهزم العصابة ؟ .. لأنها استخدمت بعض الزوج الاغبياء وبعض الصفر الحاقدين .. أما المخابرات الأمريكية التي اعتمدت على الرجل الأبيض وحده فقد كان لها النصر المبين .

غصة - تلك الجرعة الكبيرة من السموم الفكرية التي تقدمها هذه الافلام الامريكية .

وتؤكد هذه الافلام العديدة براعة المخابرات الامريكية التي لا تستعصى عليها اعدى القوى . . والتي تستطيع بقواها السحرية ومقدراتها الفائقة أن تحقق كل ما تريده . . مؤكدة - بصورة قاطعة وقحة - أن ليس باستطاعة أحد أن يقف في وجه هذه الهيدرا الاسطورية المعاصرة المسماة « بوكالة المخابرات المركزية الامريكية » تلك الهيدرا الاسطورية الرهيبة التي تدس رأسها . . بل رؤوسها المتعددة في شتى مناحي الحياة السياسية والثقافية ليس في أمريكا وحدها بل وفي كثير من بقاع العالم . . وهي بعد هذا التأكيد الجازم الوقح بعجز أية قوة عن أن تقف في طريقها ، دعوة حارة لهذا المتفرج المسكين القابع في الظلمة لأن يرى جزءا من النعيم الذي تهيئه المخابرات الامريكية لعمالها . . وتجديد زاعق لافلام العمال . . بصورة دفعت الرئيس الامريكى القبيح ليندون جونسون الى أن يطلب في جيل تيموثي الرئيس الجديد للوكالة . . أن يصبح كل عملاء الوكالة في براعة العميل رقم ٧٠٠ او جيمس بوند . . هذا التصريح الذي يأخذ صورة الطلب أو الامنية من رئيس الولايات المتحدة يؤكد بصورة قاطعة أن هذه السلسلة الطويلة من افلام المخابرات والجاسوسية الامريكية التي تصرخ كل لحظة بتفوق أمريكا ليست مجرد افلام خفيفة مسلية . . ولكنها سفير حقيقى ناجح لكل الفكر الاستعماري القبيح . . بشتى صور هذا الفكر وادق جزئياته .

ومن هنا كان ضروريا أن نحمل المتفرج عندنا من هذا السفير الرهييب الذى لا يتورع عن استخدام شتى الاساليب القذرة في توصيل موموه الفكرية القبيحة وزرعها في عقل المتفرج

وأحلامه . . بل وكان ضروريا أيضا أن نحمله من شتى أنواع السموم التي تسيل من كل الافلام الامريكية والانجليزية أو بتعبير أدق من الغالبية العظمى من هذه الافلام ، التي تروج بصوت زاعق غالبا واهن أحيانا لكل الفكرات الاستعمارية الخبيثة . . أما الافلام الامريكية القليلة التي تقف بجانب قضايا الانسان فانها لا تصدر فحسب ، بل يحارب أصحابها يشتى الاساليب . . وتمنع أفلامهم من العرض خارج الولايات المتحدة وداخلها . . اما الافلام التي يصرح لها بالعرض في الخارج ، وخاصة في الدول التي تهدف الولايات المتحدة الى تدميرها أيديولوجيا ، فانها تخضع لرقابة المخابرات الامريكية ولاختيارها . . ولا يسمح بهذا العرض لغير الافلام التي تعجد المخابرات الامريكية نفسها كما رأينا في السطور السابقة فضلا عن كل الافلام التي تتحدث عن التساعدة التي تؤخر على مجتبع « الرخاء العظيم » وعن الدور « الكبير » الذى يقوم به الرجل الامريكى فى تمديد الشعوب المتخلفة جميعا . . وفى تخليصهم من شرور الاستعمار القديم . . وكذلك الافلام التي تشيد بالدور العظيم « الذى قام به الرجل الامريكى الابيض فى تطهير الارض الامريكية من الهنود الحمر « المتوحشين » وحالة قراهم البدائية الى مزارع حديثة . . وغير ذلك من الافلام المنتهة بعناية وتخطيط واضحين . . ولنتنقل الآن الى الكتاب والكلمة لنرى كيف استغلتهما السياسة الامريكية لتنطلق من خلالهما الى تدمير أيديولوجيتنا ولتوسع عبرهما الصلات مع مواطنينا بهدف استخدامهم كقنوات لتدمير خطط التدمير الايديولوجى عبرهم وخلق جيل من المثقفين الذين يرون فى نمط الحياة الامريكية « الحرة » مثلهم الأعلى .

تدرس والموضوعات التي يطلب من الطالب ترجمتها وأنتى تشيد بمنجزات الحضارة الأمريكية وبعلمتها وبمشارية الحياة على النسق الأمريكي . مركزة على انعكاسات كل هذه الحضارة الصناعية الهائلة ، رغدا وراحة وسعادة على الأسرة الأمريكية النعمة السعيدة .. كلها .. بالدرجة ألتى يخرج فيها الطالب في نهاية الفصل الدراسي وقد تعلم عن عظمة الحياة في أمريكا وعن مثالياتها أكثر مما تعلمه عن اللغة التي يدرسها .

أما الدراسات المتخصصة الأخرى في الحسسيات التجارية وأعمال السكرتاريه وغيرها فقد يظن أن الجامعة تقدمها بأمان زهيدة لوجه الله أو المعرفة الخالصة .. غير أن هذ ليس صحيحا . فان المدارس ما يلبث أن يخرج في نهاية الحلقة الدراسية منبرها ببطمة التقديم الأمريكي والنظم الأمريكية الحديثة والدقيقة ، معتقدا بأن أمريكا هي الفردوس المفقود بكل ما فيها ولكل ما فيها .. أما اذا كان هذا القارئ طفلا فان أمريكا الاستعمارية تقدم له سبيلا من مجالات الأطفال باللغة القريبة مثل (الجاسوس) و (الوطواط) و (وسيل الربيع) و (سوبرمان) فضلا عن (ميكي) التي كانت الى وقت قريب ترجمة حرفية عن **الخطبة الأمريكية المروعة** بنفس الاسم والتي تصدر عن مؤسسة **والث دوتى** .

كل هذا من أجل استيلاء القارئ السريع « الطياري » واحكام الشبكات حوله .. أما القارئ الذي يريد قراءة الدراسات المتخصصة والكتب العلمية والادبية فقد أعدت له أمريكا العدة .. عن طريق مؤسسة ضخمة تقول عن نفسها أنها مؤسسة ثقافية غير تجارية هي مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . تلك المؤسسة التي بدأت تمارس نشاطها في بلادنا تقليدا لانفاقية التبادل الثقافي المقسودة بين مصر وأمريكا عام ١٩٥٣ .. وقد بدأت المؤسسة نشاطها منذ عام ١٩٥٣ تحت ستار هذا التبادل الثقافي الذي تحول على يديها الى غزو فكري مسموم يستهدف النيل من نظامنا السياسي ومن قيمنا الاجتماعية .. غزو ضخم مدعم بامكانيات هائلة لا طاقة لنا بها . يساعد فيفي من الكتب المشبوهة التي تمول السفارة الأمريكية بالقاهرة صدورها وتخطط له . وقبل الحديث عن نشاط مؤسسة فرانكلين سنتحدث بسرعة عن هذه الكتب التي تصدرها السفارة مباشرة .

والغريب أن هذه الكتب لا تحمل اسم السفارة

وتعمل المجابرات الأمريكية على نشر الفكر الاستعماري الأمريكي ذاك عبر الكتاب بوسائل متعددة ، ترمي الى السيطرة على عقل القارئ ومحاشره من جميع الجهات . فاذا كان هذا القارئ يهوى القراءات السريعة أعدت له طبعه غريبة خاصة من (المختار) من القراءات المفسومة حتى يسهل عليه تجربتها وابتلاعها .. أما اذا كان في حاجة الى قراءات أكثر جدية أصدرت له فصلية متخصصة تتولها السفارة الأمريكية وتصدرها دار المعارف في (التلسافة الأمريكية) .. أما اذا كان القارئ من هواة الاشتراك في الصحف والمجلات المصورة ، فما عليه الا أن يترك عنوانه بكتب الاستعلامات الأمريكي يارفي أحياء القاهرة ، حتى تصل (الصداقة) ، ونأمل الاسم وهو يشير الى الهدف والمحتوى معا ، الى منزله كل اسبوع ومعها نسخة فاخرة من ملحقها الشهري المصور ومن مجلة (الحياة في أمريكا) .. أما اذا كان هذا القارئ من هواة الاطلاع والقراءة في المكتبات العامة أو اللجوء اليها بحثا عن المرجع والدراسات المتخصصة ، فان السفارة الأمريكية قد أعدت له مكتبة ضخمة حافلة بالآلاف الكتب والمراجع الأمريكية وحدها ، مجهزة على أحدث النظم والأساليب المكتبية ، وتحتل مكانا رافيا يزدي بمكان واستعدادات دار الكتب القومية ، وينافسها من ناحية الشكل وفخامة الثلاث واحة القارئ الذي يستطيع أن يستمر أي كتاب ببساطة خالية من أي تعقيدات روتينية .. وأن يأخذ الكتاب أن عزله ويجعله أن يترك عنوانه . حتى اذا ما تأخر لأحفظه المكتبة بخطابها التكررة التي تسيل أدبا ورقة . وكثيرا ما نسمع حديث طلبة الجامعة عندما عن الأسلوب الرافى المذهب الذي تصالهم به المكتبة وعن التيسيرات الضخمة التي تمنحهم اياها .. ويفرون ذلك بعقم الأساليب المتبعة في مكتباتنا . ولا نعمد نقاش وسيلة يأخذ بها مجراء الطبيعي الى المقارنة بين الحضارتين وبين المجتمعين .. تلك المقارنة التي تنتهي غالبا لصالح المجتمع الأمريكي وهذا بالفعل هو ما نهدف اليه أمريكا من خدماتها تلك . أما ما تقدمه داخل الكتب فسيجيء دوره بعد قليل ..

واذا كان القارئ من النوع العملي الذي يهدف الى تزويد معلوماته في فرع من فروع المعرفة حتى يحسن هذا من وضعه الاجتماعي أو الوظيفي ، فان الجامعة الأمريكية بالقاهرة تقدم له عبر دراساتها المسائية المتعددة السبيل الى هذا الوضع الأرقى .. فهي تقدم له دراسات في اللغات ضمن هين تكشف سره اذا ما تصفحنا النصوص التي

أو فردريك هوفمان الذى كتب كتابا عن وليم فوكرت .. أو غيرهم وقد بحثت في مراجع النقد فلم أجد لاي منهم ذكرا . وقد قرأت بعض هذه الكتب فاحسست بالأهل بأن هؤلاء الكتاب أو النقاد من كتاب الدرجة العاشرة .. أو أنهم من الكتاب الذين تستأجرهم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لاعداد مؤلفات في شتى فروع المعرفة تنطبق عليها موصفات الوكالة .. المهم أن هذه الكتب جميعا تقرب على نفعة اساسية وهى حرية الكاتب وتفر من الالتزام وتؤكد أن هؤلاء الكتاب لم ينتجوا كل أعمالهم العظيمة تلك الا لانهم لم يتقيدوا بأى نظام فكرى .. بل انها تدعى أن مراحل الالتزام التى مرت بعبية بعض هؤلاء الكتاب مثل - ياسوس وشتاينيك - الاولى قد دفعت انتاجهم بالفاجعة والرداءة ، وأنهم لم يكتبوا أعمالهم الانسانية والعظيمة الا بعد أن نبذوا الالتزام بتلك الافكار الاشتراكية وآمنوا بالانقصاد الديمقراطي الحر !! .. هذا هو ما تدعى اليه هذه الكتب فى الوقت الذى كان يتحدث فيه تنظيمنا السياسي عن وحدة المثقفين الثوريين .. وعندما بدأت مناقشات الدستور صغر كتب مثل (الحكمة العليا في الولايات المتحدة) و (التجربة الدستورية الكبرى في الولايات المتحدة) وعندما أجريت انتخابات رئاسة الجمهورية الاخرة عندما صدر كتاب (رؤى وأفكار أمريكا الحديثة) و (سلطة رئيس الجمهورية في الولايات المتحدة) وعندما تحدثت الصحف عن تجارب الفلاحين البولندية المرفقة السفارة السوق المصرية بكتابين عن جون جلين رجل الفساد أحدهما تأليف فيليب بيرس والاخر تأليف فوزى الشنوىي .. وعند مناقشة خطة التنمية والحديث عن البناء الاشتراكي يظهر كتاب (الانسان الامريكى) المليء بالدعاية لأمريكا والذي يؤكد أنه « اذا قام أى شخص بشن الحرب على الطبقة العليا فان معنى ذلك أنه يهدم الهدف الذى يسعى اليه كل انسان طموح (١٦٢٥) » .. وكتاب (مفتاح التقدم الاقتصادى) الذى يؤكد أن « تجربة الشعب الامريكى في نظامه الصناعى الذى يعمل داخل اطار ديموقراطى لها أهميتها العملية بالنسبة اسما لم يتسلم طريقه نحو الإجابة على مشاكله » (ص ١٠) .. هذا هو ما تقدمه السفارة الامريكىة وبمعنى أدق مكتب الاستعلامات الامريكى الذى يؤكد كتاب (الحكومة الخفية) اتصاله الدائم بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى تستخدمه كواجهة علينية لممارسة نشاطها .. وهى تقدم هذه الكتب التى تحسن اختيارها واختيار نوقيت صدورها الى جانب العديد من الكتب الأخرى التى تتبنى بتقدم النظام الامريكى وعظمته في شتى المجالات وتلوق كل ما فيه من مؤسسات وجامعات

الأمريكىة بالرغم من أن السفارة الامريكىة هى التى تختارها وهى التى تجزل العطاء لترجمتها ومراجعتها ومقدمتها بصورة فاحشة ومزيفة ، وهى التى تقدم الورق الأبيض الفخيم لتأشيرها ، وهى التى تقوم بطبع غلافها بالالوان داخل مطبعة السفارة نفسها ، ثم هى أخيرا التى تحدد الثمن ويميد طرح الكتاب في السوق .. اول ما يلفت النظر في هذه الكتب ضالة ثمنها .. اذ يدور ثمنها حول الرقم عشرين .. أقل بقرشين أو أكثر بقرشين بالرغم من أن صلاحتها تقرب غالبا أو تزيد عن الثلثمئة صفحة من القطع الكبير .. أما ما يحول لفت النظر الى ردية .. قبل قراءة الكتب نفسها التى يعتقد للوهلة الاولى انها نشرت بمحض مبادرات فردية وتلقائية من دور النشر الخاصة مثل « دار المعرفة » أو (سجل العرب) أو (عالم الكتب) أو (مكتبة الانجلو) أو (مكتبة القاهرة الحديثة) أو (دار الكركنا) أو (دار الفكر العربى) أو (مكتبة النهضة المصرية) أو (دار الكتاب المصرى) أو (مكتبة الوعى العربى) أو غيرها .. وقد حاولت أن أعدد لك هذه البودر كلها لتعرف مدى اتساع هذه الشبكة وضخامتها .. فقد صدر من هذه الكتب التى تبدو في ظاهرها وكأنها مبادرات تلقائية للمثقفين والناشرين العرب بينما هى فى حقيقتها خطة مدروسة ومعدة من جانب السفارة الامريكىة بالقاهرة .. اقول أن ما يحول لفت النظر الى ردية هو أن نوقيت صدور هذه الكتب ، وهو نوقيت تنظم له السفارة الامريكىة وتضبط له بحيث يبدو - والكتب تدل على من البداية وتظهر بمظهر النشاط الثقافي - أن هذه الموجة من الترجمات تعبر عن الراى العام المثقف فى هذه اللحظة أو تقوده - وهذا ما نريد بالافضل - الى عملية الاتجاه .. فعندما تزايد الحسد من جمهورية الالتزام بالكتاب وعن الوحدة الفكرية للمثقفين وعن ضرورة أن يدعم الفن والادب تقدمنا ونظامنا الاشتراكي .. أصدرت السفارة الامريكىة إشارة الانطلاق فطرح كل دور النشر هذه فى السوق العديد من الكتب التى تتحدث عن (التراث الادبى الامريكى) وعن اعلام الادب الامريكى مثل جون دوس باسوس وستكلير لويس ووليم فوكرت وادجار الان ووجون شتاينيك وغيرهم .. وهى كتب غسقة يتراوح عدد صفحات الواحد منها بين ٢٥٠ و ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير ولا يزيد ثمنها على عشرين قرشا وتصدرها دور نشر مختلفة .. وقد أعد هذه الدراسات كتاب ونقاد امريكيون من التكرات مثل شلرون نورمن جريستن الذى كتب كتابا عن ستكلير لويس بلغ في ٢٨٤ صفحة من القطع الكبير وترجمة عبد الفتاح المتناوى وأصدرته مكتبة القاهرة الحديثة وهى احدى المكتبات المتخصصة في اصدار الكتب الجامعية . أو جون رن لذي كتب كتابا عن جون دوس باسوس يقع في ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير ترجمة حسن عيد القنصود واسحق ملطى وراجعه احمد خاكي وأصدرته دار المعرفة ،

أى كتب للأطفال أو الناشئة نجد أن فرانكلين قد أصدرت لهم ١٣٧ كتابا .

ومن البداية ستجد أن المؤسسة تعرف طريقها بوضوح وأن فرع نيويورك الذى يخطط لها فى القاهرة وينسق بين فرع القاهرة وفرع بيروت وينفذ يعرف بالقطع ماذا يريد أن يقدم للقارىء العربى وأى القطعات يبنى السيطرة عليها . لذلك فإن المؤسسة ، وهى تخطط للإهداف بعيدة ، تركز نشاطها منذ اللحظة الأولى على الجيل الجديد ... بدوا من اكتب التى يقرؤها أبناء هذا الجيل الجديد أنفسهم الى الكتب التى يقرؤها من يتولون أمر تنشئته .. فبالإضافة الى قصص الأطفال والناشئة التى صدرتها ٢٦ قصة حتى عام ١٩٦٥ نجد أن المؤسسة قد أصدرت لهم السلاسل الآتية * سلسله (ألف باء) وقد صدر منها حتى عام ١٩٦٥ ، ١٨ كتابا ثم سلسله (العلوم المبسطة) وقد صدر منها فى الأخرى ٢٦ كتابا وسلسله (كتاب الأول من) التى صدر منها ٨ كتب وسلسله (كل شيء من) التى صدر منها ٢١ كتابا وسلسله (تعالى معى الى) التى صدر منها ٩ كتب وسلسله (العلوم خطوة خطوة) التى صدر منها ٦ كتب .. وبعد ما صدر الميثاق أصدرت الدار سلسلة جديدة بعنوان (العمل شرف) تحاول عبرها أيضا أن تمارس نفس الدور .. ولتحاول أن تعرف على بعض ما تقدمه الدار لأطفالنا * فى الكتاب رقم (١٨) من سلسلة (كل شيء من) بعنوان (البعثات العلمية الشهيرة) نقرأ صفحة ٥٩ : « كان الشعب المصرى شعبا نبيلًا متفادًا بنفسه ، وعلى ملوكهم أن أبهت من الذهب والجواهر لا نجد لها مثيلا فى عالمنا .. ثم افترض هذا الشعب القديم والرائع ما لم يأت منه فى جنس أجنبى من الفزاة وبلى فليط اعظم البرء وأقواها بناء ، وأغلبها أطفال » . هذا ما يقدمونه لأطفال شعبنا عن تراثهم .. تصور !! .. وفى كتاب آخر من تراثهم (تعالى معى الى) بعنوان (تعالى معى الى السد ،) نجد الكتاب يتحدث بالتفصيل عن سد جن كابتون بأمريكا الذى يعتبر من أعظم المشروعات الإنشائية الحديثة * صحيح أن مقدمه قد أشار فى سطور ممدودة الى السد العالى ، غير أن الكتاب لم يعرف أطفالنا بسد أمريكا العظيم الذى لا يضارعه سد آخر فى العالم .. والذى يقف وحده فى شموخ وتطاؤل لا يقر به أى مشروع .

هذا بعض ما يقدمونه للأطفال أنفسهم . أما ما يقدمونه إن يتولون أمر تنشئة هؤلاء الأطفال فانه أكثر بكثير .. يلجأون فى تقديمه الى أساليب غربية من الاعتماد على وكلاء الوزارة التى تتولى أمر الشيء بصورة أساسية وهى وزارة التربية والتعليم ويجزئون لهم المطاء بغية الأشراف على هذه السلاسل وتقديمها ، وذلك حتى تأخذ السلاسل ناصريات بالمرور الى مكتبات المدارس وإلى صفوف المدرسين .. فبالإضافة الى سلسلة (العلاقات الإنسانية) (صدر منها حتى عام ١٩٦٥ عشرون كتابا) نجد أيضا سلسلة (دراسات سيكولوجية) (صدر منها ٥٥ كتابا) سلسلة (بحوث تربوية فى خدمة المعلم) (صدر منها ١٧ كتابا) ثم سلسلة (المعلم فى ضوء

ونظم سياسية وقضائية (١) وغير ذلك .. وهى تعرف كيف تقدم هذه الكتب بصورة لا يفر منها القارىء ولا يضع بينها وبينه أى احتراش .. فهى تقدم له هذه الكتب دون أن تذكر أن لها أى علاقة بها .. تقدمها بوحي من غيرة مترجميها على خدمة القارىء العربى ومن رقيتهم فى تقديم التجارب والدراسات المفيدة له ، ونشرت بوحي من اختيار هذه الكتب الحر ومبادئ، الثقلاني .. ولأن مسوت هذه الكتب المداعى صارخ وزائق الى حد ما بالقائى الى ما تقدمه المؤسسة الرسمية للكتاب الأمريكى - أعنى مؤسسة فرانكلين - فإن المخابرات الأمريكية تنفق عليها بسخاء حتى يبدو أن دور النشر الفردية الحسرة تقدم - بوحي من « ضميرا » - كتابا أكثر تطرفا من تلك التى تقدمها مؤسسة فرانكلين « الرصينة » « المعتدلة » .

فمؤسسة فرانكلين تحاول دائما أن تبدو بمظهر الرصانة والاعتدال حتى تستطيع أن تمارس نشاطها على المدى الطويل كمؤسسة « ثقافية غير تجارية » .. لكن هذا ليس سوى مظهر مزيف يخفى حقيقة عملها المستمر والصارى لتغريب الثقافة العربية ولتحقيق مخطط الاستعمار الأمريكى بتوسيع الصلات مع المواطنين لاستخدامهم كقنوات لتعمير خطة التدمير الأيديولوجى للنظم البلدان الأخلة بطريق التحول الاشتراكي ... وقد استطاعت فرانكلين بالفعل أن توسع صلاتها بكتاب المواطنين عندما وأن تقوم بنشاط .. أو بمعنى أدق بغزو ثقافى كبير يستهدف نشر كل القيم والفكرات الأمريكية أولا وهمد وتنسوية كل القيم والفكرات الاشتراكية ثانيا .. وقد استطاع نشاطها الكبير ذلك أن يلقى نشاطها الدولة ذاته فى نفس المجال .. فمطبوعات مؤسسة فرانكلين كلها مترجمة ، وقد أصدرت فى الأثنى عشر عاما الأولى من انشائها من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٥ ما يربو على ٦٥٠ كتابا مترجما فى شتى فروع المعرفة بينما لم يستطع مشروع معال من مشروعات الدولة وهو مشروع (الألف كتاب) أن يصدر فى نفس الةء ، أى الأثنى عشر عاما الأولى من انشائه ، منذ عام ١٩٥٥ حتى ١٩٦٧ أكثر من ٥٥ كتابا مترجما .. هذا من ناحية الكمية الكلية للمطبوعات * .

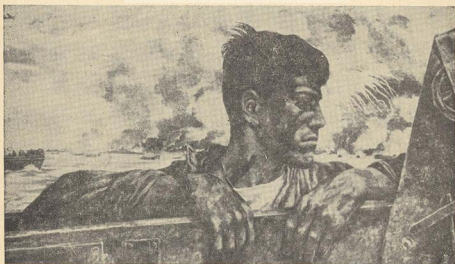
أما من ناحية تفصيلها النوعى فلاننا ستجد أن القسم الأكبر من مطبوعات (الألف كتاب) من كتب الأدب والقصص ، بينما لا يحتل هذا النوع من الكتب غير مكان ضئيل من مطبوعات فرانكلين أما ما يحتل مكان الصدارة فيها فهى كتب الاقتصاد والتربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية ثم العلوم النظرية والتطبيقية .. وبينما لا يزيد ما صدر فى (الألف كتاب) فى فروع الاجتماع والتربية وعلم النفس عن ٣٢ كتابا ، نجد أن فرانكلين قد أصدرت فى هذه الفروع ١٦٢ كتابا * . وبينما لا تزيد كتب العلوم النظرية و التطبيقية عن ١١٢ كتابا .. نجد أن فرانكلين قد أصدرت فى هذا المجال ٢٠٢ كتابا . وبينما لم تصدر (الألف كتاب)

(١) راجع دراساتى عبد الجليل حسن عن فرانكلين وتغريب الثقافة العربية فى مجلة الكتاب عددى يناير ومارس ١٩٦٧ .

(حول العالم في كتب) و (حول مائدة المعرفة) وسلسلة (معالم الطريق) . ثم سلسلة من الكتب المفصلة بعنوان (مجموعة الكتب الدراسية والمراجع الأمريكية المترجمة) .. هذا فضلا عن عشرات الكتب الأخرى « الهامة » التي تتناول شتى فروع المعرفة .. والتي لم تترك شيئا بفلت منها * . حتى العلوم العسكرية والحديث عن « رواد الاستراتيجية الحديثة » (وكلهم بالطبع من الأمريكيين . ولا تظن الكتب التي يصدرها فرع المؤسسة الأخراى في بيروت وبغداد من نفس السوموم .. ففي أحد هذه الكتب بعنوان (الأصول الحسبانية للشخصية) تأليف ألف لتون وترجمة الدكتور عبد الرحمن اللبان ومراجعة الدكتور محمود زايد وإصدار دار البقعة العربية في دمشق بالاشتراك مع فرانكلين فرع بيروت نقرأ صفحة (٥٥) (ولقد خصى هيرودوتس ، أعظم رواية على ، الجزء الأكبر من تاريخه لسرد ما تعتبره اليوم أوصافا للحضارة .. بل انه تجاوز ذلك الى اظهار بعض الفروق البارزة بين العادات الاغريقية والعادات المصرية ، وتعجب في صدق من عادة هؤلاء البرابرة في اللجوء الى منازلهم لنقاء حاجاتهم بدلا من ان يفعلوا ذلك في الشوارع كما كانت عادة الاغريق المتمدنين .. ويمكن ان تلمس يا قارى مقدار التبجح والتجنى الذى يسيل من كل حرف في هذه الجملة ، والذي ان اسفر عن شيء فمن انتهاز كل فرصة لتمجيد عرسا للليل من تاريخنا وثوبه حضارتنا ودمغ اسلافنا بالبربرية بمناسبة وبغير مناسبة * . ولن نستفيض في الحديث عن أمثلة أخرى .. فهذه بعض ملامح الدور التدميرى الرهيب الذى تلعبه المخابرات الأمريكية لتدميرنا ايدولوجيا وللثيل من ثقافتنا وحضارتنا ونظامنا مستخدمة في ذلك كل مايمكنها استخدامه من أساليب بالكلمة وبالصورة

(التجارب) .. ثم سلسلة (الثقافة العالمية) (صدر منها ١٤ كتابا) * . ثم سلسلة (الثقافة العالمية) (صدر منها عشرة كتب) .. وكلها كتب تقدم الأسلوب الأمريكى في التعليم والتربية بعد أن تعرب ما يرد في هذه الكتب من أمثلة وتفرق الأسماء ليمدو الكتاب وكأنه كتاب عن الواقع العربى .. وذلك بهدف « تعليم الكبار وتدريبهم ، وتغيير اتجاهاتهم سواء أكان ذلك في ميدان الحرب أم في ظروف السلم . وسواء أكان ذلك في ميدان الثقافة العامة أم في مجال التعليم المنظم أم في مجال القومية العربية » كما يقول الكتاب رقم (١٤) من سلسلة (العلاقات الانسانية) بعنوان (تعليم الكبار) (صفحة ١٠) والذي يؤكد مقدمه انه « لزيادة اليسر على القارى ، راعى المترجم ان تكون الأسماء والأمثلة عربية بدلا من الأسماء والأمثلة الأمريكية دون ما تغير في النص » .. هذا هو ما يريدونه .. فضلا عن تعليم الصغار ، تعليم الكبار وتغيير اتجاهاتهم في شتى المجالات لذلك فان أغلب الكتب التي يقدمونها في مجالات التربية والاجتماع وطعم النفس وغير هذه السلاسل المتعددة تنحو متحن تعليميا مباشرا وتكتظ بالارشادات والتعليمات والتوجيهات التفصيلية * . واليك بعضا من عناوين هذه الكتب .. (أفهم نفسك) ، (كيف تدبر المناقشة) ، (كيف تستخدم الوسائل التعليمية) ، (كيف تفصل الجماعات) و (الحصول على الاعضاء والاحتفاظ بهم) و (كيف تصبح عضوا في مجلس الادارة) و (كيفية التخطيط للأنتمات وإدارتها) و (أسلوب العمل في مجلس الادارة) و (كيف تبني حياتك الزوجية) و (ان لم يستطيعون دخول الجامعة) و (كيف تحل مشكلاتك .. الخ .

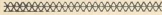
بالإضافة الى كل هذا نجد سلاسل أخرى مثل



(لسانا احارب .. نوم ليو) « من لوحات معارك كوريا وفيتنام »

مادلين

للشاعر كمال نشأت



ينهمر الرنين
يوج في السادة انناثة الزجاج
فترك كل القطاء

لتسكت الجرس

« آواه يا مادنين

لن يسكت الصداع

حلقت ألا أشرب الكونياك

لكنني فعلت ... »

وحركت جفونها النقال

تذكوت

مادار في المساء

تجردت

من عمرها القديم

وأعطت العشيق

« يا حلوة العناق

قبلت في حياتي المئات

وما وجدت طعم قبلتك ... »

ويهدر المدياع :

« النار في خيام اللاجئين

الطائرات تحصد النساء والأطفال ... »

فحركت مفتاح

باصبع دامية الطلاء

ليزار الجنون

في صرخات الجاز

ويشحب المساء

وتترنمي نجومه كسيفه اللالا

كلمة قديمة

من عمرها القديم ... »



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الاستعمار الأمريكي في آسيا ..

محمد عودة

وكانت فرنسا قد أقامت إمبراطورية قاعدتها الهند الصينية .

وكانت هولندا قد أقامت إمبراطورية قاعدتها اندونيسيا .

وكانت روسيا القيصرية قد احتلت بعض المناطق في شمال الصين .

وكانت هناك أيضا ثورة جديدة فنية ظهرت وأخذت تنازع هذه القوى جميعا ، وتعتقد أنها أحق بالسيادة على آسيا كلها . وهي « اليابان » وتحت شعار « آسيا للأسويين » وضمت خطة طويلة المدى ومعركة لإقامة إمبراطورية جديدة

ولم تكن هناك دول مستقلة في آسيا إلا بالفرودة كانت هناك القنصطنطين ، ولكن بإتفاق ضمنى بين روسيا القيصرية وبريطانيا لتكون منطقة حرام عازلة بينهما .

وكانت ألمانيا وليام ولكن أيضا بإتفاق ضمنى بين بريطانيا وفرنسا . لتظل منطقة محايدة بينهما .

وكانت الجائزة الكبرى الباقية هي الصين ، وكانت بلدا شاسعا متراعى الأطراف ، خائلا بالموارد ، لا هو بالمستقل ولا هو بالمستعمر ، تدور حوله معركة ضارية بين كل الدول الكبرى للاستئثار به أو لانتزاعه وتوزيعه .

وكانت اليابان تعتقد أن الدول الأوروبية قد انتزعت من بلاد آسيا ، ما يكفي وانها أحق بأن تستأثر بالصين . وكان أحد أقطاب الاستعمار وواضعي أسسه فيها ، الكونت تاناكا قد أعلن المبدأ الذي أصبح خطة الاستعمار الياباني الرئيسية وهو : السيطرة على العالم تبدأ بالسيطرة على آسيا والسيطرة على آسيا تبدأ بالسيطرة على الصين ، والسيطرة على الصين تبدأ بالسيطرة على كوريا .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد أيضا نفس الشيء ، وهو أنها أحق من الدول الأوروبية ، وأحق طبعاً من اليابان بأن تستأثر بالصين ، وكانت الصين كما سماها كتاب أمريكي مشهور بعدئذ تسمى « ٦٠٠ مليون زبون » .

وبكداية للتوسع الأمريكى ، وللإجلاء نحو أسسها ، استولت الولايات المتحدة على الفلبين في حروب استعمارية

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية زمناً طويلاً تطبق ما سمي « سياسة العزلة » عن التورط في مشاكل العالم .

وكانت هذه السياسة تعنى في حقيقتها التركيز على استقلال وتنمية الموارد الأمريكية الهائلة في داخل الولايات المتحدة ، ثم التركيز على استغلال الموارد التي لا تفل تراء في أمريكا اللاتينية ، وكانت الولايات المتحدة بتقوتها الصناعي والعسكري ، وبمقتضى مبدأ مونرو الشهير ، قد حولتها إلى ضيقة خلفية خاصة ولم تشترك الولايات المتحدة - لهذا - في الصراع الاستعماري العنيف الذي احتدم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، خاصة ، بين دول أوروبا ، والذي دار حصول التقسام آسيا وأفريقيا . وكان كل ضم الولايات المتحدة أن تعنى « سوفها » وأن تعنى قسمتها الخلفية من أن يمتد إليها كعج وجميع أوروبا .

وكانت الولايات المتحدة - لهذا أيضا - تبدو بعيدة عن شعوب آسيا وأفريقيا ، وتبدو عازلة عن « النهب والسلب » الاستعماري وكانت تستطيع أن تقول وتجد من يخدمه قولها أنها مستعمرة سابقة ولا تريد أن تكرر ضد الآخرين ما عانته هي نفسها .

ومع هذا ، فإن هذا التناقض لم يستمر طويلاً ، وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، تمت الراسمالية الأمريكية نمواً هائلاً دفعها إلى التطلع إلى مكانة رئيسية بين دول العالم « العظمى » ودفعها أيضا إلى البحث عن أسواق وعن موارد الخام ، وعن مبادى استثمار تتجاوز حدود نصف الكرة الغربي .

وكانت أقرب القارات إلى تطلعاتها الجديدة هي آسيا . لأنها كانت تقع على الشاطئ الآخر للباسيفيكي ، ولأنها كانت تحوى أغنى الموارد وأهم المواقع الاستعمارية .

ولكن نفاذ الولايات المتحدة الأمريكية إلى آسيا في ذلك الوقت ، كان عسيراً إن لم يكن مستحيلاً ، فقد كانت آسيا موزعة توزيعاً دقيقاً بين الدول الاستعمارية الأوروبية الكبرى .

كانت بريطانيا قد أقامت إمبراطورية شاسعة قاعدتها الهند .

المتحدة الأمريكية وبين الاتحاد السوفيتي ، الذي كان يفرج الى مسرح الحياة الدولية لأول مرة ، كالثورة النامية في العالم ، وأن هذا التعاضد ينبغي أن يكون محوره . مساعمة الدولتين الرئيسيتين في العالم ، في تحقيق الرخاء والحرية لباقي دوله وشعوبه .

ولكن مات روزفلت وبموته طويت كل مبادئه وسياساته . وقد كان الراساليون الامريكيون في حرب حادة لا تنقطع معه ، وضد كل سياساته الداخلية والخارجية ومن البداية ، وكانوا يرون أن مهمته هي كسب الحرب لهم ، ولهذا فقد اعتبر أن موته حياة في اللحظة المناسبة لهم !

وبعد الحرب كان اليابانيون ، قد تحول كما حلم التوسعيون الامريكيون الاوائل الى بحيرة امريكية ، وكانت القنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكي قد شفت العقد الامريكي العارم على اليابان ، وكانت قد قضت نهائيا على الامبراطورية « الشمس المشرقة » بل وعلى أي احتمال لأن تقوم لها قائمة بعدئذ . وكانت أيضا قد قدمت لشعوب آسيا ، وللعالم كله ، استعراض قوة ، لها تملكه ولما تقدر عليه الولايات المتحدة ولما يؤهلها للسيادة على العالم .

وبعد الحرب ، كانت الدول الأوروبية العظمى قد سقطت جميعا في آسيا ، وكانت قد سيطرت مرة أمام الجيوش اليابانية ، ومرة أخرى أمام شعوب آسيا وفي أعينها وزلات كل هيبة ورجه « الرجل الأبيض » في اعارده الكثير .

وكانت هذه هي الفرصة التاريخية والملائمة التي انتظرتها امريكا ، والتي عطلت من أجلها منذ نهاية القرن التاسع عشر ، بل والتي حدثت من أجلها هذه الحرب .. وكان هذا هو الفراغ الذي عليها أن تتقدم لتزله . وهي تستطيع أن تسيطر على توريا وأن تسيطر على الصين وأن تسيطر على آسيا ، وأن تهدد كل الطرق تسيطر على العالم كله ، بأفضل مما صمم الكون تاناكا .

ولكي تغلص للولايات المتحدة السيطرة على آسيا كان عليها أن تواجه حقيقة أخرى لم تقدرها الولايات المتحدة حق قدرها ، ولم تكن تستطيع أن تدرك حقيقة ابعادها وتلقاها وهي الثورة الاسيوية .

وقد كانت آسيا عامة تفسطرم بالثورة وهي ثورة كانت تأخذ اشكالا واساليب مختلفة ، وكانت ذات عقائد وقيادات مختلفة وكانت تتباين من الفاندية والكلاخ والمحب وعمد العنف ، الى الماركسية كما تصورها ماوتسي تونغ والكلاخ المسلح بالحرب الشعبية ، ولكن كانت اعداؤها جميعا لا تختلف في تحقيق الاستقلال والسيدة القومية وفي اقامة حياة جديدة افضل ، للجماعات التي طال استغلالها واستعبادها .

وقد كان رأى عدد كبير من السياسيين والفكرين الامريكيين الاحرار ، ان على الولايات المتحدة أن تتعلم كيف تتعاون وكيف تتعامل مع هذه الثورات جميعا ، ومنها اختلفت مبادئها ، وأن على الولايات المتحدة ، وهي تخرج لتعلم دورا رئيسيا في العالم أن تقدر القيادات والنظم والنظريات التي تختلف

صريحة فسد اسبانيا التي بقيت لها الفلين منذ عصور الفتوحات الاسبانية الكبيرة ، وحولتها الى مستعمرة امريكية خالصة ، ونقطة امتداد وولوب على آسيا .

وتبريرا للتوسع الامريكي ومداواة له بشوب منطقي وبقتاع «مثالي» . أعلنت الولايات المتحدة مبدأ مشهورا سمى « الباب المفتوح » وهو كفالة حقوق التجارة بلا تمييز لكل الدول الكبرى في سوق الصين !

ومنذ اواخر القرن الماضي احتدم صراع عنيف بين الولايات المتحدة ، والدول الاستعمارية الأوروبية واليابان والفتح حول الصين ، وهي التي كانت اليابان تريد كقاعدة للسيادة على العالم وتريد الولايات المتحدة لتنتهي امبراطورية تكون قاعدتها ، كما كانت الهند قاعدة للامبراطورية البريطانية ، وتريد بريطانيا أن تهيمن عليها استكمالاً للامبراطورية التي لا تقرب عنها الشمس ، وتريد ألمانيا أن تستخلصها من الجميع ، وتريد فرنسا أن تستكمل بها امبراطوريتها في الهند الصينية !

ولكن الصراع كان على اشده بين الاستعماريين الناشئين الفتيين وهما الاستعمار الامريكي والاستعمار الياباني ، وهما يلعان على الشاطئ المضاد للمحيط ، وهما أيضا اقرب البلاد للصين .

وكان لا بد أن ينتهي الصراع الياباني الامريكي للسيطرة على الياباني في أجل السيطرة على آسيا التي تؤدي دورها الى السيطرة على العالم ، كان لا بد أن ينتهي الى صدام فاصل بدا بالمرسة المشهورة في «بيرل هاربور» .

وخلال الحرب العالمية الثانية أعلن روزفلت مبادئة وسياساته لعالم ما بعد الحرب ، « العالم الأفضل » كما سماه .

وكان يريد أن يجد سياسته المشهورة New Deal الى العالم كله . وعلى امريكا أن تقوم بتصفية الامبراطوريات القديمة الأوروبية ، والامبراطورية اليابانية وأن تساعد الشعوب المستعمرة على أن تحقق حريتها بل وأن تساعدوا أيضا على أن تحقق لشعوبها حياة أفضل .

وقد اصطفم روزفلت اصطفاما حادا ذات يوم مع تشرشل حول مستقبل الهند واستقلال الهند .

واصطفم معاوتو روزفلت ورجاله صدامات عنيفة كثيرة مع تشانغ كاي شيك ، وحول مستقبل الصين ، والنظام الداخلي للصين ، وحول الائتلاف واتحاد الوطنية بين الكومنتانغ والتشيوعيين .

وكان روزفلت يعلم بان تقسوم امريكا بدور تاريخي جديد ، هو قيادة عالم جديد من دول متحررة جديدة .

هي الدول المضطهدة والمستعبدة .

وتدعيا لهذه السياسة ، وكركن رئيسي لها ، قال روزفلت ، بضرورة قيام تعاضد طويل المدى ، بين الولايات

وحتى التى تقف على طرفى نقىش من مبادئ وتظم الولايات المتحدة ، وان هذا سوف يكون الامتحان الحقيقى لاعهليه الولايات المتحدة لدور قيادى فى الحياة الدولية والعالية .

وكان اكثر هؤلاء من بقايا عصر روزفلت ومن رجاله او معاونيه . ولهذا فقد كانوا اقلية ، وكان صوتهم صوت معارضة ضعيف ، بلا اثر على مجرى الامور .

وبعد الحرب ، تقرر فى الولايات المتحدة ، ان المهمة الاولى للولايات المتحدة هى انقاذ الحضارة الغربية ، وان هذه الحضارة هى التى تقوم جغرافيا فى دول الغرب وعلى شاطئى الاطلنطى كليهما والتى تقوم روحيا وفكريا ، على القانون الرومانى والفلسفة اليونانية والدين المسيحى .

وتقرر ان انقاذ هذه الحضارة لا يمكن ان يتحقق بتصفية الامبراطوريات الاوروبية وهى مصدر قوة وعظيمة دول الغرب ، وانما بقيام « التكافل » بين دول شاطئى الاطلنطى ، وقيام مجموعة « اطلنطية » بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وزعامتها .

وتقرر ايضا ان عصر السيادة القومية و « التعصب » القومى قد انتهى ، بل وانه سبب كل الشرور التى اصابت العالم ، ولهذا فان على الدول « المتحضرة » ان تقيم « تكافلا » آخر بينها وبين الدول الاسيوية والاfrقية باخذ شكلا آخر ، ليس الاستعمار القديم او السيطرة التقليدية ، ولكن العضوية المشتركة فى احلاف جديدة ، تكفل لهذه الدول الحماية وتسبغ عليها فوائد و « نعم » الحضارة الغربية !

واصطلحت هذه السياسة وكان/ طبيعيا ان تصطبغ بكل الثورات وحركات التحرير الاسيوية وعلى اختلاف ايدئها وايديولوجياتها .

وهى قد اصطلحت بثورات التحرير الاسيوية « الماركسية » التى تقودها احزاب شيوعية فى جهات وطنية مع الاحزاب الاخرى مثل الصين وفيتنام وكوريا .

واصطلحت بثورات التحرير الاسيوية التى تقودها احزاب وقيادات قومية تقدمية وثورية او اشتراكية ديموقراطية مثل الهند واندونيسيا وبورما وبعد الحرب مثلا قررت بريطانيا منح الاستقلال للهند وباكستان وبورما وسيلان وكان قرارا املا بعد النظر الاستعمارى اكثر مما املاه الاعتراف بحقوق الشعوب ، فقد تسلمت الحكم فى تلك البلاد حكومات وطنية ولكن للذين الوالى للغرب نفوذ كبير فيها ، يمكن ان يقوى فيما بعد .

وكان حزب المؤتمر فى الهند ، وان قاده غاندى ونهرو الا انه يغفل بالراسماليين والافطائيين الكبار وكان حزب العنصبة الاسلامية فى باكستان ، يفوقه بمدى كبير فى هذا .

واما فى الملايو ، حيث كانت الثورة تحت قيادة يسادية وماركسية . وحيث كان المطام والقنصدير ضروريا للاقتصاد البريطانى ضرورية قصوى فقد دامت بريطانيا حقوق الشعوب وواصلت حريا مسلحة ضدها .

واراد الاستعمار الفرنسى ان يعود تماما كما كان الامر من قبل الى الهند الصينية ، وكان هوتشى منه « والحزب الشيوعى الهندوصينى » كما كان يسمى فى ذلك الوقت قد كون جبهة وطنية تولت قيادة كفاح التحرير .

وكان « هوتشى منه » قد تعاون مع الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب ، فى تنظيم واستمرار المقاومة ضد اليابان ، بعد استسلام فرنسا وتعاونها مع اليابان فى اسيا .

واراد الاستعمار الهولندى ان يستعيد اندونيسيا كمستعمرة ، وكجزر الهند الشرقية التى استغلها واستبد بها اربعة قرون .

وبعد الحرب العالية بقليل شبت الحرب الاهلية الشاملة فى الصين بين تشانج كاي شيك والكومنتانج وبين الحزب الشيوعى الصينى بقيادة ماو تسى تونج .

وكان موقف الولايات المتحدة ازاء كل هذه الثورات وحركات التحرير ، موقفا استعماريا خالصا . وفى الهند ايدت الولايات المتحدة جلاء البريطانيين بالطبع ، ولم يكن هناك ما تعارضه ولكن حينما بدا نهرو يطبق سياساته لقي معارضة صريحة واحدة من الولايات المتحدة . وقد كان نهرو يريد ان يشق للهند طريقا خاصا « طريقا ثالثا » ليس الشيوعية وليس الراسمالية ولكنه الانشتركية الديمقراطية الهندية .

وكان يريد ان يتخذ للهند طريقا خاصا فى السياسة الخارجية ليس « التكافل » مع احلاف الغرب وليس الانضمام الى الشرق ولكن الحياد الايجابى . وكان يريد ان يخلق نجما من دول اسيا الجديدة والمتحررة ، وتعايشا بين كل انظمتها وقياداتها المختلفة .

ورفضت الولايات المتحدة ان تعترف بالحياد الايجابى ، او بتجمع اسيا المستقلة فى اطار مختلف .

ورفضت الولايات المتحدة مساعدة الهند مساعدة حقيقية ، الا اذا كانت هذه المساعدات للقطاع الخاص ، اى لتدعيم الراسمالية فى الهند ، وحدث ان شلت الهند ان تبني الولايات المتحدة مصنعا للصلب فى بيوكارز فرفضت الولايات المتحدة الا اذا قام به الراسماليون .

وفى اندونيسيا ، وقلت الولايات المتحدة مع هولنده ، ولكن حينما تاكد انتصار الثورة وقفت مع الحركة الوطنية بقيادة سوكارنو . وكانت الولايات المتحدة ، تؤمل كثيرا فى قيادات ووفى فى داخل الحركة الوطنية الاندونيسية ولكن حينما تدعمت قيادة سوكارنو ، وحينما اختار سوكارنو الطريق الذى بدا من ياندونج شنت عليه الولايات المتحدة الحرب حتى اسقطته ، واقامت بدلا منه جنرالات يمينيين يسيطرون على الحكم هناك .

وفى الهند الصينية ، بذلت الولايات المتحدة المساعدات لفرنسا ، واستطاعت فرنسا ان تستمر فى الحرب لمدة تسع

وللفصل بين آسيا وإفريقيا ولتفتت المجموعة الآسيوية الإفريقية .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية والحركة دائرة ومستعرة بين شعوب آسيا وبين الاستعمار الأمريكى ، ولم يستطع أن يحقق نصرا حقيقيا هناك فإن اليابان رغم رعايتها الاقتصادية معزولة عن كل آسيا وتمتد قاعدة أمريكية غربية لا دولة آسيوية ذات دور ، وحلف جنوب شرق آسيا حلف هزيل ، يضم مجموعة من التوابع ، وقد تغلّت عنه فرنسا كما تغلّت عنه باكستان .

وحلف السنتو ، أصبح مجرد واجهة مغلخلة ، وقد تمردت عليه وتململت به أهم دولتين فيه وهما باكستان وتركيا .

وإذا كانت الولايات المتحدة قد حققت بعض النجاح المؤقت ضد مجموعة باندونج واستطاعت أن تسقط النظام الثورى فى اندونيسيا وأن تعرقل التطور الثورى فى الهند وبورما وسيلان إلا أن الحركة هناك لم تنته بعد ولا تزال قائمة ، وتستعيد القوى الوطنية تجمعها لجولة أخرى .

وأما بلاد آسيا الاشتراكية ، فهي تواجه الاستعمار الأمريكى مواجهة تبلغ ذروتها فى فيتنام ، حيث يتلقى الاستعمار لطمات تتتابع كل يوم تقريبا ، وتركة عاجزا مشلولاً وتكشف ضعفه وإفلاسه الداخل أمام شعوب العالم كله .

سنوات كاملة ضد الثوار فى فيتنام ، ومع هذا هزمت فرنسا هزيمة ساحقة مشهورة فى دين بيان فو .

وبعد هزيمة فرنسا ، واصلت الولايات المتحدة بطريق غير مباشر ثم بطريق مباشر ووحشى ، الحرب فى فيتنام وحشد حركة قومية واجتماعية لشعب يطالب بقوله الاساسية .

وفى الصين انحازت الولايات المتحدة منذ البداية لانحياز انعمى الى تشيانج كاي شيك ورغم ما اعلته عدد ليس بالقليل وعلى كل المستويات من الأمريكيين ، عن فشل هذه السياسة ، وكانت النهاية تفهقر تشيانج كاي شيك وقيام الصين الشعبية وهكذا وقفت الولايات المتحدة ضد الثورة الآسيوية القومية والاجتماعية ، وسواء قادها نهرو وسوكارنو ، أو قادها ماو تسي تونغ أو عوتشى منه . وكانت تريد آسيا تابعة و « متكافلة » لا آسيا متحررة أو متكافئة معها .

واعتمدت السياسة الأمريكية فى آسيا بعدئذ على اقامة دولة راسمالية جديدة فى اليابان ، تكون قاعدة السياسة والاستراتيجية الأمريكية وتكون حليفا دائما واثمنا للولايات المتحدة الأمريكية .

واعتمدت السياسة الأمريكية على تطبيق أحلاف آسيوية، حلف فى جنوب شرق آسيا لحصار الصين ، وحلف فى غرب آسيا . وكان يسمى حلف بغداد وأصبح يسمى حلف السنتو ، لحصار الهند وسياسة باندونج وعدم الانحياز ،

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا
وَتَذهَبَ رَيْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .
(صدق الله العظيم)

الاستعمار الأمريكي

في أمريكا اللاتينية

تزيه نصيف

وفي محاولة منها لربط دول أمريكا اللاتينية بنظامها بها ، أنشأت مكتباً تجارياً للجمهوريات الأمريكية في سنة ١٨٩٠ بعد هو المظهر الأول لمنظمة الدول الأمريكية العالية ، إذ تأكلت لهذا المكتب يوماً بعد يوم الصيغة القانونية والصلة الدولية فاطلق عليه « المكتب الدولي للجمهوريات الأمريكية » ثم لقب في سنة ١٨٩٠ « باتحاد الدول الأمريكية » . وقد استغلت الولايات المتحدة المنظمة منذ البداية لمجموعة من المعاهدات الثنائية مع دول أمريكا اللاتينية ، تتعهد فيها هذه الدول بعدم التحالف مع دول اجنبية ، وتقديم ما تحتاج اليه الولايات المتحدة من قواعد عسكرية ، بل ويمنح الولايات المتحدة حق التدخل في الشؤون الداخلية لحماية نظم الحكم القائمة .

والواقع أن علاقات الولايات المتحدة بشريكاتها في المنظمة ، لم تكن قائمة على المساواة أو التكافؤ ، وقد تجل ذلك بصفة خاصة في سياسة « العصا الغليظة » ودبلوماسية الدولار ، أما سياسة « حسن الجوار » التي أعلنها الرئيس روزفلت في سنة ١٩٢٣ فلم تكن سوى تعديل في ظاهر السياسة الأمريكية دون أغراضها . ولعل ادل دليل على ذلك أن الولايات المتحدة سرعان ما عادت الى اتباع سياسة العصا الغليظة (ما ظهر يوشفوس في كوبا والدومنيكان) ، ودبلوماسية الدولار (مما اقتضت أساساً في مشروع التحالف من أجل التقدم) ، كما سترى فيما بعد .

على أن حقيقة المنظمة كواجهة يستتر من وراءها الاستغلال المدعم بالقوة ، غير خافية عن الشعوب في أمريكا اللاتينية وعن كثير من رجال الحكم بها . وفي ذلك يقول فرانسيسكو كانسينو ، السياسي المكسيكي :

« لا يمكن أن نعتقد أن الدفاع عن مصالح الدولة الكبرى في القارة الجديدة يتضمن في نفس الوقت أفضل المزايا للدول الصغيرة في القارة الجديدة » . إن وحدة المصالح ووحدة وجهات النظر التي كانت قائمة فيما قبل الحرب بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية قد انتهت ، وهذه النتيجة أدت لظهورها التطورات الدولية .

روعت القوى المحبة للعدل والسلام بموقف دول أمريكا اللاتينية العشرين (باستثناء كوبا) من العدوان الصهيوني الاستعماري على البلاد العربية ، في الدورة الاستثنائية الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة . ورغم أن القوى الشعبية في أمريكا اللاتينية تتصاف بحكم مصالحها الأبدية في التحرر والتنمية إلى القوى التقدمية في آسيا وأفريقيا ، فقد استطاعت الولايات المتحدة أن تستغل لمصلحتها مجموعة التصويت الأمريكية في الجمعية العامة ، جاعلة من حكومات أمريكا اللاتينية مغلب الفظ ، وذلك حين تقدمت عليه الدول ب مشروع قرار يتضمن وجهة النظر الأمريكية في أغلبها ، بحيث لم يقف من دول أمريكا اللاتينية في التصويت في صف مشروع دول عدم الانحياز ، سوى كوبا وحدها .

والواقع أن قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على استخدام مجموعة التصويت الأمريكية في الأمم المتحدة لمصلحتها ، ليست سوى مظهر من عدة مظاهر لسيطرة الولايات المتحدة الاستعمارية على أمريكا اللاتينية ، هذه السيطرة التي تدعم عن طريق منظمة الدول الأمريكية ، كما تدعم عن طريق العلاقات الاقتصادية والعسكرية والثقافية مع دول أمريكا اللاتينية .

وشنطن ومنظمة الدول الأمريكية :

سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على عمليات التصويت التي تقوم بها دول المنظمة الأمريكية ليست في حقيقتها سوى جانب واحد ، وربما أقل الجوانب أهمية ، من سيطرتها على هذه المنظمة . فقد سمعت الولايات المتحدة - وهي أول من استغل من الدول الأمريكية - منذ البداية ، لأن تكون لها يد في أمريكا اللاتينية ، ولذلك فقد أصدرت في ديسمبر سنة ١٨٢٣ «مبدأ مونرو» الذي يقضي بأن أي تهديد لأية دولة أقليمية من قبل دولة غير أمريكية يعد واقفاً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة . وقد أصبح هذا المبدأ ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية لدول أمريكا اللاتينية واعتبارها متعلقة نفوذ خاصة بالولايات المتحدة .

بنائك سيطرتها المالية على اقتصاديات أمريكا اللاتينية في غضون عدة عشرات من السنين .

ويمثل رأس المال الأمريكي ٧٥ ٪ من إجمالي قيمة الاستثمارات في أمريكا اللاتينية . وقد بلغ مقدار الاستثمارات الأمريكية المباشرة في أمريكا اللاتينية في نهاية عام ١٩٦٥ حوالي ٩٣٧١ مليون دولار . وتسيطر احتكارات الولايات المتحدة على ٢٥ ٪ من الإنتاج الصناعي لأمريكا اللاتينية متضمنا المصانع التي تنتج ٥٠ ٪ من صادرات أمريكا اللاتينية . كما تسيطر الولايات المتحدة على الصناعات الاستراتيجية والتعديلية لأكثر من اثنين وعشرين من المواد الخام الاستراتيجية . ومن أهم هذه المواد :

٩٠ ٪ من صناعات استخراج النحاس ، ٩٥ ٪ من الرصاص ، ٩٨ ٪ من الزئبق ، ٧٠ ٪ من الفضة ، وأكثر من ٥٠ ٪ من البترول . وتتمثل الأرباح العائدة عن هذه الاستثمارات ما يناهز ربع أرباح الولايات المتحدة من استثماراتها الخارجية ، وقد بلغت قيمة هذه الأرباح في الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٦١ حوالي ٤٠,٠٠٠ مليون دولار .

ومن أهم المشروعات التي قامت بها الولايات المتحدة لتتبن عملية استقلالها المنظم لاقتصاديات أمريكا اللاتينية ، ما عرف بمشروع «التحالف من أجل التقدم» . ففي بداية الستينيات ، وبعد الثورة الكوبية ، تهددت بصورة واضحة مصالح الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية ، واضطرت حكومة الوصي جون كينيدي الى اللجوء لوسائل أكثر مرونة، فقامت في عام ١٩٦١ بوضع برنامج التحالف لاجل التقدم الذي كان مؤملا انه لن يستمر لمدة عشر سنوات .

وقد حاولت الفعالية الأمريكية أن تصور أن هذا البرنامج يمكن أن يكون حجر الاساس في سياسة الجار الريب الأمريكي ، وأنه يمكن أن يقود الى التغلب على التغلب الاقتصادي لأمريكا اللاتينية عن طريق قيام الولايات المتحدة « بتوسيع نطاق جهودها في معاونة الجمهوريات الأمريكية على مساعدة نفسها في التوصل الى القوة الاقتصادية ، في ظل الحرية » (٢) ، أي عن طريق اتباع الطريق الرأسمالي في النمو في ظل معاونة الولايات المتحدة .

عل أن الواقع أن أهداف هذا المشروع قد كانت مختلفة تماما . فهو لم يستهدف سوى السيطرة على السياسة الاقتصادية لحكومات أمريكا اللاتينية عن طريق الأجهزة التي تتحكم فيها الاحتكارات ، وفرض السلع والخدمات الأمريكية على بلدان أمريكا اللاتينية ، وتطويع نظم التعليم العام فيها للاستجابة لاحتياجات الولايات المتحدة ، وتأمين الشركات العاملة في أمريكا اللاتينية بتوسيع نطاق السوق أمامها ، والتحكم في عملية التوسع الصناعي في أمريكا اللاتينية . ومن المعروف عموما أن السياسة الجديدة للولايات المتحدة تقوم على تشجيع عمليات التكامل الاقتصادي ، عل أن تحاول فيما بعد أن تستغلها لصلحتها (٣)

والى جانب ذلك ، استهدف هذا المشروع معاورة الثورة

أن منظمة الدول الأمريكية تمثل الماضي السياسي . ومنذ اللحظة التي تبلورت فيها المنظمة ، لم تؤد الا الى تعزيز كافة الحلول السلمية المتخيلة مع ميثاقها نفسه . وعلمنا أن تحكم على إنجازات المنظمة في فسو- ذلك . ولا يستطيع المرء - بادي، ذئ بد- أن يغفل عن ملاحظة الفضل الذريع لمنظمة لم تحقق اى أمل من أمالها النبيلة التي قامت من أجلها . فالمنظمة لم تسهم في التخلص من بقايا الحكم الاستعماري في أمريكا ، ولم تقدم الا الزور اليسر لتحسين الوضع الاقتصادي لدول أمريكا اللاتينية ، كما لم تسهم بشئ في تقوية الثقة ، ومن ثم من العدد من التسليح القائم عل أشده في كل الجمهوريات الأمريكية تقريبا ، ولاهى ، في النهاية ، قد أرست بين الدول الصغرة الشعور بأنهم يستطيعون اللجوء لمنظمة الدول الأمريكية ، اذا كان لمة نزاع مع الولايات المتحدة . أن منظمة الدول الأمريكية كاداة للتقدم والسلام والمساواة بين الدول الأعضاء . قد تختلف كثيرا عن مثلها العليا (١)

المصالح الاقتصادية في أمريكا اللاتينية

ولكن ما الذى يدفع الولايات المتحدة الى الاهتمام بالسيطرة الاستغلاية على أمريكا اللاتينية ؟

السبب هو أن أمريكا اللاتينية لا ي يمثل سكانها أكثر من ١٠ ٪ من سكان العالم الرأسمالي ، تنتج ٢٢ ٪ من بترولها ، ٢٢ ٪ من الرصاص به ، ٢١ ٪ من النحاس ، ٢٠ ٪ من القصدير ، ١٩ ٪ من الزئبق ، ١٩ ٪ من النحاس ، ٤٠ ٪ من الفضة ، ١٣ ٪ من الزئبق ، ٣٤ ٪ من النحاس ، ٣٠ ٪ من القصدير ، ٨٠ ٪ من العالم ، ٧٤ ٪ من الكوبالت ، ٤٩ ٪ من قصب السكر ، ٣٤ ٪ من الكافور ، ٣٣ ٪ من الكتان ، و ١٨ ٪ من القطن ، ١٨ ٪ من الصوف ، ١٤ ٪ من اللحوم .

وتعد أمريكا اللاتينية - حسب ارقام سنة ١٩٦٢ - مصدرا لأكثر من ثلث واردات الولايات المتحدة من المواد الخام . كذلك فإن دول أمريكا اللاتينية هي المصدر الرئيسى لعديد من المواد الخام الأساسية ، فهي تقدم ٩٩,٨ ٪ من مجموع واردات الولايات المتحدة من البوكسيت ، ٩٩,٥ من واردات القصدير ، ٧٩,٧ ٪ من البيريموث ، ٦٣,٩ ٪ من الكبريت ، ٦,٠٦ ٪ من خام الزئبق ، ٤,١ ٪ من خام النحاس ٢٩ ٪ من خام الحديد .

أما من حيث التبادل التجارى فنجد أن الولايات المتحدة تتلقى حوالي ٥٠ ٪ من صادرات أمريكا اللاتينية ، وتقدم حوالي نصف وارداتها ، وبهذا تعد أمريكا اللاتينية سوقا بالغة الأهمية لسلع الولايات المتحدة . ويبلغ معدل تصيب أمريكا اللاتينية سنويا من صادرات الولايات المتحدة حوالي ٣٠ ٪ أى أنها تلى مباشرة غرب أوروبا وآسيا مع ما بهما من أعداد ضخمة من السكان . والتبادل التجارى مع أمريكا اللاتينية مجز للغاية بالنسبة للولايات المتحدة ، لأن معدل التبادل قد تحول في خلال السنوات العشر الأخيرة لغير مصلحة دول أمريكا اللاتينية . وقد يسر هذا من قيام الولايات المتحدة

الأمريكيين أنفسهم . فيقول الكاتب الأمريكي أدوين ليووين
فيما يتعلق بالخطر الشيوعي المدى :

« لا يعتقد أى مراقب جاد بأن الجيوش السوفيتية على وشك أن تغزو نصف الكرة الغربى . فبين روسيا وأمريكا اللاتينية تقف دول حلف شمال الأطلسي فى أوروبا ، والمحيط الأطلسي وأسطول الولايات المتحدة وقواتها الجوية . أما الجانب الغربى من المنطقة فهو أكثر حماية بسبب اتساع المحيط الهادئ وسيطرة الولايات المتحدة على مداخل نصف الكرة الغربى . ومع وجود مثل هذه العجايب الطبيعية والجغرافية ، وهذه التحالفات القوية المعادية للشيوعية ، فإن فكرة وجود خطر خارجي يتمثل فى اعتداء شيوعي تعد فكرة بالغة الغرابة . . . والحقيقة أن أمريكا اللاتينية تعد من وجهة النظر العسكرية أكثر انغلاقا عن الصراع بين الشرق والغرب من أية منطقة أساسية أخرى فى العالم (٥) »

أما فيما يتعلق بما يسمى بالخطر الشيوعي القادم من الداخل ، فيرى الأمريكيون أنفسهم - كما سنشر فيما بعد - أنه أمر مختلف ، وذلك لسبب أساسى هو صغر الاحزاب الشيوعية فى دول أمريكا اللاتينية . وأما فيما يتعلق بحماية دول أمريكا اللاتينية بعضها من بعض فهو هدف واه بصورة واضحة ، لأن النزاعات بين هذه الدول محدودة ، ونادرا ما تصل إلى حالة الحرب ، التى لم تحدث سوى مرة وحيدة فى هذا القرن ، فإن حدثت فإن فضاء من اختصاص منظمة الدول الأمريكية وليس الولايات المتحدة .

وتقوم سياسة واشنطن العسكرية فى أمريكا اللاتينية على ثلاثة عناصر هي : التدخل المسلح ، وتحريك الانقلابات العسكرية ، واستغلال فكرة الدفاع المشترك وتدخل هذه العناصر معا وتختلف بشكل أسلوب سياسة واشنطن العسكرية فى نصف الكرة الغربى .

وحوادث الاعتداءات الأمريكية المباشرة بالقوات المسلحة على دول أمريكا اللاتينية ، وفى ظل سياسة العصا القليظة ، لا حصر لها ، ويمكن أن نذكر من بينها : المكسيك سنة ١٨٣٦ ، ١٨٤٨ ، ١٩١٤ ، ١٩١٦ - الأرجنتين ١٨٣٦ - باراجواي ١٨٥٤ ، ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ - شيل ١٨٩١ - بورتوريكو ١٨٩٨ حتى وقت قريب - كوبا ١٩٠٢ إلى ١٩٣٣ ثم ١٩٦١ - بنما من ١٩٠٤ حتى الآن وبخاصة سنة ١٩٦٤ - نيكاراغوا من ١٨٤٩ حتى وقت قريب - سانكو دومينجو من ١٩٠٧ حتى وقت قريب - فنزويلا ١٩٥٤ ، ١٩٥٨ - هايتى ١٩٦٥ - هندوراس ١٩٠٧ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٩ - باراجواي وبوليفيا من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٥ - جواتيمالا ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢١ وجريمة ١٩٥٤ . وغير هذا كثير .

وقد عادت الولايات المتحدة منذ عدة سنوات إلى احيا سياسة العصا القليظة التى اتبعها تيودور روزفلت وتابعوه منذ بداية هذا القرن ، وذلك فى صورة جديدة تتميز بمزيد من السفور . وقد تأكد ذلك على وجه الخصوص فى التدخل

الكوبية اقتصاديا وثقافيا ، ومنع انتشار الثورة الاجتماعية فى بقية أنحاء أمريكا اللاتينية ، مع اشاعة الفكرة بين القوى المعادية للاستعمار والتخلف فى القارة . وبالفعل نجحت الولايات المتحدة فى السنوات الاولى من عمر المشروع ، الى حد ما ، فى تقوية البروجوازية وتجهيزها الترابط بالولايات المتحدة ، وفى اثارة خلافات خطيرة بين العمال والفلاحين والموظفين فيما يتعلق بصدق نيات الولايات المتحدة . على ان هذا المشروع لم ينجح ، مع ذلك ، فى التوصل الى اهدافه ، وقد صرحت مجلة يو . اس . نيوز آند وركلد ريبوت فى أغسطس ١٩٦٦ ، بأن المشروع قد اخفق على وجه الخصوص فى محاولة تحقيق الاستقرار السياسى . ومن هنا تغلت الولايات المتحدة عن سياسة « الجار الطيب » وعادت لاجراء سياسة « العصا القليظة » من جديد كما سترى فيما بعد .

السياسة العسكرية فى نصف الكرة الغربى
ما هى العوامل والاعتبارات التى تتحدد موقف الولايات المتحدة من فكرة الدفاع المشترك عن نصف الكرة الغربى ؟
ان هذا الموقف يتحدد فى كليتته بمصالح الولايات المتحدة من فكرة الدفاع المشترك عن نصف الكرة الغربى ؟

ان هذا الموقف يتحدد فى كليتته بمصالح الولايات المتحدة . وتتحدد الاهمية الاستراتيجية والعسكرية التى تمثلها أمريكا اللاتينية بالنسبة للولايات المتحدة على أساس اعتبارين هما اهميتها الاقتصادية وموقعها الجغرافى . فأمريكا اللاتينية تمثل مصادرا أساسيا للمتموين بالمواد الزراعية والغام ، وهى ذات أهمية خاصة فيما يتعلق ببلدان الغام الاستراتيجية ، اذ تعتبر أهم مصادرها بالنسبة للولايات المتحدة مثلا : ١٠٠٪ من المانديوم ، والكوبيكوبو ٩٠٪ من الكوارتز البللورى ، ٨٠٪ من زيت الخروع . من التبرنجست والزنك ، هذا بالإضافة الى كميات ضخمة من خام التبرول والزيوت الأخرى كما سبق أن رأينا . أما أهمية أمريكا اللاتينية التى يحددها وضعها الجغرافى فتزعم الى ما يراه رجال السياسة فى واشنطن من أن « أمن الولايات المتحدة يعتمد بدرجة كبيرة على الاحتفاظ بالتحالف العربية لنصف الكرة الغربى فى ايد صديقة ، وعلى حماية الخطوط الجوية للمواصلات والتجارة فى هذه المنطقة من تهديد الدول التى تعتبر معادية من الناحية الدبلوماسية (٤) »

لهذا تهتم الولايات المتحدة بفكرة الدفاع المشترك عن نصف الكرة الغربى وتذكر دائما ان من واجبه تقديم القوات العسكرية بكافة صورها لدول أمريكا اللاتينية . وتدعى الاوساط السياسية الأمريكية انها تستهدف بذلك ثلاثة أغراض هي : حماية دول أمريكا اللاتينية من أى اعتداء شيوعى يأتى من خارج القارة الأمريكية ، حماية هذه الدول من العناصر الشيوعية الموجودة داخل القارة الأمريكية ، ثم حماية دول أمريكا اللاتينية بعضها من بعض .

على أن هذه الاهداف ليست سوى ستار لأغراض واشنطن الحقيقية . فبتجديد هذه الاهداف نجد أنها غير ذات موضوع فى حقيقة الامر ، وهذا موضوع اتفاق كثير من

الحاكمة ، يرفض كل ذلك ، وقد صرح في هذا الصدد لويس فيدال ساليو ، السياسي الاوجوايبي قائلا : « اننا لا ننتوي أن نربط أنفسنا بأية قوات للتدخل ، حتى لو سميت بقوات السلام للدول الامريكية او بأية تسمية أخرى » . وعن نفس هذه الفكرة يقول الكاتب البرازيل لنسون فرنك سودري : « ان الجهد الاستعماري الكبير ، يهدف بلا شك الى تحويل القوات المسلحة القومية (في أمريكا اللاتينية) الى قوات احتلال في خدمة الاستعمار ، وهذا هو الهدف الذي تستغل من أجله الدوائر الاستعمارية كل فرصة أمامها لتلعب لعبة معاداة الشيوعية » .

وتعتمد الولايات المتحدة في تحقيق أغراضها العسكرية وفي تنفيذ سياستها العامة في أمريكا اللاتينية على العناصر الرجعية والاوليجارشيين القفارية والثالية في هذه القارة ، وذلك ادراكا منها للرابطة التي لا يمكن أن تنفصل بين هذه الفئات وبين أغنى فلاح الرأسمالية العالمية . وتعمل الولايات المتحدة على التدخل العسكري المباشر وغير المباشر في شؤون دول أمريكا اللاتينية لكي تحتفظ بالحكم دائما في أيدي الفئات الرجعية والاستغلائية الموالية لها . ورغم أن الانقلابات العسكرية ظاهرة معروفة في أمريكا اللاتينية بسبب أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، فإن الولايات المتحدة تعمل دائما على تحريك هذه الظاهرة والتلاعب بها ، بما يكفل دائما تحقيق مصالحها الاستغلائية . بل أن الولايات المتحدة تهتم بتدعيم مركز القوات المسلحة في الحياة السياسية لأمريكا اللاتينية - عن طريق المعونات وغير ذلك - لكي تحكم سيطرتها على الشعب وتسبب كل صيحة ضد الاستغلال . فالولايات المتحدة لا تستطيع أن تحافظ على استثماراتها الاستغلائية الضخمة في أمريكا اللاتينية الا اذا بقي الاتراب من الملك الاقطاعي والرأسماليين قوة أساسية في الحكم ، وهو أمر لا يمكن أن يستمر الا عن طريق قمع فئات الشعب العاملة والوطنية بالقوة السافرة ، وهو ما لا تدر عليه الا القوات المسلحة بالاستغاثة بالمعونات الامريكية .

وقد قامت في السنوات الخمس الاخيرة انقلابات عديدة كان أصعب الولايات المتحدة في تحريكها غير مستتر ، ومن ذلك ما حدث من انقلابات في الأرجنتين وبيرو وجواتيمالا واکوادور والبرازيل والدومينكان وغيرها ، حيث ظهرت حكومات عسكرية تقوم برامجها على قهر مطالب القوى الشعبية العاملة ومقاومة الاتبعات التقدمية والانحياز الاعمى للولايات المتحدة . ومن المعروف أن هذه الانقلابات تقوم بها عادة العناصر العسكرية المربية في الولايات المتحدة ، مستخدمة السلاح الامريكى ومدعمة بالمعونة الامريكية . وتذكر بعض المصادر الصحفية الامريكية أن ٣١٦٣٢ فلباسا من أمريكا اللاتينية قد تلقوا تدريبهم في المعاهد العسكرية الامريكية في الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ . وقد أرسلت الولايات المتحدة بفرقة من الحربية العالية الثانية بعثات عسكرية الى دول أمريكا اللاتينية - باستثناء كوبا والمكسيك - وما زالت هذه البعثات قائمة حتى اليوم . ومن ناحية أخرى انفتحت الولايات المتحدة ٨٠٠ مليون دولار على المعونة العسكرية لدول أمريكا

الامريكى المسلح في جمهورية الدومينكان في عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ . وقد بدأت الخطوات الاولى لحياء هذه السياسة في نهاية عام ١٩٦٣ عندما أصبح لندون جونسون رئيسا للجمهورية وتوماس مان مساعدا لوزير الخارجية في الشؤون الامريكية ، فقد بدا منذ هذا الوقت التأكيد على « حق » التدخل المباشر من جانب الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية لدول أمريكا اللاتينية . وقد ظهر ذلك رسما فيما عرف « بمبدأ مان » . فقد صرح مان في ٤ مارس ١٩٦٤ قائلا :

« ان الحكومة سوف لا تعارض الانقلابات التي يقوم بها اليمين ، وسوف تحافظ على خطها المعادي للشيوعية » . انه من الصعب في الظروف القائمة اليوم في أمريكا اللاتينية التمييز بين الديمقراطية والدكتاتورية ، ومن هنا فإن الحرب ضد الشيوعية والدفاع عن استثمارات الولايات المتحدة هي أهم أهداف سياسة الولايات المتحدة في أمريكا والاستعمار في اية صورة من جانب قوى القهر التي تعرف باللاتينية » (٦) .

ثم تدعم ذلك الاتجاه بعد عام ونصف عام « بمبدأ جونسون » الأكثر جراءة . ففي ٢ مايو ١٩٦٥ أعلن رئيس الولايات المتحدة أن « الدول الامريكية لا تستطيع ، ويجب الا تقبل ، وسوف لا تسمح بقيام حكومة شيوعية ثانية في نصف الكرة الغربي » . وبهذا كانت واشنطن تطالب لنفسها بحق جماعي في العقاب لأي نظام لا يناسب الولايات المتحدة (٧) - وأخيرا اعتمد هذا الخط السياسي بفرد من مجلس النواب في الكونجرس الأمريكي في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥ نص على أن « أي واحد أو أكثر من الأنراف السامية الموقعة على المعاهدة الامريكية للتعاون للتبادل يمكن أن يذهب - في قيامه بالدفاع عن النفس أو إذا واجهته - الى حد اللجوء للقوة المسلحة ، والقيام بعمليات المقاطعة ومقاومة التدخل ، في مواجهة التدخل والسيطرة والتحكم بالشيوعية الدولية ، ومن جانب متطاعها في نصف الكرة الغربي » .

ان الولايات المتحدة تسعى الى جعل فكرة الضمان الاقليمي المشترك وسيلة من وسائلها في السيطرة على أمريكا اللاتينية والتدخل في شؤون دولها ، وذلك عن طريق اقامة قوة عسكرية امريكية مشتركة تكون للولايات المتحدة السيطرة عليها بحيث يسهل ذلك لها القيام بأعمال التدخل باسم ضمان الامريكى في الدفاع . وقد اتضح ذلك بصورة جلية في العنوان الاخير على جمهورية الدومينكان حيث كانت القوات الامريكية هي القائمة بالمعونات بالاشتراك مع حفنة قليلة من جنود عدة دول من أمريكا اللاتينية . وقد حاولت الولايات المتحدة في مؤتمر انعقد للدول الامريكية في فبراير ١٩٦٧ أن تجعل من مكتب الدفاع الامريكى المشترك جزءا من منظمة الدول الامريكية ، لكي تسهل لها الدومينكان التامة عليه فيصبح هيئة عسكرية دائمة تابعة فعليا للبتاجون أو على الاقل قوة بوليس للولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية . على ان الرأي العام في أمريكا اللاتينية وجانب من القاطعات

السياسية وبغضوث « ثورة اجتماعية سلمية ديمقراطية في نصف الكرة الغربي » . واستجابة لهذه النظرية صرح أحد الشخصيات السياسية في البرازيل بأنه « طبقا لجهود المفهوم الجديد ، فإن حدود البرازيل - واتباعا لنموذج الولايات المتحدة - يمكن أن تتسع حتى برلين إذا اقتضت الحاجة » .

وطبقا لهذا المفهوم يلوح في وجه كل محاولة للخروج عن نطاق المفاهيم الرأسمالية والنموذج الأمريكي بتهمة « الشيوعية » و « القديلية » (نسبة إلى فيدل كاسترو) ، ومن هنا يصبح جميع المطالبين بالبحرية والاستقلال والمساواة والعدالة شيوعيين في نظر واشنطن . وفي ذلك يقول أحد أعضاء المعارضة في كونجرس كوستاريكا :

« هناك نوعان من الشيوعية : شيوعية Communism

تبدأ بحرف C وشيوعية Kommunism تبدأ بحرف K . النوع الأول هو التيار الملوث الذي يمثلته الحزب الشيوعي في موسكو ، والنوع الثاني هو أي تيار سياسي واجتماعي ديمقراطي يحاول أن يدافع عن مصالح الجماهير العاملة ، أو مصالح الرؤساء والمستغلين في العالم ، أو يتحدث عن السيادة أو القومية ، أو يجري على نقد الولايات المتحدة » .

« وأنا ، أيها الأعضاء الموقرون ، شيوعي Kommunism بحرف K لأنني بصراحة ضد السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، لأن هذه السياسة قد ألحقت أذى كبيرا بي وبكل أخوتي في أمريكا اللاتينية . . . أنا في أمريكا اللاتينية لم أعرف سوى شيكاتاروف حقيقي واحد ، هو السياسة الخارجية للولايات المتحدة » (٧١) .

وعلا رغم من هذا الهجوم الثقافي والارهاب الايديولوجي على الشعوب الأمريكية اللاتينية مصرع على استكمال استقلالها السياسي والثقافي الكامل، وتحقيق العدالة الاجتماعية والسير في طريق التنمية التقدمية ، دون تقليد بالأسلوب الرأسمالي أو النموذج الأمريكي . وفي محاولة للتعبير عن ذلك يقول السياسي الونشي فيكتور راول هابادي لانوري :

« في رأيي أن اصطلاح « أمريكا الاسبانية » يتطابق مع العهد الاستعماري ، وأن اصطلاح « أمريكا اللاتينية » يتطابق مع فترة الجمهورية ، وأن اصطلاح « أمريكا المتحدة » يعد تعبيرا عن الاستعمار الأمريكي . أما « أمريكا الهندية » فهو التعبير عن المفهوم الثوري الجديد لأمريكا ، التي ستخلف - بعد أن عبرت خلال فترة السيطرة الاسبانية والانجليس - سكونسيو - تنظيمها سياسيا واقتصاديا متميزا على أساس قومي يضم عملها . . . الذين أقاموا أساس انتاجيتها ومعور حياتنا الاجتماعية منذ الفترة السابقة لكولبس » (٧٢)

فثمة إذن سعي إلى البحث عن الذات ، وثمة اصرار من الفئات الشعبية العاملة على التقدم والنمو . ومن أجل ذلك تتجمع القوى الجماهيرية التي تضم الملايين وهم الغالبية العظمى من السكان ولهم تنظيماتهم الثورية ، وبخاصة في بلاد مثل المكسيك والبرازيل وشيلي وفنزويلا ، ثم العمال ويزيد عددهم في أمريكا اللاتينية على ٢٥ مليوناً ، وذلك

اللاتينية في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٤ . ولقد صرح هوبرت همفري نائب رئيس الجمهورية الأمريكي في أكتوبر ١٩٦٣ بأن القوة العسكرية الناشئة عن برنامج العودة العسكرية الأمريكي « لا تستخدم في المحافظة على الأمن الداخلي والدفاع عن هذه الدول ضد التهديدات الخارجية ، وإنما هي تقوية وتوسيع مكانة القوات المسلحة في المجتمع بصفة عامة » . ومن هنا فليس غريبا أن نجد قادة الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية (الكورديلو) مدربين في الولايات المتحدة ومسجلين من البنتاجون ، والامثلة على هذا عديدة من قادة الانقلابات العسكرية الرجعية في هندوراس والدومينيكان واكوادور والارجنتين وغيرها .

الاستعمار الايديولوجي في أمريكا اللاتينية

تبرر الولايات المتحدة كل مسلك لها في أمريكا اللاتينية، بأن ثمة خطرا شيوعيا يهدد القارة من خارجها ومن داخلها، وأنه ينبغي مواجهة هذه الاخطار جماعيا . وبدعى الأمريكيون أن « أمريكا اللاتينية أصبحت تمثل مخاا لتهلثا لدعاة الشيوعية ، ففي مجتمع يصطب طبقة عليا (أو صلاوة - صفة) وقوية في نفس الوقت ، وطبقة وسطى ليست بذات قيمة من حيث العدد أو التأثير ، لمجموعا من المصميين الاميين ، مع بحر كتيب من البؤس ، في مثل هذا المجتمع تصبح الحاجة إلى الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي كبيرة ، وما لم يمكن مقابلة هذه الحاجة في نطاق الاطار الحكومي القائم ، فإن الشيوعية ستجد استجابة كبرى » (٩) .

هذه العبارة لأحد الأمريكيين واسعة الدلالة في التسليم باليؤس الذي تجنيه الجماهير العريضة في أمريكا اللاتينية . ومن ثم يصعب كفالة النظام الرأسمالي الذي تروج له الولايات المتحدة هناك بقوة - للاستجابة لحاجات هذا المجتمع . ولكن هل صحيح أن أمريكا اللاتينية تهددها الشيوعية ؟ أو هل إذا التزمنا أن الشيوعية في حد ذاتها ، وإذا جاءت انبثاقا طبيعيا عن ظروف مجتمع ما تمثل خطرا عليه ؟ الواقع أن فكرة الخطر الشيوعي الداخل يعرف الأمريكيون وأبناء أمريكا اللاتينية على السواء ألا وجود لها فالحزبات الشيوعية في دول أمريكا اللاتينية أحزاب صغيرة بصفة عامة ، وتراوح العضوية فيها من حوالي ٥٠٠.٠٠٠ في الأرجنتين وجواتيمالا وهندوراس ، إلى عضوية لاتذكر في هايتي والدومينيكان .

وتنشط الولايات المتحدة من هذا الخطر الوهمي ذريعة لكي تفرض على أمريكا اللاتينية حصارا ثقافيا وايديولوجيا في محاولة لعزل أمريكا اللاتينية عن الفكر الثوري المعاصر ، بدعوى أن لنصف الكرة الغربي قوانينه الخاصة في التطور الاجتماعي والاقتصادي وذلك هو هدف نظرية « الحدود الايديولوجية » التي ابتدعتها واشنطن وتروج لها الآن البرازيل في أمريكا اللاتينية ، وتهدف هذه النظرية إلى الاحتفاظ بأمريكا اللاتينية في نطاق النظام الرأسمالي أو عاتسميه « بالجماعة الثقافية الغربية » وذلك من طريق القيام بعدة اصطلاحات جزئية في بلدان أمريكا اللاتينية (١٠) .

وقد أكد جونسون هذه النظرية في ١١ مايو ١٩٦٤ حين عبر عن جديد عن اهتمام الولايات المتحدة بالديمقراطية

لقد كانت الولايات المتحدة هي أول من ابتكر أسلوب الاستعمار الجديد ، وكانت أمريكا اللاتينية أول من عانى من ويلاته . ولقد ظلت شعوب أمريكا اللاتينية تحارب لمدة قرن ونصف قرن من أجل التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي الكامل ، وشهدت هذه المنطقة في هذا الصدد أكثر من ثورة تاريخية . على أن ما حدث في كوبا كان أول ثورة اشتراكية في هذا الجزء من العالم . ولقد كان لهذه الثورة دلالاتها وبخاصة فيما يتعلق بسيطرة الولايات المتحدة على هذه الآلة . فقد أثبتت هذه الثورة أنه لا يمكن إذا قام أي نظام اشتراكي وطيد لأية قوة في العالم أن تعوق تقدمه ، كما رسمت هذه الثورة بداية الطريق نحو التحرر الثوري السريع في أمريكا اللاتينية ، والتخلص من الاحتكارات الأمريكية ومن الولىجاريان المحليين على السواء (٢١) ، وأخيرا فإن هذه الثورة قد غيرت من الأوضاع الدولية في هذا الجزء من العالم حيث أصبحت الشعوب اللاتينية والدول الاشتراكية والتامة تحتضن هذه الثورة ، وبذلك أضحت كوبا رأس سهم مصوب إلى قلب الإمبراطورية الاستعمارية الأمريكية في حوض الكاريبي ، وبدا واضحا أن عصر الإمبريالية الأمريكية في هذه المنطقة لن يطول .

إلى جانب المثقفين والطبقة الوسطى الصغيرة ، وتعمل الولايات المتحدة دأبة على التفرقة بين هذه الفئات التقدمية وتزيق الجبهات الوطنية التي تكونها في أكثر من مناسبة ، مستخدمة في ذلك كافة الوسائل .

وتستغمد الولايات المتحدة في سبيل تدعيم استعمارها الثقافي والايديولوجي عددا فسيحا من أجهزة التعليم والثقافة والإعلام والنشر لترويج الأفكار المضادة للاشتراكية والتقدم والتأكيد على أهمية الطريق الرأسمالي في النمو بالنسبة لأمريكا اللاتينية وضرورة الانحياز والتواطؤ مع الولايات المتحدة . وتشرع في سبيل المثال إلى وسيلة من هذه الوسائل وهي الكنيسة الكاثوليكية ، ومعروف أن لها تأثيرا كبيرا على العناصر الريفية وفئات البورجوازية الصغيرة في المدينة . وتقوم كنيسة ألمانيا الغربية بمساعدة الولايات المتحدة في هذا الصدد ، والهدف من ذلك - كما تذكر صحيفة داي فيلت الألمانية - هو إقامة « حصن كهنوتي ضد القيدلية » . ومن هذا يظهر أن الولايات المتحدة تستغمد كافة الطرق لضمان احكام حصارها الثقافي والايديولوجي حول أمريكا اللاتينية .

1. Francisco Cancino, « The Foreign Policy of Mexico », in Black and Thompson (eds), Foreign Policies in a World of Change, New York, 1963, p. 665.
2. Victor Urquidí, The Challenge of Development in Latin America, New York, 1962, p. 142.
3. R. Iscaro, « The Working Class in the Struggle for the Liberation of Latin America », in Peace, Freedom and Socialism, Prague, March 1966, p. 28.
4. Cecil Crable, American Foreign Policy in the Nuclear Age, Evanston, 1960, p. 304.
5. Edwin Lieuwen, Arms and Politics in Latin America, New York, 1961, pp. 208, 209.
6. R. Leonidov, « Aggressive U.S. Policy in Latin America », in International Affairs, Moscow, February 1967, p. 56.
7. L. Kamynin, « Inter-American Force — A Weapon of Neo-Colonialism », in International Affairs, Moscow, March 1967, pp. 27, 28.
8. I. Yermashov, « Caudilles in Latin America », in International Affairs, Moscow, January 1964, pp. 34, 39, 40.
9. Julius Pratt, History of United States Foreign Policy, Prentice-Hall, 1965, p. 532.
10. A. Shulgovsky, « The Crisis of Western Civilization Ideas in Latin America », in International Affairs, Moscow, April 1964, p. 21.
11. Halcro Ferguson, Latin America, London, 1961, p. 66.
12. S. Mikhailov, « The Cuban Revolution and Latin America », in International Affairs, Moscow, December 1963, pp. 44, 45.



الاستعمار الأمريكي .. في إفريقيا

بدايته واتجاهاته الأساسية

محمد حقي



ARCHIVE

الأمم المتحدة ضد تجارة الرقيق ، ولكن المستشار الزنجي أجاب سلزنجر أسسًا بأن «الزنج الافريريكيين لاتهمم هذه الامور على الإطلاق» !

غير انه لا شك ان حركة القومية الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية كان لها اثرها ، ولكن معظم الدراسات تجمع على ان هذا الاثر كان محدودا في ميّدا الامر . بدأ في الجامعات، وفي بعض الاعتمادات الفردية مثل محاولات الصعلى التجول جون جنتر في كتاب « في داخل افريقيا » سنة ١٩٥٥ . وتكاد الولايات المتحدة تشترك مع الاتحاد السوفييتي في الاهتمام الرسمي بالقارة الافريقية ، فانشأت وزارة الخارجية الامريكية ادارة للشئون الافريقية ، ومع ذلك فقد كان عدد موظفي الخارجية الامريكية الذين يعملون في المانيا الغربية أكثر من جميع الدبلوماسيين الامريكيين الموجودين في افريقيا كلها . ذلك طبعا سببه مفهوم هو - على حشد تفسير سلزنجر نفسه - « اننا - أي الامريكيين - كنا نعتبر افريقيا والقة تحت مسؤولية أوروبا الغربية (أي الدول الاستعمارية) بصفة رئيسية ، ولما انضمت معنا تلك الدول الاستعمارية في حلف الاطلنطي، أصبح لدينا فيما يبدو مزيدا من الاسباب للاحالة القضايا الافريقية اليهم معافظة معنا على مصلحة التضامن الاطلنطي !

ويطول عام ١٩٦٠ ، كانت افريقيا قد حفرت لنفسها

بالرغم من ان عشرة في المائة من سكان الولايات المتحدة ينحدرون من أصل افريقي ، فلم تكن هناك علاقة للولايات المتحدة بافريقيا الا منذ نحو عشرين سنة فقط ، وتكاد معظم الكتب والدراسات الجامعية الامريكية تقدم اعمالها بمقدمة تذكر فيها هذه الحقيقة ، ويحدثنا المؤرخ المعروف آرثر سلزنجر ، صديق الرئيس الامريكي الراحل جون كيندي ، في كتابه عن فترة حكمه القصيرة بعنوان « الالف يوم » يقول : « لقد بقيت افريقيا أكثر من أي قارة أخرى خارج حدود الوعي الامريكي ، بل انه حتى سنة ١٩٦٠ ، كانت اهتماماتنا المباشرة بافريقيا ، سواء السياسة أو الاقتصاد أو العسكرية أو الثقافية غشيلة للغاية ، ولم تعط برامج المساعدات الامريكية أكثر من مساهمة رمزية لاافريقيا ، ومن الاستثمارات الامريكية في الخارج التي تبلغ ٣٠ مليار دولار كان اقل من ٢ في المائة منها فقط يستثمر في افريقيا !

بل ان الامريكيين المنحدرين من أصل افريقي ، وهم الزنوج الذين يبلغ عددهم نحو ٢٠ مليونا تقريبا لم يكونوا مهتمين كثيرا بافريقيا حتى بدأت دولها في الاستقلال ، اذ يذكر سلزنجر انه اثناء الحملة الانتخابية سنة ١٩٥٦ اقترح على أحد مستشاري ادلاي ستيفنسون (مرشح الحزب الديمقراطي يومئذ لرئاسة الولايات المتحدة) - وهو زنجي- ان يستغل الديمقراطيون معارضة حكومة أيزنهاور لقرارات

مكانا هاما في الوعي الأمريكي ، من النواحي السياسية والعسكرية والمالية ، حتى ان احدهم اوصى الرات التي جاء ذكرها في خطب الرئيس كينيدي في حملته الانتخابية سنة ١٩٦٠ فلفت ٤٧٩ اشارة !

وينبغي هنا أن نحدد دور الولايات المتحدة تجاه افريقيا، وما تريده منها ، والاسباب التي من اجلها تلعب الولايات المتحدة هذا الدور الذي تلخص في ورائته في وراثة الدول الاستعمارية ، والدخول محلها في اكبر القارات باستثناء آسيا .

والسؤال الاول الذي يضيء لنا مدخل الموضوع هو دور الولايات المتحدة مع الدول الافريقية قبل الاستقلال ، ثم دورها معها بعده . والامر الذي يدفعنا الى طرح هذا السؤال هو احتضان الولايات المتحدة لبعض حركات التحرير في القارة الافريقية مثل بعض الحركات في انجولا وموزمبيق - مستعمرتي البرتغال في افريقيا .

وهناك كثير من الوثائق التي تشير الى هذا الدور ، ولنتنقل هنا عن دراسة «عصبة افريقيا» وهي جماعة أمريكية شبه حكومية في نيويورك ، تمولها وكالة المخابرات الأمريكية المركزية لانشاء علاقات مع الدول والحركات الافريقية وتكوينها ، والدراسة بعنوان « سياسة أمريكية جديدة تجاه افريقيا » مطبوعة في نيويورك سنة ١٩٦٠ ، وتقول في جزء منها : « لم يكن ما يعقد السياسة الأمريكية تجاه افريقيا

قط اية اعتبارات افريقية ، وانما كانت تعددها دائما اعتبارات معادية لافريقيا ، استنادا الى تقليد طويل الراسخ للحرب الباردة ، تلك الحرب التي رسمت لنا حدود تحالفنا في حلف الاطلنطي مع الدول الاستعمارية في أوروبا الغربية .. وكلما كانت مصالح حلفائنا الأوروبيين تتصارب مع الوطنيين الافريقيين ، كانت سياستنا يحكمها الجهل بالحقائق. وهناك شواهد كثيرة على ذلك من الماضي القريب ، فلقد اتوا مشاعر زعماء الوطنيين المغربين عندما تفاوضا مع فرنسا مباشرة بشأن القواعد العربية على اراضي المغرب ، ووقفنا ضد الزعماء الجزائريين الوطنيين في كل القضايا الكبيرة والصغيرة ، وصوتنا ضدهم في الامم المتحدة ، وايدنا رسميا عقود شركات البترول الأمريكية مع الحكومة الفرنسية بالنسبة لامتيازات بترول الصحراء الكبرى ، حتى عندما حولنا الجزائريون باتهم لن يحترموا هذه الإنفاقيات بمسد الاستقلال .

واغلقت الباب في وجه ممثل الوطنيين الجزائريين لدخول الولايات المتحدة (لعرض قضيتهم على الامم المتحدة) وسمعتنا لفرنسا باستخدام أسلحتنا التي ترسلها الى أوروبا في الحرب ضد الجزائر ، وكانت الطائرات الأمريكية هي التي استخدمت في ضرب مدينة « سافية سيدي يوسف » عبر حدود الحرب الجزائرية ، ذلك كله بالرغم من اننا كنا واثقين من أن الجزائر تستحصل على استقلالها قريبا ، وأن حكومة الجزائر المستقلة ستدرك هذه الحقائق ، ولن تملك الا أن تكون هذه الحقائق سياستها تجاهنا في المستقبل !

أما عن دور أمريكا تجاه الدول الافريقية بعد الاستقلال، فتحكمه بلا شك المصالح الأمريكية قبل أي شيء آخر ، الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، وفداخلت أسلوبا جديدا يتلدم مع طبيعة العصر غير أسلوب الاستعمار المباشر الذي كانت تتبعه الدول الاستعمارية الأوروبية ، بل انه يتلدم مع تاريخ الولايات المتحدة نفسه في ليبيا نفسه .

فقد كتب اتوني ايدن - بعد تجربته المرة في السويس - يجب على اتهامات بعض الأمريكيين لبريطانيا بأنها دولة استعمارية وانها كانت تتبع أسلوبا استعماري في معالجتها لتفسيه السويس ، فقال في كتابه « الدائرة الكاملة » : لقد لاننا الكثيرون من الأمريكيين على سياستنا بل ووصل الحد بعضهم الى وصفها « بالاستعمار » ، ودعونا لنحلل معنى هذه الكلمة ببساطة ، فهي تعني في الواقع « الوجود » لدولة غنية ومتقدمة ، في دولة أخرى اقل تقدما ، بحيث تحقق عن طريق هذا الوجود امتيازات كبيرة لاموالها ، وللولايات المتحدة وجود في كل من المملكة السعودية وليبيا ، وليس هناك تحقق في كل منهما استثمارات مالية ضخمة ، وليس هناك اوضاع اجتماعية في أي دولة أخرى أحسن من اوضاع هاتين الدولتين ، غير أن أمريكا لم تعبا باجرا، اية خطوة لتفسيه على حكومتى هاتين الدولتين لتحقيق قدر أكبر من المعادلة السياسية والاجتماعية ... اما نحن فقد سعينا على الاقل في الدول التي كان لنا فيها وجود الى انشاء نظام سياسي واجتماعي يحقق قدرا من العدالة والديمقراطية والاستقرار !

والعروف أن شركة « فايرستون » تحقق أرباحا هائلة في ليبيا ، فهي تبلغ ١٦٠ مليون دولار من مفاط ليبيا كل عام منذ ٢٥ سنة ، لا تتلقى الحكومة الليبية منها أكثر من ٨ ملايين دولار ، معدل الربع الصافي الذي تتحققه هذه الشركة الأمريكية لثلاثة أضعاف دخل ليبيا كله .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وسياسة الولايات المتحدة في العالم تحدد ظروف الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي ، وتطورها معا كالقوى كوتين في العالم كله ، ومن هنا فقد برزت أهمية افريقيا من النواحي الثلاث التي ذكرناها - الاستراتيجية والسياسة والاقتصادية .

وفي مقال يكشف عن الكثير من الحقائق التي تحدد الاهمية الاستراتيجية العسكرية لافريقيا كتب الاميرال ريتشارد كونوللي (مدير جامعة لونغ ايلاند الآن) في كتابه « افريقيا اليوم » بعد أهمية كل من : شمال افريقيا وقواعد المغرب ، مدخل البحر الابيض المتوسط ، مصر وقناة السويس ، انجوليا والصومال والسيطرة على الخليج الهندي ، شرق افريقيا وموارده الغنية ، ومشغور والانتزاف على الممرات البحرية حول رأس الرجاء الصالح وقاعدة وييجو سوازيل ، ثم جنوب افريقيا وداكار والسيطرة على المحيط الاطلنطي ، حتى يقول :

ان الشرق الاوسط ومصر بصفة خاصة هو المدخل البري الى افريقيا ، فاذا استطاع العدو أن يصبح له موضع قدم هناك فسيكون الطريق مفتوحا أمامه غربا على الساحل الشمالي لافريقيا ، وجنوبا عبر السودان واليوبيا - وستكون

حلف شمال الاطلسي احد الاجهزة الهامة التي تجسم هذا الائتلاف ، والواقع ان دول هذا الحلف تشترك معنا في تراث ثقافي واحد (المسيحية الغربية) والاقتصاد المختلف البني على الاسواق الحرة نسبيا ، والايمان بايديولوجية واحدة ، كما يشتركون في هدف واحد ايضا هو الدفاع عن مستوى المعيشة الذي وصلوا اليه والمحافظة على « الوضع الراهن » في العالم كله .

ومن ناحية اخرى فان الاتحاد السوفيتي استطاع بعد الحرب العالمية الثانية ان يصل الى درجة من التنمية الصناعية والعسكرية تمكنه من تحدي الدول الغربية في الميزان الدولي ، ومن هنا فعندما ظهرت حركات التحرير في الخمسينيات سعت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى خطب ودها .

وبالرغم من ان ياندونج كانت نقطة تحول في العالم كله ، لانه وضعت العالم الثالث على الخريطة ، فقد ارتكبت الولايات المتحدة - من حد قول والرشتين الى ذوبان الثلوج بينها وبين روسيا - والتفاهم الذي كان كئيدى يحاول ارساء قواعدهم معها ، لتتعلق بعدها في افريقيا بهدف الإبقاء على « الوضع الراهن » في القارة ، على اساس انها تنظر الى هذه المرحلة ، على اعتبار انها مرحلة « تعاون متضارب » لا تصل الى حد العداء الكاملة .

ولا يبنى نقلنا عن والرشتين الاتفاق معه في الرأي ، وانما هو يرسم وجهة النظر الامريكية ، التي ذهبت بعهد تفكك الكتل وظهور الجنرال شاول ديجول بسياسة مستقلة عن امريكا والصين بسياسة اخرى مستقلة عن روسيا - الى حد تعبير الانقلابات العسكرية في ١٣ دولة افريقية ببساطة لان عددا منها حلوا حلو ديجول واعترف بالصلين الشعبين التي اعلنت على نفسها ان لاى ان افريقيا « ناضجة للثورة » وانها تؤيد حروب التحرير في كل مكان في العالم !

وبدا وجه امريكا يتكشف ككفاند لحركة الثورة المضادة في العالم ، ويتصدى لاي حرب من حروب التحرير - مثلما يجري في فيتنام - والعمل على محاولة هزيمتها اينما نشبت ، وبدأت بنشاط اجابى في تدعيم النظم الرجعية التي لانضلت شعوبا ، بل وقامت باعمال التخريب فيها - كما في حالة جواتيمالا مثلا - تلك السياسة التي ندد بها المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي ووصفها بانها لا اخلاقية !

واتبعت السياسة الامريكية اسلوب اولهما مكشوف والثاني مستتر . وقد تحدث عن الاول ادوارد كوردي سسلير امريكا في اديس ابابا في تقرير رده الى الرئيس كيندون جونسون (نيويورك تايمز ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٦) وقد وافق جونسون على التقرير واصبح يعدد الخط الرسمي للسياسة الامريكية في افريقيا ، ولا يخسر التقرير عن التقسيم الامريكي التقليدي للعالم الى ابيض واسود ، فك ما هو موال للغرب فهو ابيض ، وكل ما يعادى الغرب - حتى ولو كانت حركة وطنية تحريرية - يصبح شيوعيا اسود . . ويقول التقرير ان التركيز الآن في افريقيا هو على مساعدة الدول « المختارة » ذات الاهمية الخاصة ، بدلا من اسلوب

جائزته من هذا التقدم البحري هي منطقة شرق افريقيا الغنية . . وجائزته شمالا هي السيطرة على البحر الابيض المتوسط ، وقطع الملاحة والاستيلاء على القلعة الشمالية الغربية في افريقيا التي تحمي الجناح الجنوبي لاوروپا الغربية ، او في حالة الهجوم تصبح معبرا او « منقا » للهجوم منها على اوروپا الغربية ، وفي النهاية نتج السيطرة على داركا كخطوة طبيعية ، وتعددت يصبح الاتحاد السوفيتي على عتبة ابوابنا . وتهدد سيطرنا على الاطلسي ، كما تهدد امريكا اللاتينية .

وبعض كوتنل قال : « ذلك كله دون ان اتعرض للموارد المادية الهائلة للقارة ، ولا شك ان خسارتها مكسب للعدو ، وسيميل ميزان المواد الاولية الضرورية سواء للهيمنة الاقتصادية او للاستعداد لاي حرب بحيث يصبح في صالحه » . هذا هو الكابوس الخيف الذي ينبغي لنا - في السنوات القادمة - ان نمنعه من ان يتحقق سواء كليا او حتى جزئيا !

هذه الاهمية الاستراتيجية هي التي تعدد سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه عدد من القضايا الافريقية ولتضرب لذلك مثلا واحدا ، هو موقف امريكا - مثلا - من الاستعمار البرتغالي في القارة ، في انجولا وموزمبيق .

فعندما نالت نحو ١٦ دولة افريقية استقلالها سنة ١٩٦٠ ، صممت على ازالة قضية الاستعمار عامة والمستعمرات الباقية تحت سيطرتها - ومنها انجولا وموزمبيق - بصفة خاصة . غير ان امريكا تعتمد عسكريا على المنشآت العسكرية والبحرية التي قمتها لها البرتغال في حزب الازور . وفي صيف سنة ١٩٦١ مثلا ، أعلن رؤساء هيئة اركان الحرب المشتركة ان قاعدة الازور حيوية بالنسبة للامن الامريكي في حالة ما اذا نشبت اى متاعب حول برافيس . ولم ابد احد من الشككة الى اخراج واستنقاذ حرجا شديدا ، وانصر انصار اوروپا في الحركة حتى انهم على حد قول الاقتصادي المعروف جون كينيث جالبريث : « باعوا افريقيا في مقابل بعض الافدنة من الاسفلت وسط الاطلسي » ، ووجد الدكتور انطونيو سالازار حلا يحفظ لوشنظون ما ، وجهها - التي كانت تقف ضد مشروعات فدرات الامم المتحدة بادانة البرتغال بشأن انجولا - فقرر ان يسمح للامريكيين باستخدام هذه المنشآت دون ان تتجدد الانفاقية رسميا !

اما الناحية السياسية ، وحرص امريكا على بسط سيطرتها على الدول الافريقية ، والحلول محل الدول الاستعمارية الاوروپية التقليدية ، فيلقى لنا بعض الاضواء عليها ايمانويل والرشتين ، استاذ الشؤون الافريقية بجامعة كولومبيا ، في كتابه « افريقيا : سياسات الوحدة » فيقول : « اقيم النظام الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على اساس ان هناك توترا بين القوة الدولية المهيمنة وهي الولايات المتحدة ، وقوة دولية ثورية هي الاتحاد السوفيتي . وقد اصبحت امريكا مهيمنة بسبب قوتها الاقتصادية والعسكرية وبالتالي السياسة التي لا مثيل لها . وقد زادت هذه الهيمنة عندما نظمت الولايات المتحدة ائتلافا من معظم الدول الصناعية الاخرى وتولت قيادته ، وتعد منظمة

بدأت بالفعل ، وسوف تكون هذه المرحلة أخطر بكثير جدا من المرحلة الاولى .. فلن نرى قوة استعمارية تشن الحرب ضد قوة استعمارية أخرى من أجل السيطرة على إفريقيا ، فهذا أسلوب فح لم يعد يتلاءم مع سنوات الستينات - لا ... في هذه المرة ، سيؤم الافريقي بدمج اخيه الافريقي ، لا في سبيل المصلحة الافريقية ، وانما في سبيل مصالح الاستعماريين - سواء أكانوا يمثلون الاستعمار الجديد أم القديم ..

وهكذا تشاهد اليوم في نيجيريا وفي الكونجو ، ومن يدري أين أيضا في القند .. الانقسامات والحروب الاعلية خدمة لمصالح البترول هنا ، والمعادن هناك !

وتشاهد الانقلابات العسكرية في إفريقيا وهي تفشل في تحقيق أي قدر من التقدم أو الرفاهية لبلادها ، وتتحول الى امحطلات على الطريق» - على حد تعبير البعض - لتصبح حكومات استبدادية مضادة للشورى في معظمها !

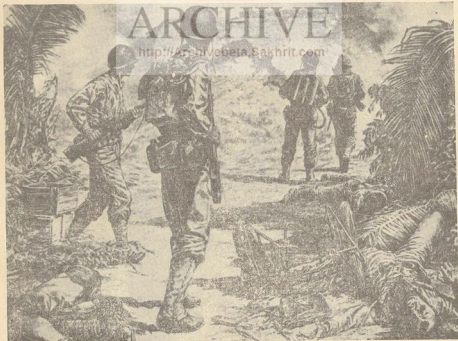
أما الاستعمار الاقتصادي ، فقد تصدى له الكثيرون ، ولعل من خير ما كتب عنه كتاب الرئيس السابق فواي نكروما عن « الاستعمار الجديد » الذي نقله خيري حماد الى العربية ، وأمثلة هذا الاستعمار تملأ أنحاء القارة جميعا بطولها وعرضها والصحرة للعين ولا ينبغي بلا شك إهمال شأنها في تحديد السياسة الأمريكية تجاه إفريقيا .

«الدالاس» في معاونة جميع الدول لوقف الشيوعية في كل مكان ، ذلك أن الصراع مع الشيوعية لم يعد هو الامر الواقع اليوم الا في الكونجو برازافيل حيث يوجد عدد من الكويين الشيوعيين - وقال الفرير ان أمريكا تعلق أهمية خاصة على نجاح سياستها في إفريقيا ، لا سيما فيما يختص بموقف دولها من قضايا الولايات المتحدة في المجالات الدولية .

ويقول التقرير بالنص : ان اشغال الولايات المتحدة ينصب على احتمال انتشار التخريب الشيوعي (وهو الوصف الذي يطلقونه على حركات التحرر والثورات الوطنية) في بعض الدول ، وينبغي ان تركز الولايات المتحدة على النيوبيا ونيجيريا وتونس في مساعداتها الاقتصادية .

ولكن ما الذي حدث في نيجيريا ؟ لقد بحثت أمريكا - طبقا للتقرير نفسه - تقسيم نيجيريا الى ثلاثة دول بناء على اقتراح بعض الدبلوماسيين الاوروبيين ، ولكنها خشيت من تنفيذ المشروع على أساس انه « سيفتح مجالا ليدري أحد أين ينتهي ، لا سيما في النول التي تعاني من الانقسامات القبلية » .

ولجات أمريكا الى الاسلوب الثاني الذي حدثنا عنه وتبنا به الرئيس جوليوس نيريري سنة ١٩٦٦ عندما قال : « اننى اعتقد ان المرحلة الثانية للاستعمار في إفريقيا قد



أمريكا.. والحركة الوطنية

في مصر

طارق البشرى

القرن التاسع عشر

كان أهم نشاط أمريكي في مصر والعالم العربي خلال القرن التاسع عشر ، يتعلق بالهينات التبشيرية - الصليبية الرسالية في التاريخ الحديث - التي ارتبط نشاطها في آسيا وأفريقيا عامة بسعي الدول الرسالية الكبرى الى غزو هذه البلاد اقتصاديا وسياسيا ، وخلق الكيانات الفكرية المناسبة . يزداد هويها ، وترويض بعض مواطنيها ايدولوجيا ليكونوا مينا، الوصول لانتاج هذه الدول وجيوشها وساستها . وكذلك ليتمكن أعضاء الرساليات - تحت ستار الدين - من الالامه بين الشعوب ودراسة احوالهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، واعطائهم الانجيل بدلا من الاوص .

فالبروتون الامريكيون ، الذين اثاروا في سوريا الازمات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين ونسبوا في اشغال سنة ١٨٦٠ الى مكتب للسيطرة الاجنبية على لبنان ، بدأ وصولهم مصر في ١٨٩٤ تقريبا ، وفتح لهم الوالي سعيد الابواب ، كما فتحها لقرنوس الاجنبية ، واحضر هؤلاء معهم طائفة من البشوام المسيحيين بهم على معرفة الطريق . وافصح سعيد لهم اسماعيل لهم والفرهم المجال ، تاليفا لقلوب دولهم وطمعها في زيادة سلطات الحكم القليلة بمعاهدة لندن ١٨٤٠ .

وكانت سياسة البعثات الامريكية ان تباشر تبشيرها بين جماهير الاقباط لجذبهم اليها خارج الكنيسة القبطية المصرية . وان تنشئ المدارس الدينية الطابع للصغار والصبية في المراكز الرئيسية كالقاهرة والاسكندرية واسيوط ، وان تركز نشاطها في اسبوط خاصة خلفا للخروج في مصر ، وان تنشئ البروتستانتية بين القبط . انشأت اول مدارسها سنة ١٨٥٥ ، وكلية اسبوط سنة ١٨٦٥ وبلغت مدارسها سنة ١٨٩٧ نحو ١٦٨ مدرسة بها ١١٠١٤ تلميذا ، ثم انشأت الجامعة الامريكية بالقاهرة سنة ١٩١٩ لتكمل به حلقات الدراسات التبشيرية حتى مرحلة التخصص . وكانت كلما تكونت جالية بروتستانتية في منطقة اسلمتها المدرسة لتنتش . نجحها في مكان آخر .

وأدرك المصريون الفصلة الوثيقة بين النشاط التبشيري والتغلغل الاستعماري الغربي الذي يستهدف اخصائهم واستغلالهم ، وكانت آخر ظواهر الامر تؤكد صحة فهمهم ، للاحلة روح العصر وقضاياها الملحة ، فالبعثات تشتت نشاطا

شهد القرن التاسع عشر ، صوحة الشعب المصري من ظلمات الحكم العثماني المملوكي - حكم العصور الوسطى في الشرق ، كما شهد بدء تسرب النفوذ الغربي وصراع المول الكبرى لانتعاش مصر . وعرف رسل التنوير من أبناء مصر والمبادئ الحديثة ، كما عرف الانبعاثات الاجنبية وبعثات التبشير الديني الغربية . . وراى توده غسرابر والاحتلال البريطاني . وفي نهاية القرن بدأ لجر كفاح الحركة الوطنية التي قدم لها المصريون ثلاثة اجيال كاملة حتى ظفروا باستقلالهم المنشود . وكان الكفاح جديدا ومربرا افضل المكافحين احيانا ولكنه لم ينحرف بهم عن هدفهم قط . وكان الخصم جبارا عاليا ، فرض ارادته بقوة القشوم لترات . ولكن لم يهن للمصريين مرقف ، ولا انهد لهم عزم . وعرفوا الصمود والمجاهرة بالحق ، وعرفوا المساوغة والالتفاف . وسلكوا سبيل الكفاح الاعزل ، والكفاح المسلح ، وظفروا في النهاية بتحريرهم التاريخي .

خلال القرن التاسع عشر وفد الى مصر كل شيء ، العلم الحديث ومبادئ الحرية والمساواة ، والمفاهيم وتجاراتها والدعاء ، وتجار الدين ، وكانت أوروبا الرسالية هي مصدر كل هذا الركام الوافد ، خاصة بريطانيا وفرنسا ، القوتان الرساليتان الكبيرتان .

وخلال القرن ذاته ، كانت الولايات المتحدة تعمل داخل حدودها وحدود العالم الجديد ، ولبنى نظامها الرسالي في ظل ميذا مونرو ذي الهدف المزدوج . ابعاد الدول الاوروبية الكبرى على نصف الكرة الغربي ، والسعي للسيطرة السياسية والاقتصادية عليه . وولدت لها ظروفها عوامل التمسو الرء مال السريع داخل حدودها ، وبغير بحث في الغادج عن المواد الأولية والاسواق ، ارض تنسع غربا الى المحيط الهادئ ، ورأس مال يرد من أوروبا ، وكانه بشرية تأتي بالهجرة من العالم القديم ، عمالا ورأسمالين ، ومتجنسين ومستهلين ، انتاج يزداد وسوق يتسع في الداخل حتى كان مختم هذا القرن ، فكانت الرسالية الامريكية قد بلغت مرحلة الاستعمار وبدأت بقوتها الكبيرة وخبرتها السياسية العالية المحدودة تتطلع الى العالم القديم لتقتنص بعضه بغيره وشره ، وكانت طوال القرن - بغيرترة الذب الصغير ، تشتمل راحة فرانس المستقبل وتحتس مأكلا .

لكريا وثقافيا مخالفا لجملة العقائد والافكار الموجودة - اسلما ومسيحية، ويمارسها اجانب غريبون اتوا مع المراكبيين واصحاب البثوك وعاشوا بين الشعب لا لغة وثقافة ولكن بجماعة فاضل الدول الكبرى وتمتع بالامتيازات الاجنبية : القاعدة «الشرعية» للاستغلال والراسمال الغربى والاوروبى .

لذلك عرف التاريخ فسجج المقاومة الشعبية لهذا النشاط ، برغم الامتيازات والحماية الاجنبية . وقد نقل مورتون هادل (ممثل امريكا الدبلوماسى منذ ١٩٢٢) فى كتابه « مافى مصر وحاضرها ومستقبلها » قصة فارس الحكيم السورى وكيل الاساليات الامريكية فى مصر ، اذ اغوى امرأة عن دينها فى اسبوت سنة ١٨٦١ فاستدعا القاضى وخبره واعانه وسط هياج الجاهل عليه ، وفارت فتنة كبيرة ، وتدخلت القنصلى الامريكية لحمايته ، وطالب الرئيس الامريكى ابراهام لنكولن تعزيز مركز المشرين واعاونهم ، مما ادى بالوالى سعيد الى حبس ثلاثة عشر مواطنا ، والى دفع خمسة آلاف دولار تعويضا لفارس الحكيم تقضيها الحكومة بعد ذلك من الحكوم عليهم .

وإدى نشاط مدارس الاساليات الى سفر بطريرك القبط الى الصعيد لل دعوة لمنع انتشارها والتد من نشاطها بين جماهير الالفيا . ونبه القنصل الامريكى الى أن الاول بدل هذا النشاط بين العبيد فى امريكا ، وبأن القبط يعرفون الانجيل قبيل أن توجد امريكا نفسها . وأعلن القديو اسماعيل عدم رضائه عن دخول بعض الافراد هذه المدارس خوفا من الواجبات الحكومية ، كالتجنيد .

والحاصل انه لم يكن عدد المسجلين بدارس الاساليات يتجاوز ١% ، وإن نسبة هامة من تلاميذها كانوا من أبناء الطبقات العميلة ، وإن العداء الجاهلى لها استمر نعتيا ، يصدر عن الاختلاف الدينى (اسلاميا أو طيليا) وعن الكراهية الوطنية للمستعمر ، وانهم نظروا لها كمخلف فلد حكومات الغرب . وبلغ الهجوم على الجامعة الامريكية درجة حادة خلال السنوات ٣٢ - ١٩٣٤ بصفة خاصة ، وهى فترة من فترات الصراع الوطنى الديمراطى الحاد بقيادة حزب الوفد ضد حكومة اسماعيل صدقى - رجل الراسمالية المرتبطة بالاستعمار . وهذا يوضح المسزى الوطنى لموقف الجماهير من البعثات ومدارسها .

وكانت بعثات التبشير تتحصن دائما بقلعة الامتيازات الاجنبية ، وتسعى لدى حكومتها ولدى بريطانيا للفسط. الدبلوماسى والسياسى اجابة لمطالبها ، واستمر الوضع كذلك حتى ألغيت الامتيازات وصدر سنة ١٩٣٨ قانون يعد من نشاطها .

قبل الحرب

لم يزد النشاط الامريكى خلال هذه المرحلة كثيرا عما كان قبلا . كانت السياسة الاستعمارية الامريكية لا تزال تتلمس مواقع اقدامها فى منطقة الشرق الاوسط ، وكانت مشغولة بدعم مركزها فى امريكا اللاتينية والشرق الاقصى ،

وكانت المنطقة تنفجر بالحركات الوطنية وارضاصات الثورة ، فاعتبرتها كما قيل « امتدادا اوروبيا » ، وحصرت نشاطها فى بعثات التبشير ومدارسها ، وفى بعثات البحث عن الآثار، وفى محاولات لبحث عن مجال لتجارها فى الشرق الاوسط والسوق المصرى طبقا لمبدأ « دبلوماسية الدولار » الذى اعلنته الرئيس الامريكى تافت . وقد اشنت شركة سوكونى جهازا لتسويق البترول فى مصر سنة ١٨٩٨ فى مصر والشام والسودان . ولكنها فشلت فى تنفيذ الكثير من مشروعاتها الهامة فى الشرق الاوسط ، ومنها مشروع شبكة المسكة العديد فى الدولة العثمانية ١٩٠٩ - ١٩١١ .

ولم يكن هذا الموقف الامريكى ، موقف عزلة أو لا مبالاة ، كما يسمى أحيانا ، ولكنه كان موقفا ايجابيا ، يصدر عن السياسة الاستعمارية العالمية الساعية لانتظام العالم ، وكانت موازين القوى توجب اطلاق يد بريطانيا فى مصر ، وهذا يعنى الوقوف الاستعمارى المشترك ضد الحركة الوطنية المصرية . وكان اول احتكاك سياسى مباشر بين الحركة الوطنية وبين الولايات المتحدة ، يؤكد ذلك ويلخص السمة الاساسية لهذه العلامة خلال الخمسين عاما التالية .

حدث أن حضر الى مصر فى مارس ١٩١٠ ، تيودور روزفلت الرئيس السابق للولايات المتحدة واحد بناتة الاستعمار الامريكى ، وألقى محاضرة فى حفل دعتة اليه الجامعة المصرية الاعلية ، اشار فيه بعبث شديد الى مقتل بطرس غالى محاولا ازالة النعرة الطائفية ، ثم تعرض لحق الشعب المصرى على الحكم الديموقراطى فقال : ان مثل هذه الامم تكون خطرا على بقية الانام . ثم تتم فيها الصفات التى تمكنها من الانتعاش بالمتصور ، وأن الامر الجوهري ليس هو الاسراع بتنفيذها على منطقة ايس اسهل من سو. استعمالها ... ولا سافر الى لندن التى محاضرة اخرى طعن فيها فى اخلاق المصريين وانهم لم يتوحدوا ودعا الانجليز الى تثبيت اقدامهم فى مصر « لانهم ليسوا حراس مصالحهم فقط ، بل هم فوق ذلك حراس مراقب المدنية » . وانتقد الانجليز لانهم « اخطأوا اخيرا اذ مكثوا المصريين من التمتع بشئ من الحرية » .

وقد اثار الخطاب الاول لدى المصريين عاصفة عتيفة من الهجوم ، وتواتل على روزفلت بريقات الاحتجاج مدة ايامه وسارت مظاهرات تعف بسقوطه ، وتزعج الحملة الحزب الوطنى ورئيسه محمد فريد ، واستقطب الهجوم العناصر التى عرفت بالاعتدال كالشيخ على يوسف الذى شارك فى الهجوم وترجمت بعض كتاباته للصحف الامريكية . وسافر محمد فريد الى انجلترا فى يوليو وتحدث معارضا روزفلت وتصريحات ادوارد جراى حول حقوق مصر ، وكان حديثه قويا مصمما قاسيا .

فترة ما بين الحربين :

خرجت مصر من الحرب العالمية الاولى ، على ثورة ١٩١٩ اخرجت فيها ارض مصر انقالها ، وشارك فيها الفلاحون ، صانعو ارضها ، فى الريف المتناثر ، وشارك فيها العمال

أصم ولنسن ، صاحب المبادئ، الأربعة عشر ، أذنه عن كل ذلك ، ورفضت الفضيحة الأمريكية بباريس التصريح لأحد أعضاء الوفد بالسفر إلى أمريكا إلا إذا وافقت السلطات البريطانية . ووضح تماما بهذا الاحتكاك السياسي الخاطف أين تقع الولايات المتحدة من قضايا التحرر ، وتبدد الوهم الأمريكي بأسرع مما تبدد الوهم الفرنسي في بداية القرن . وكان هذا القفل الوفدي من أهم الإيجابيات التاريخية التي اكتسبتها الحركة الوطنية في هذه الظروف . ما لبث كبار الملاك أن خرجوا إلى الولد ، فاشتد عوده . وما لبث الوشيون المصريون أن ردوا إلى مصادر قوتهم الذاتية ، وانتقلت جبهة الكفاح من باريس إلى القاهرة ، وبدأت الثورة مرحلة جديدة مرحلة « الماطة » فاضادت إلى أسلوب المظاهرات وأعمال التحطيم ، أسلوب رفض التعاون مع السلطات .

وخلال الثورة أيضا، بقيت الإرساليات الأمريكية تراقب الموقف عن قرب ، مصممة مع حكومتها على إبقاء الامتيازات الأجنبية وكان لأمريكا ممثل دائم في المحاكم المختلطة ، ولما اقترحت بريطانيا سنة ١٩٢٠ إعادة تنظيم هذه المحاكم على نحو تكون به وحدها حاملة مسؤولية حماية الأجانب في مصر ، ادعاه سياسستها التي تبلورت في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وحرصا على الأفراد بحكم مصر وعلى امتصاص الموقف الدولي كله لصالحها شدد الحركة الوطنية ، لم تمنع الإرساليات التبشيرية ، فما أن ظهر أن بريطانيا مستعصر على التسليم ببعض المكاسب الوطنية حتى تشبعت حسده لدى حكومتها وحكومتها بريطانيا معارضة هذا الاتجاه بدعوى ضمان « حقوق الأقليات » إلى الأقليات التي اصطفت هي وجودها غير السليم ، وافقته إزاء .

وخلال اعتراف الولايات المتحدة ، بالوضع المصري على أساس تصريح ٢٨ فبراير ، ووافقت على البيان الذي أصدرته بريطانيا بأنها تعتبر أي تدخل من أية دولة في شئون مصر « والتي استقلت » عملا غير ودي ؛ وتبادلت مع الحكومة المصرية التسهيل السياسي بدرجة مفضوية سنة ١٩٢٣ .

والواقع أن الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الأولى بولة تمكنها من القيام بالدور الأول في السياسة الاستعمارية الدولية ، وكانت مبادئ، ولنسن مقدمة للقيام بهذا الدور ، وكان التراجع في مؤتمر السلم خلق عصبية الامم ، خطوة في هذا الطريق ، ولكن السياسة الأمريكية عامة لم تكن أدركت بعد مدى التغير الحاصل ، وعملت حساب قوة الاستعمار الأمريكي ، وخشيت رسوخ قدمها في السياسة الدولية ، وتوهمت أن وضعها كبلد دائم قد يؤمن لها السيطرة على العالم بصوة كلية ، وأن تفوقها الصناعي والمالي سيتيح لها تلقائيا الاستيلاء على الأسواق واخضاع البلاد ، بغير حاجة لفتح سياسي أو عسكري . فسلمت للاستعمار الانجليزي بالكثير من المكاسب السياسية آمل أن يؤول اليها ذلك - كدولة دائمة - تلقائيا . ونادت بسياسة الباب المفتوح التي أعلنتها من قبل اسحاها لبضائعها وروؤوس أموالها في البلاد المختلفة ، وخاصة الصين والشرق الاقصى ، ولم يكن البتول قد اكتشف بعد في الشرق الاوسط ، وكان طريق

والطلبة والمتفقون . وطالب الجميع بالاستقلال التام والغاء الحماية البريطانية التي اجترأ الاستعمار على فرضها مع بداية الحرب . وصنعت الجماهير قيادتها خلال الثورة ، وهي قيادة ما لبثت أن تركزت في الطبقات المتوسطة ، ولكنها في بداية الثورة كانت شركة بين هؤلاء ، وكبار ملاك الأراضي . واندفعوا جميعا الكفاح السلمي المشروع الذي تجسدت صودته أول الامر في السعي في نقل القضية المصرية من دائرة العلاقة الثنائية مع بريطانيا إلى الصعيد العالمي ، عن طريق مؤتمر السلم المزمع عنده بباريس لتصفية آثار الحرب . لم يكن تكبار الملاك جهد في العمل الوطني الا في حدود الاستفادة من المكاتب الدولية التي أسفرت عنها الحرب ، وكانت الطبقات المتوسطة - في حدود نضجها السياسي وعلاقتها بجماهير الشعب - تريد تكرار محاولة مصطفى كامل مع فرنسا ازاء بريطانيا . وكانت المبادئ، الأربعة عشر التي أعلنها الرئيس الأمريكي ولنسن أثناء الحرب ، والتي تؤكد مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها وتشير لقدم عهد «متنح» فيه جميع الشعوب والجنسيات حق الحياة على عادة المساواة والعرة والطمانينة سواء ، كانت قوية ام ضعيفة ، كانت قوية البطاغ لدى الجماهير ، واعدة بالامل لدى الطبقات المتوسطة، فاطحة ابواب المكاتب الدولية لدى الساسة . وطلبت قيادة الوفد السباح بالسفر إلى باريس ، فرفضت سلطات الاحتلال ونفى سعد زعيم الثورة . ثم ما لبثت ثورة الجماهير أن اجبرت السلطات على الانحياز عن الزعماء والسماح لهم بالسفر . وكان ولنسن في باريس يحضر المؤتمر الدولي .

طلب سعد مقابلة ولنسن في ٢٢ ايلول ١٩١٩ ، وكان الرد في ذات اليوم ان أعلن اعتراف الرئيس الأمريكي بالحماية البريطانية على مصر . هي صيغة للحركة الوطنية المصرية مثل الاتفاق الذي سنة ١٩٠٤ ، تنكروا على الولايات المتحدة بعد خمسة عشر عاما . وتمسك الوفد بأمله في جدوى مصمها ، وارسل بعد اسبوع كتابا إلى ولنسن يقول فيه ، قد بلغ من توطد لفتنا في العدالة التامة التي تريدون جعلها أساسا لصالح العالم ان عجز تدخلكم الاخير نفسه في شأن الحماية البريطانية عن ان يزعم هذه الثقة . وفي ٦ مايو أبرمت معاهدة الصلح مع ألمانيا ونصت على الاعتراف بالحماية ، واحتج الوفد وارسل إلى مجلس الشيوخ الأمريكي « السند المتوهم - بريقة تقول » ان الشعب المصري ينظر إلى عدالة مثل الديمقراطية الأمريكية العظمى المكرمين وانصافهم لنوال أمانيه الوطنية . وتشير إلى ان الاعتراف بالحماية مخالف للمبادئ، التي أعلنتها أمريكا الحرة ، وان قرار المؤتمر لا يجرم مصر حقها الطبيعي في الاستقلال فقط ولكنه « يعرهم أيضا الصفة السياسية التي تمتعت بها منذ سنة ١٩٤٠ » والتي أطلقت يداه في شئونها الداخلية اطلاقا تاما . ثم أرسل خطابا آخر إلى ولنسن في ٢ يونيو مصولا بلهجة النقد الضمني والكبرياء الوطني ومنتها إلى أنه « لم يكن في استطاعة المصريين أن يتصوروا أن المبادئ، التي جعلت العالم يعمل نفسه بعهد حرية ومساواة سياسيتين جديد ، هي التي تسجل العبودية على أمة بأسرها » .

البريطاني في اعاقته أولا ، ثم جهدت الرأسمالية الوطنية على الحد من نموه استخلاصا للسوق المحلي بفرض الرسوم الجمركية .

بعد الحرب الثانية

قامت الحرب العالمية الثانية ، في ظروف ملائمة تماما للولايات المتحدة ، دخلتها ألمانيا وإيطاليا واليابان ، القوى الاستعمارية القديمة ، ودخلتها بريطانيا وفرنسا القوتان التقليديتان ، وهاجمت ألمانيا الاتحاد السوفيتي ، وانتهت الحرب بانهاض أخطر منافس الاستعمار الأمريكي ، وبضعف شديد أصاب القوى الأخرى ، ويتوقف نسبي طرأ على حركة الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي بسبب الدمار الهائل الذي أصابه به الحرب .

ورغم أن أمريكا اشتركت في الحرب ، ففسد بقيت بعيدة عن أوارها . وحلقت بها كسبا اقتصاديا ضخما ، زاد الطلب على إنتاجها العربي ، وارتفع حجم الإنتاج في السنوات الأربع الأولى ١٢٠٪ ، وارتفع معدل الزيادة السنوية من نحو ٤٪ خلال السبعين سنة السابقة ، أي ١٥٪ ، وتضاعفت صادراتها في نهاية الحرب ١٥ مرة بالنسبة لما كانت عليه قبلها .

ومن الناحية العسكرية ، بعد أن كانت بلدا من ست دول عظمى رأسمالية ، لا تتمتع بقوة عسكرية هامة ، ويشغل جيشها الرتبة السادسة عشر من البلاد الرأسمالية ، لم يبق في نهاية الحرب إلا دولتان استعماريتان كبريتان (أمريكا وبريطانيا) . وانتقل جيشها إلى المرتبة الأولى ، وأصبحت البلد الوحيد القادر على صنع القنبلة الذرية .

وفي ذات الوقت ، الذي ظهر فيه الاستعمار الأمريكي بهذه القوة المتزايدة ، امتدت الحركات الشعبية والثورية في أرجاء العالم كله ، وانطلقت حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ووجد الاستعمار الأمريكي ، أن انتصاره على قوى الاستعمار المنافسة لم يحقق له هدف السيادة على العالم ، وأنه سيواجه حركة الشعوب في كل البلدان ، وسيفقد أزماءه وجهه لوجه .

وازداد اهتمامه بمنطقة الشرق الأوسط خاصة ، إذ ضعفت بريطانيا وفرنسا ، وظهورت اكتشافات البترول في صحاريها ، وصارت أطعمته الضخمة في العالم توجب عليه السيطرة على مجارى المياه الحيوية . وفي مصر تجزى قناة السويس ، وهي مركز العالم العربي .

تمثل الرصيد السياسي للولايات المتحدة في مصر بعد الحرب ، في أن مدارسها وإرسالياتها أوجدت لها بعض الركائز البشرية بين الطبقات الرجعية والمتهمرين ، وفي شغل الرأسمالية المحلية في التفكير بتبني من طاقاتها التمويلية الضعيفة ، وفي ترحيب الإنجليز بانهاض سلعتها الاستهلاكية المترفة ، وفيما جنته من العلم بمصر والشرق

المحيط الهادئ طريق تجارة ملائم مع الشرق الأقصى ، فلم تبد لها أسباب بالغة الأهمية تقضيها إلى تحدى الاستعمار البريطاني سياسيا في هذه المنطقة الحيوية بالنسبة له ، وكان ذلك يعني دعم مركزه السياسي في المنطقة ، ومصر خاصة ، مساومة له عليها مقابل غيرها . وقد ذكر المستر بوراه بالكونجرس الأمريكي تعليقا على القضية المصرية ومؤتمر السلم في ١٨ أغسطس ١٩١٩ ، أن الحكومة الإنجليزية استولت من جراء هذه الحرب ٥٠ على أراضي يبلغ اتساعها اتساع الولايات المتحدة ٥٠٠ . ويسيطر سلطانها على ٣٣ مليون نفس .

ومع هذا الموقف بدأت الولايات المتحدة بذل الجهود لإبرام سلسلة من الاتفاقات ، تمكنها من وضع قدمها في السوق المصري . أبرمت معاهدات للتوليف والتحكيم ١٩٢٩ ، ومعاهدة تجارية ١٩٣٠ تمنحها ميزة الدولة الأولى بالرعاية ، وذلك في أعقاب فرض مصر الرسوم الجمركية على الواردات ، ثم شاركت في مؤتمر مونتريو وبدأت بعده مفاوضات عقد اتفاق تجاري عاجلته الحرب الثانية قبل تمامه . وكان أول ممثل دبلوماسي لها بمصر بعد الاستقلال ، مورتون هاول ، الذي كشف بأحاديثه عن مواقف غير ودية مع الإنجليز ، فنقلته حكومته حوالي ١٩٢٨ . وفي ١٩٣٠ عينت وليم جاردن ذا الخبرة الزراعية ، ودل اختياره على رغبة حكومته لتوليف روابطها بالمجتمع والسوق المصري وطبقة كبار الملاك الزراعيين . وكان نشاطه مركزا في الاهتمام بالمشروعات الاقتصادية ومدارس الإرساليات وبعثات البحث بين الإنجليز وحلول توليف صلاته بعدد من كبار الموظفين والشباب الذي درس في أمريكا وكبار الملاك ورجال الأعمال .

وخلال فترة ما بين الحربين أيضا ، تمت الاتفاقات الاقتصادية نسبيا . نما فرع سوكوني فاكوم حتى أصبح مركز التسويق لعدد كبير من بلاد الشرق الأوسط وأفريقيا . وانشأت عدة شركات أخرى فروعا لها ، سنجر لماكينات الغياطة ، جنرال موتورز وفورد للعربات ، كوداك . منجنون للآلات الكاتبة . وبلغت جملة الاستثمارات في هذه الأعمال ١٤ مليون دولار سنة ١٩٣٨ .

والخلاصة أن الولايات المتحدة خلال هذه الفترة ، قدت الكثير من سمعتها السياسية ، وقلت تؤيد الاستعمار البريطاني ضد مصر ، ووقفت فسد الجهد المصري الوطني الوائب للتخلص من الامتيازات الأجنبية التي كانت تعتمد على عليها لحماية نشاط إرسالياتها ومدارسها ولطلب فرص متساوية للتجارة دون تعهد للنكوص البريطاني ، وقاومت الجماهير النشاط التبشيري لبعثاتها ، ونظرت الحركة الوطنية بعين الشك لنشاط بعثات الآثار التي كانت ترد مهبيا ومن غيرها إذ اعتبرته عملا لاستهداف في الكثير البحث العلمي ، بل انتقاص ثروة مصر الحضارية وقاومت أحقية الباحثين في الاستيلاء ، على نصف ما يكتشفونه من آثار . وقد بلغ من فقدان الثقة بهم أن قاوم الرأي العام رغبة وكوفلر الهدا ، مصر عشرة ملايين دولار لبناء متحف للآثار ، فرفضت الحكومة قبولها . أما عن النشاط التجاري ، فقد جهد الاستعمار

وجهه ، وأعلن ترومان أن أمريكا انفتحت في الحرب ٣٤١ مليون دولارا والواجب أن « تعنى هذا الاستثمار » ١٠٠ وأعلن « مبدأ ترومان » بالنسبة لتركيا واليونان ، أول ظهور سافر للاستعمار الأمريكي على مشارف العالم العربي وأول تطبيق لسياسة « ملء الفراغ » أي حرب الحركات الوطنية والحلول محل الاستعمار القديم ، ويتم ذلك « بالمعونات » ذهب المعز ، وبالقواعد العسكرية والاتحاف ، سيف المعز على الطريقة الأمريكية . ثم ظهر مشروع مارشال بالنسبة لدول أوروبا الغربية ، وبرنامج النخطة الرابعة للدول المتخلفة . وبالنسبة للمسلمين استنفاد من أمريكا بنقلها جميعه لانشاء دولة اسرائيل على ما أراده أن يكون انقضا للشعب العربي .

وفي ١٩٥١ ، بلغت الحركة الوطنية الشعبية في مصر مدى لم يتلغه من قبل منذ ١٩١٩ ، وانتفضت الجماهير تهدد الوجود الاستعماري كله ، سياسيا واقتصاديا ، وتهدد وجود كافة الطبقات الرجعية المرتبطة به وأجبرت الحكومة على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ . وبدأت استعدادها لكفاح المسلح ، ورات الولايات المتحدة الاستنفاد من الوقت ، وقدمت مع بريطانيا وفرنسا وتركيا مشروعا بخلف رباعي مع مصر ، رفضته الحكومة في الحال وعاجته الصحف بشدة وهشتت الجماهير ضده في مظاهراتها اليومية ، فرجت الولايات المتحدة الى سواقيها التاريخية ، سنة ١٩١٠ ، ١٩١٩ ، وأعلن وزير خارجيتها أن إلغاء المعاهدة لا يتفق مع ما يجب من احترام للانفالات الدولية . وأن بلاده تعتبر هذا الاجراء كان لم يكن

بعد ثورة ١٩٢٥

ان تطور العلاقات المصرية الأمريكية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥ كان كبيرا ، وهو ليس تاريخا انصافا واقع حي ، وحاجز قائم . رفضت مصر الانضمام للحلاف وقاومتها في العالم العربي كله . دفعت الولايات المتحدة اسرائيل للهجوم على الحدود المصرية . طلبت مصر شراء السلاح منها كغالة للامن الوطني ، فرفضت الا بالانقاص من الاستقلال الوطني . كسرت مصر احتكار الغرب التقليدي لتسليح الشرق الاوسط . وكانت صيغة الاسلحة الشيكوسلوفاكية . وبدا فيها اتجاه مصر للعمل المصمم على العياد الابوابي . تدور العلاقات المصرية الأمريكية ، ورفضت أمريكا طلب مصر تمويل مشروع السد العالي بهيارات لا تغلو من حدة ، استعملت مصر حقها في تأميم قناة السويس ، وكان العدوان الثلاثي وفسله ، وعندها دخلت أمريكا لتربز إسرائيل من غير اصحاب الحق فيها ، واعلنت مشروع إيزنهاور بعد أن تقلص الوجود البريطاني السياسي من المنطقة المصرية ، ووسع المشروع على نسق سابقه - ترومان وماشال - ولكنه فشل ، وجوبه بعدا ، مر من جماهير الشعب العربي ولم تقبل له الحياة وسفط حلف بغداد ايضا بعد ثورة العراق .

وفي ١٩٥٩ ، لجأت الولايات المتحدة الى سياسة القمع ، ظهر لها استحالة قهر الحركة الوطنية في مصر والعالم

الايوسط نتيجة نشاطها التجاري السابق ونتيجة اشتراكها بدور ثانوي مع بريطانيا في مركز تمييز الشرق الاوسط خلال الحرب . وظنت انها قادرة على الاستفادة من عدا الشعب التقليدي للاستعمار البريطاني .

وفي المقابل ، كان لدى جماهير عريضة عدا لنشاطها التبشيري والدرسي السابق ، ولدى جماهير الحركة الوطنية معرفة بمواقفها السياسية السابقة المعادية لكفاح الشعب .

واهم من ذلك ، ان الحركة الوطنية في مصر بعد الحرب الثانية . وعن طريق القيادات الشابة الجديدة ، وبسبب انتشار الفكر العلمي والاشتراكي ، كانت قد وصلت الى صياغة أكثر عمقا وعلمية للقضية الوطنية ، اذ فهمت الضمور الاقتصادي للاستعمار ، والطبيعة الطبقة للفسادات المحلية المرتبطة به ، ووصلت بذلك الى وجوب اللجوء الى سياسة جديدة تماما ، تتمثل في طرح كافة الأوهام المتعلقة بإمكان كسب ادنى تأييد من أية دولة استعمارية ، وفي تصعيد النضال الوطني بالاعتماد على جماهير الشعب المنظمة وطاقاتها ، وفي ربط قضية التحرر المصرية بنضال التحرر الوطني في العالم اجمع ، وقولا ضد العجبة المشتركة للاستعمار .

ادركت أمريكا ان حاصصل قوتها السياسية في مصر والشرق الاوسط بعد الحرب مباشرة ، لا يتناسب مع اطماعها ورات الا تنظم الا لحدود هذه الامكانيات ، تاركة لبريطانيا وفرنسا ، مسؤولية مجابهة الشعوب النائرة ، وانفة من سيطرتها على البلدين المعزولين لتتحول ادراجها الى حسابها ، مدخرة قوتها وسمعتها المصنوعة لاسلحة ضلوعها . وركزت احتمالا لتحقيق اطماعها البائسة في ألمانيا ، وفي الشرق الاقصى ضد ثورة الشعب الصيني . وبهذا التسيب سياستها طوال عام ١٩٤٦ ، رفضت العمل المشترك مع بريطانيا مع تأييدها ماديا ومعنويا في سعيها لربط مصر بمعدات الدواع المشتركة ، ووقعت مع بريطانيا في الامم المتحدة ومجلس الامن ، وارسلت لصدفي خطابا تنجيجه فيه على عقد الاتفاق قبيل بدء مفاوضات صديقي - يفرن . وتحدث ترومان في ٦ ابريل عن ضعف المنطقة (الشرق الاوسط) واضطرابها واهميتها للغرب ، ورسم سياسة العمل فيها من خلال الامم المتحدة .

وفي عام ١٩٤٧ كان ميزان القوى يدور لصالح الشعوب ضد الاستعمار القديم ، والحرب الأهلية في اليونان - على مشارف الشرق الاوسط - تندر بانتصار الثورة الاشتراكية فيها . وسوريا ولبنان كسبتا استقلالهما السياسي ، وكفاح الشعب المصري قضى على باكورة محاولات ربط مصر بالاتحاف ولم تجد معه كل اساليب البطش والتفصيل ، واتخذ موقفا لم يجد عنه بعد ذلك قط . وبريطانيا تعلن عجزها عن التصدي لثورة اليونان ، ثم تعلن رفض يدها من مشكلة فلسطين بعد ان مكنت للسيطرة الصهيونية عليها خلال ثلاثين عاما .

استجاب الاستعمار الأمريكي ورفع النقاب السلف عن

العربي ، وانه لا بد من سياسة جديدة تكون قادرة على
تجديد الوضع مؤقتا وابقا، صلاتها بالمنطقة تريبا لفرص
المستقبل . واستغلت الظروف العربية البالغة التعقيد وقتها،
وسعى مصر في طريق التنمية الاقتصادية وحاجتها للمعاملات
الاجنبية وعدم كفاية انتاج القمح بها ، وعقدت اتفاقات القمح
الامريكي .

استهدفت الولايات المتحدة بهذه الوسيلة ، الاحتفاظ
ببعض الجسور لها بمصر ، حدا من روح العداء لها في
السياسة الخارجية ، ومحاولة لتعويق التطور الاجتماعي
الداخلي الاكثر عمقا ، وتأمينا لبقاء مؤسساتها ونشاطها
الفكري والثقافي الذي بدأت به علاقاتها مع مصر قديما ،
والذي اصبح اكثر شمولاً وخطورة ولباقة ، اذ قامت مؤسسات
فرانكلين وفورد وغيرها بدل البعثات التبشيرية ، ز الفخراء
بدل المبشرين ، والكنب والسيئنا وكافة اساليب بقاء
الوجود المعنوي الامريكي ونفوذها .

أوقفت الولايات المتحدة معونات القمح ، عارضة الى احداث
صدع في الاقتصاد الوطني . فلما لم يجد ذلك كثيرا في
احداث الازمة الداخلية المرجوة سنة ١٩٦٥ ، ولما فشلت
محاولاتها احداث انقلابات داخلية ، لجأت الى الهجوم العسكري
المباشر ، بالعدوان الثلاثي الاخير .

وان هذا العدوان ، هو ذاته النار الحامية التي ينتظر
أن تنضج مجتمعنا كي يسير واننا ومناضلا ليعلق نصيره
الحاسم ، وأن تسرع خطى الجماهير في طريق انجازها الشامل
لثورتها .

على أنه لم تجد محاولات الولايات المتحدة وقف تطور
الثورة ، واذا كانت سياسة القمع قد ساعدت في اليقيا،
المعنوي الامريكي خلف خطوط الحركة الوطنية والاشتراكية،



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakirni.com

« لم يكن عملنا في يوم من الأيام سهلاً أو خيلاً ، فطريق النضال مخاطرة .. وطريق
النصر تفسيحات ، وطريق الأمل الكثير يدل كير ، والأفان الشعوب يرضى على نفسها
بالمجود وتقبل بالتخلف لأنها لا تستطيع أن تتحرك ولا تقبل بالمخاطرة ولا تقبل على الحياة
بخلوها ومرها » .

« ان الذين لا يتحركون ليس من حقهم أن ينتظروا التقدم ، وان الذين لا يقبلون
بالمسؤوليات ليس من حقهم أن يتظلموا الى آمال .. والذين لا يخاطرون بفعول من الخوف
أسرى للخوف نفسه . وليس ذلك شأن الشعوب الحية ولا هي طبيعتها ولا هو طريقها » .

جمال عبد الناصر ٢٣ يوليو ١٩٦٧



« هدفنا المباشر لا ينبغي أن يكون ازالة العدوان فحسب ، بل ينبغي أن يكون أيضا
حماية نظامنا الثوري وتعميق نظامنا الثوري وتدعيم حركة الثورة العربية » .

جمال عبد الناصر ٢٣ يوليو ١٩٦٧



« لا بد أن ندرك أننا أمام مرحلة حامة تحتم علينا البتاء، والحرب ، وهذا شعار
قديم من شعارات نضالنا : يد تعمل للبنا، ويد تحيل السلاح » .

جمال عبد الناصر ٢٣ يوليو ١٩٦٧

وفى كتابه « فن الادب » الذى صدر عام ١٩٥٢ ينبه الى طبيعة الاستعمار الامريكى فى أكثر من موضع ، فيكتب :

« أمريكا لا تقف فى اليابان عند حد الاحتلال العسكرى .. انها تريد أن تفرض عليها تفكيرها اجتماعيا .. وتلبس ذلك الروح الشرقى عقلية أمريكية ! .. هى تزعم انها تمدن اليابان ! .. »
ثم يدين أمريكا التى تعتمد على قوتها المادية ومالها دون سند من حضارة روحية أصيلة :

« لقد انتصرت « أمريكا » لافضائل فى جوهرها ولا لمزايا فى روحها ، ولكن لذهب الموليين الذين استطاعت ان تشتري به العلم والعلماء ، وتحصل به على مواد الفتك وخبرة الخبراء .. وهى بالمال تقتنى كل شيء ، تقتنى كل مظاهر الحضارة التى تثير بها العالم ، تقتنى كل الاثواب البراقة ! .. »

ما من انسان عريق الأصل لم يجد فى « أمريكا » سوقا لعراقته ، ولا لصاحب تجاربه لم يبيع تجاربه هناك ، ولا لصاحب اسم لامع فى ادب او علم او فن لم تنصب له الشراك الذهبية ليلصق اسمه بالجنسية الأمريكية .. بلاد لم تصنع الحضارة بما فيها فاشترتها بمالها الذى جمعته سريعا بشتى الوسائل .. أمريكا بلد « السينما » .. وهى كلها دولة مقامة على طريقة « هوليوود » : واجهات من الكرتون ، وجدران تناطح السحاب من الاسمنت واناس يتحركون ويتكلمون ويتصرفون طبقا لرواية موضوعة ، الفها مؤلف اجنبى عريق .. امة اوجدتها الظروف وانشأها المال ، ومن الممكن ان تزيلها الظروف أو يتخلى عنها المال ، فتختفى من الوجود دون ان يخسر الوجود شيئا او يحس لفقدائها اثرا ، او ينال من بعدها تراثا ذاتيا او ميراثا خاصا .. فالحضارة بخير بها وبدونها .. لأن العلم بأساتذته وتقاليدهم وماضيه وتاريخه وتجاريه ، وكذلك الفن وكذلك الادب وكذلك الفلسفة .. وكل شئون العقل والفكر ، وكذلك الدين وكل شئون القلب والروح ، موجودة من قبل أمريكا ومن بعدها .. جذورها ممتدة فى غير تلك البلاد ، ويمكن ان تروق وان تهر دون حاجة كبرى الى اغراء او ضيافة ..

كلا .. ليس المال كل شيء .. وان استطاعت ان تشتري « مظهر » الحضارة ، فلن تستطيع ابدأ ان تشتري « روح » الحضارة .. »

وفى عام ١٩٤٧ صور توفيق الحكيم خيبة أمه الشديدة فى تصرفات الحلفاء - وعلى رأسهم أمريكا - عقب فوزهم فى الحرب العالمية الثانية ، فاذا بهم أسوأ من جبهة الفاشية المهزومة أو على حد تعبيره :
« فاذا جهادهم يتوج بمجزرة لم تر الانسانية احط منها يوم القوا القنبلة الذرية لبيبدو بها مدينتين أمتين بأحلهما : « هيروشىما وناجازاكي » سكانهما الوادعين المساكين ! .. »

واذا هم ولا حقوق للانسان عندهم الا اذا كان بيض اللون ، اما السود فهم لديهم مبعدون محقرون منبوذون فى أحيائهم السوداء .. يعتبرون أمريكيين اسما ، ويخدمون أمريكا فعلا ، ولا ينالون من حقوق الحرية والمساواة البشرية ما ينال غيرهم من بقية السكان .. »

ويضيق المقام عن الاستشهاد بكل ما كتبه توفيق الحكيم عن أمريكا وعن الاستعمار الامريكى وحضارة الدولار ومارلين مونرو .. يكفى هذا القدر ليوضح ان موقفنا الراهن من أمريكا وادانتنا لاستعمارها الغشوم ليست وليدة اليوم ، وانما هى قديمة لها جذورها الفكرية فى كتابات مفكرينا الكبار .. وهكذا يتأكد ان الكاتب الكبير رائد معلم يستكشف بحسه السليم ووعيه العميق اسرار الحياة وأوضاعها ، فمن واجبنا ان نقرأ كتاباته بعناية وتدقيق ، ونتعلم منها ما يفيدنا فى حاضرنا ومستقبلنا ..